أسرار العائلة
رواية
منة الله أبو زهرة

المقدمة

إهداء لأولئك الذين قالوا إنا لله و انا إليه راجعون اذا اصابتهم مصيبة أو ابتلاء ليُطهرهم الله و يذكيهم حتى تطيب قلوبهم فيأتون بها سليمة إليه يوم يلقون وجهه الكريم

"سلامًا عليكم و علينا و رحمة الله و بركاته "

إهداء لأبي و أمي و لأخوتي و لأحبائي جميعًا لولاهم بعد الله عز و جل جلاله ما كنت لأكون هُنا .

إهداء لجدتي الحبيبة رحمها الله و جعل قبرُها روضًا من رياض الجنة هي و كل أحبائنا المفقودين كبرت صغيرتك يا جدتي و كتبت روايتها الأولى.

إهداء لدكتور أحمد خالد توفيق العراب الذي رحل سريعًا عن دُنيانا لكنه لازال يحيا معنا بكلماته رحمكَ الله و طيب ثراك لازال أثرك باقيًا و لازلت تجعل الشباب يقرأون .

تَوتَر هواءُ الغرفة ليُلائم لون حائِطها الكئيب.. الستائرُ الرمادية تنسدل على النافِذة فتتمَوج بين الحين و الآخر.. يجلس الرائِد 'عز الدين' وقد شَمر عن ساعِديه وتصلبَ وجههُ بخشونةٍ.. على يمينه يجلس مُساعده علاء ذا الجسدِ النحيل كعودِ ثقاب مُشتعل دائمًا في العَمل.. يَكتب ما يُمليه عليه بِدقة.. وفي الطرفِ الآخر جلست هيَّ شاحبةَ الوجه مُرتعدة الأطراف.

- اكتب عندك ' وچد سليم محمد الزهراوي '

العمر: ٢٣ سنة.

المهنة: طالبة جامعية في كلية طب الإسكندرية.

العنوان الحالي: المدينة الجامعية الطابق الثالث الغرفة رقم ٧٨.

تَفحصتها عيناه بِصرامةٍ كادت أن تخلع قلبها مِن قفصهِ الصدري.. حتى ظهر الخوف جليًّا على وجهِها الشَاحب و كفيها التي تعتصر بَعضُها بعضًا.

- حدثها بهدوءٍ خَطر: آنسة وچد أنتِ هنا لنأخذ أقوالك حول جريمةُ قتل لإحدى زميلاتكِ في المدينة الجامعية.

- شهقت تقاطعه وَكفها على شفتيها المُرتجفتين: ماذا؟ جريمةُ قتل في السكنِ الجامعي!

- رَد بروتينية اعتادها: أولاً يجب عليكِ أن تَهدئي تمامًا.. ثانيًا لم تَحدُث الجريمة في السكنِ الجامعي بل حدثت على إحدى شواطئ الإسكندرية المَهجورة..

لكن الضحية تسكُن في المدينةِ الجامعية وهيَّ زميلتُكِ 'دارين راجي الشاهندي' وُجِدت جُثتها مُلقاه بالقربِ من الشاطِئ.. إلّا أنَّ الطب الشرعي أكدَ أنها لم تَمُت غرقًا.

صَمت قليلاً ثم توقف عن سَيره وقد رَكز نَظره على معالمِ وجهها.. حتى يَرى مَدى تأثير كلماتهِ عليها. أطبقت شفتيها وجَحظت عيناها اللوزيتين في خوف.

- تأملها في غُموض و أردف : آنسة وچد نحنُ لا نتهمُك بشيء.. فكُفي عن ذلك الإرتجاف المُزعج واهدئي حتى أتلقى منكِ ما يُجدي في القضية.. فلن تذهبي قبل ذلك.

- توجست أكثر.. فبادرَ يُكمل: أرى أنكِ كنتِ قريبة من الضحية في آخرِ أيامها.. أيُ تفصيلة مُهمة تَذكُرينَها عَنها حتى وإن كانت صغيرة.. أخبريني بها.

- قالت مُتأتِهةً مَشدوهة: لا أفهم.. لمذا تقولون أن دارين.. قُتلت؟ ألا يُمكن أن تكون قد..إنتحرت!

رَمقها بنفاذِ صبر وهو يَزفر بِحنق : سأُخبرك و لكن..

اقترب مِنها حتى انكمشت في مَكانها.. وقد ضاقت عيناه تَرقُبها بِحذر: أُقسم بالله إن علِمت أن لسانكِ قد وقعَ بحرفٍ واحدٍ لأحدٍ من وسائِل الإعلام.. أو أي شخصٍ كان.. فَسأحبِسكِ في الحجز حتى نُنهي القضية.

أنهى كلمَاته وسبابتُه تُحذرها وصوتهُ الخَافت يُنذرها بالخطرِ المُحدق.

- ارتجف صَوتها: أُقسم لك.. لن يَخرج حرفٌ واحدٌ خارج عتبةِ هذا الباب.. مَالي أنا والإعلام يا سَيدي؟!
- رَمقها بِصارمة وهو يَعود لِمكانه: أنا أعلم أنكِ لن تنطقي حرفًا.. لكن فقط أردتُ تنبيهك بِمَصيرك إذا فلتَ لسانُك لأيَّ شخصٍ كان.
- ثم استطردَ قائِلًا بعد أن مَال بجسدهِ على المَكتب وشبكَ بين أصابعهُ يُحدثها بصوتٍ بعثَ القشعريرة في جَسدِها: لقد ماتت بنوبة قلبية مُفاجئة.. هُناك آثار أيدِي حولَ عُنقها وعلامات صراعها مَع أحدِهم أدت إلى كدَمات.. واعتداءٍ عليها واضح.. لقد بانَ هذا جليًا على عينيها التي تكاد تخرج من محجرها مِن هولِ ما حدث قبل القتل...

كانت مُتخشبة كتمثالٍ حجري.. عُروقها الزرقاء والإرجوانية نافِرة تكادُ تهرب مِن جسدها.. لونُ الدِماء لم يُكن حتى على شفتيها بل تحولت إلى زرقاء باهته.. وقد بَدت ملامحُها فزِعة صارِخة...ورُغم أنَّ الجثة قد أُكتشِفت قبلَ مرورِ ساعتينِ على القتل إلا أنَّ جسدها كان غريبًا حقًّا..فبدا وكأنها قد صُفيت تمامًا مِن دمائها.

نظر إليها.. فوجدها تُبلل شفتيها المُرتجفتين وتُغمض عينيها بِقوة وكأنها تُريد أن تُبعد كلماتهُ عنها.

لم يتفاجئ أو يَتأثر فهو يُريد أن تفقِد رُشدها وتركيزها حتى تنفعِل.. يُمارس عليها ألاعِيبهُ النفسية كَـ توترالأجواء والكلمات قوية التأثير حتى يِستخرج ما بِجُعبتِها..ولكنهُ في النهاية شَعر بلمحةِ شفقةٍ عليها..

هل يَرجعُ ذلك لِشكلها الهزيل المُرتجف؟..أم لِخوفها الغير مُبرر.. والهيستيريا التي تُسيطر عليها مُنذ أول لحظة دخلت بها..لعلها مِن الأشخاص الذين يَخافون الأقسام ويَظنون أننا نَأكل الناس بعد أن نَشويهم على السطح أو..لعلها القاتِلة .!

ضحِك بِداخله لِتفكيره.. إلا أنهُ لاحظ أنها تنظُر إليه بِخوفٍ لا تَعرفُ ما تقول.

- فقال بلهجةٍ آمره ولمحةِ استمتاعٍ خفية: آنسة وچد أرجو أن تُساعديني سريعًا.. كي أتركَكِ سريعًا.

ومِن ثم نادى الفراش قائلًا: عم صُبحي فلتأتي بكوب ماءٍ وعصير ليمون للآنسة حالاً مِن فضلك.

أتى عم صُبحي بعد بُرهة ووَضع كوب الماء وعصير الليمون.. وفِنجان مِن القهوة..وخرج..تجرع عز بعضًا مِنها حتى تُفيقه و تشحذ تركيزه.

- قال مُشيرًا بِإحدى يديه: آنسة وچد نحنُ لسنا في صالون بيتنا لِضيافتك.. فَلتَسرعي بِشرب الليمون حتى نُنهي تِلك المسألة.

ولكن نظراته المُركزة عليها أربكتها مما جعلها تُسقط بعض الماء عليها.. فنقل بَصره بإتجاهِ أوراقه منتظرًا إنتهائها...تثاءبت بَعد أن وضعت كُوبها على المكتب هامسةٍ بِنُعاس: الحمدُ لله.

- فحدثها حانقًا: هل آتي إليكِ بفراشٍ للنوم بَعد أن هَدأ بالُكِ؟
- ردَت بِغباء فاتحةً فاهها: ماذا؟
- قال واضِعًا يديهِ على شعرهِ يكاد يَشدُه: تحدثي عن كلِ ما تعرفينهُ عَن الضحِية وانتقي المُعلومات المُهمة مِن الغبية-وشددَّ على آخرِ كلمة-.
- تعجبت من أسلوبه الفظ معها لكنها بررت أن ذلك رُبما من طبيعة عمله ..فإبتلعت إهانته و شرعت بالحديث : أنا لم أكُن صديقةَ دارين المُقربة لِذلك لا أعرفُ كثيرًا عنها.. إلا أنني أعرف أنَّ والِدها رَجل الأعمال الكَبير 'راجي الشاهندي'.. ولقد كانت على خلافٍ دائمٍ معه بسبب كلام أمُها المُنفصلة عنه.. إلا أنَّه يُدللها كثيرًا ويُنفذ لها الأمر قبلَ أن تقوله.. وعلى الرُغم مِن أنها تسكنُ في الإسكندرية إلا أنها أصّرت على أن تكونَ في المدينةِ الجامعية مع صديقتها المُقربة سمر.. كانتا تأتيان إليَّ أنا وصديقتي حياء في السكن.. أحيانًا ...ثم صمتت.
- أكملي.. بِماذا كانت تَتحدث؟..هل قالت لكم يومًا أنَّ أحدَهم يتربصُ بها؟..هل كانت على علاقةٍ بأيّ أحد؟
- قالت وهيَّ تنظرُ إلى قدمِها بِلا تعابير : نعم.. إنها على علاقةٍ بالسيد أحمد علي مطاوع.
- قال وقد ركز نظرهُ على عينَيها: خطيبكِ السابق

- بانَ على وجهها الشفاف علاماتُ الدَهشة مِن معرفتهِ بالأمر.. وتغضَنت ملامحُها بألَم.. أخذت ترتشف بعض الماء لتبتلع تلك الغصة.. ثم استعادت رابطة جأشها : نعم لقد كان ولم نتفق.. لِذلك فُسخت الخطبَة.
- سألها بهدوءٍ أكبر: مَن تركَ الآخر؟
- ردت بِسرعة : أنا مَن تركتُه.
- لِماذا؟
- نظرت إلى الأرض مُفكرة.. ثم رفعت نظرها إليه: لا أظن أن تِلك المعلومة ستُفيدك في شيء.
- بلى ستفيدني.!
- قالت وهي ترسُم اللامُبالاة : هكذا تركتُه لأنني أكرهُه.
- فصحح لها دون أي عاطفةٍ على وجهِه: بل لأنهُ تخلى عنكِ و أُعجبَ بدارين التي كانت تلتفُ حولهُ مِن البداية لتأخذهُ منكِ.
- احمر وجهُها بقوة و أخفت عينيها في الأرض بينَما تَدلى كَتِفُها وهربت دَمعتين وَاهيتين عاجزتين.. سارعت بمسحِهما.. ولكن ما إن اِلتَقت عيناها بهِ حتى كاد يُقسم أن شُعيرات عينيها قد احمرت وكأنها أمضت ليلةً كاملةً مِن البكاء في لحظةٍ واحدة..إن كبرياؤها المُمزق إثر الخيانة لازال ينزف!
- تحدثت بعصبية تُحاول كبتَها: أقسمُ أنني مَن تركتهُ و لا أُريد التحدث في ذلكَ الأمر يا سَيدي هل هذا مُمكن؟!
- رَد موارِبًا بابَ الحديث: بِماذا كانت تتحدث عندما تأتي إليكِ؟
- أجابتهُ وهي تشُد كُم القميص على أصابعِها لعلها بذلك تبث الدفئ لأنامِلها المُثلجة : كانت تتحدث بكلماتٍ تافهة عن الملابس والمُوضة وما تشتَريه.. كانت أيضًا دائمًا ما تنتقدُ ملابسي وتقول أنني لا أفقهُ شيئًا في الذوقِ والأناقة.. ولا علاقة لي بالجمال.

ثم قالت بلا مُبالاة: أما أنا فلم أكن أتحدثُ معها لانشغالي الدائِم بالمُذاكرة و حياء كَذلك.. وببساطة أكملت: لِهذا لم تكن تأتي إلّا قليلًا.

- سألها مُضيقًا عينيه: هل تشاجرتِ معها مِن قبل؟
- ردت مُتلعثمة: لا.. نع.م.. ااا أقصد أننا كُنا نتشاجر شجار الفتيات المُعتاد ولم أكُن أُكِن لها أيةَ مشاعر.
- قاطعها بِحدة إلى حدٍّ ما: لا تَكذبي.. فإنكِ بالطبع لم تُطيقي رؤية وجهِها بَعدما سرقت خطيبك منكِ.. حتى أنها لم تكتفي بِهذا بل كانت تأتي إلى غُرفتكِ لتتحدثَ عنه و عَن علاقتها الخُرافية بهِ.. وفي ذلك اليوم

- عِندما تشاجرتِ مَعها أول مرة بَعد أن وجدتهِ معها في وضعٍ مُخل.. قررتِ فسخ خطبتكِ مِنه.. أليسَ كذلك؟

لم ينتظر إجابتها بل أكمل مُسترسلًا: وقتها لم تستطيعي مَنع نفسكِ أكثر مِن هذا.. كانت مُشاجرة قوية مُدت فيها الأيدي وطالت الألسِنة بِالسباب.. ولم تتوقف تلك المَهزلة عِند ذلك...بنفوذ والِدها أقامت لكِ محضرًا وأُخذتِ إلى الحجز لتأخذي نصيبك الوَافر مِن الضرب و الإهانة طوالَ يومٍ كامل وأنتِ طالبةُ علمٍ متفوقة.. وذات أخلاقًا يُقسم بها الجميع...وعِندما خرجتِ وجدتها أمامكِ ومعها خطيبكِ السابق وبكلِ تَكبر أمرتكِ أن تترجِيها حتى تتنَازل عن المَحضر.

- ذُهلت وچد من معرفته بأدقِ تفاصيلِ ما حدث !..إلّا أن آلامها كانت أقوى في تحديد ردت فعلها

فقاطعتهُ بِمرارة وجُمود تُكمل عنه: قالت لي وهيَّ تضحك محتضنةً إياه بصوتِها القذر.." أحمد قُل لها كم كان يُريد والدي وضعها في الحجز وحدها حتى تتعفن وأنا بِكرمي وطيبةُ قلبي قد رَفضت و تنازلتُ عن حَقي في تأديبها" ...وقتها لم أحتمل فقاطَعتُها صارخةً بها وقد دخلتُ في هستيريا كاملة مِن البكاء و الصراخ وشعرتُ برغبة مُلحة في تمزيقِها إلى قطعٍ لا ترى بالعين المُجردة!..

حتى خرج الجميع و بقيَّ هو يُخبرني أنني مُجبرة أن أترجاها حتى يُخلى سبيلي!..القذر.. عديمُ الإحساس.. كلبُ المال.. سببتهُ بكل الشتائم المُمكنة وضربتُه في كل موضع استطاعت يداي و قدماي الوصول إليه..حتى أُغْمِيَ علي بَعدها مِن الإرهاق العصبي والنفسي.. ولكن حينَ أفقت وجدتني.. وَحدي.

خَفتَ صوتها حتى انقطع.

- فأكمل عنها: وأخبركِ الضابط أنها قد تنازلت عن المحضر إشفاقًا عليك.. وبعد خروجكِ بفترة فوجئتِ أنكِ قد مُنَعتِي مِن دخول الإختبارات النهائية وضاعَ مجهود سنة كاملة مِن عمركِ هباءً منثورًا..

رنَ هاتفهُ مقاطعًا إياه فرفعه مُنصتًا له.. ولم يُتم الدقيقة حتى ألقى سماعة الهاتف بقوةٍ كادت تُهشمه وتحولت ملامحُه حتى مُلئت بالقسوةِ والغَضب.

- قال وقد اشتدَ صوتهُ و صدحَ كصافرةِ قِطار: أينَ كنتِ أول أمس مِن الساعة التاسعة مساءً وحتى الساعة الواحِدة بَعد مُنتصف الليل؟!

- اختفى لونُ الدماء مِن وجهِها و تمتَمت: كنتُ. في..غرفتي.

- ضرب بيده سطح مكتبهِ بقوة وقام مِن مكانهِ صارخًا وقد بَرزت عُروقه: كاااااااذِبة!..لقد تمت مُشاهدتكِ تخرُجين مِن المدينة الجامعية مَع الضحية في تمام الساعة التاسعة والنِصف تقريبًا!

- تراجعت وهي تُحدثه بترجي: نَعم.. أنا آسفة لأنني كذبتُ عليك ..ولكن هي السبب صدقني..لم أكن..أظن..أن الأمور..ست..

قاطعتهم دقات على الباب تستأذن الدخول تلاها دخول الضابط شَريف و ملامحه تُنذر بشيئًا عاجل..اتجه نحو عز يُخبره بحزم أن المقدم عبد العزيز يستدعيه على وجه السرعة و الأهمية..فلحق الأخير به على الفور و هو يرميها بسهامًا متوعدة..و ما إن أغلق الباب وراءه حتى شدد على العسكري الواقف ألا تخرج المتهمة أو يدخل لها أحدًا.

و بالفعل كان الاستدعاء فى غاية الأهمية فقد ناقش كلاهما بعض الأمور الجديدة التي ظهرت فى القضية و أكد المقدم على سرعة الانتهاء من التحقيق قائلاً :

- أريدك أن تُنهى تلك القضية فى أسرع وقتًا ممكن..راجي الشاهندي والد الضحية يُريد الثأر لابنته و بالطبع قد وصلك أنه اتهم الفتاة التي تُحقق معها .

- نعم..وصلني لذلك اسرعتُ باستدعائها يا فندم.

- مال للأمام لتنقر أنامله على سطع المكتب : و ماذا تعتقد بشأنها؟

- لم أحسم قراري بعد لكنني..أشعر أنها أضعف من أن تقتل..انها..

- قاطعه : لا يهمني مظهرها ..أريد الدلائل و الحقائق يا عز .. لن نعتمد على شعورك فى تبرئتها ..لذلك أنصحك أن تركز و تنحي العواطف جانبًا..

- انفعل عز قليلًا: انه حدس ليس إلا..لكنك بالطبع تعرف أنني لا اتعاطف مع المُتهمين و..

- عز..أنت تعلم أنك أكثر من رائد عندي..تعلم جيدًا انني أثق بك..أخبرك بذلك لأنك تعرف ما أقصده نحو تلك الفتاة بالتحديد..لا أريدك أن تتأثر بما رأيته منها سابقًا.

- فهم عز ما يرمي إليه فأومأ قائلًا : أنت مُحق يا سيدي..لا تقلق من ذلك لن أتهاون معها أبدًا.

مرت عشرة دقائق أخرى و ناقشوا بعض الأمور الهامة ثم استأذنه عز لينصرف و يُكمل التحقيق .

عاد عز لمكتبه بعد خمسة عشر دقيقة ليجد وچد مُلقاة على الأرض ودماؤها على أرضية المَكتب البيضاء تسيل دون توقف من رأسها..حتى إن حجابها الوردي قد تلوث!

حملها فورًا إلى الأريكة آملًا أن يستطيع إيقاف نزيفها و هو يهتف بها "ماذا حدث لكِ! ".. تشبثت بقميصهِ تُحارب لتظل وَاعية و حاولت أن تخبره..لكن خارت قواها وانزلقت يَدها المُمسكة بهِ بِوهن ثُم فقدت وعيها.. تفحص مؤخرة رأسها فعرف أنها ضُربت بأداة حادة و أدرك أن جُرحها ليس بِهين فَهتف صارِخًا في العسكري الذي كان يقف بالخارج ليستدعي الطبيب فورًا.. والذي حضرَ خِلال دقائق ليُخيط الشج الذي بِرأسها.

- أخبره الطبيب و هو ينتهي من عمله : يجب أن تذهبَ إلى المَشفى حتى تصلُها العناية الكافَية.

- لِماذا هل الأمر خطير لتِلك الدرجة! إنها لم تنزف كثيرًا على أيةِ حال..

- زادَ قلقهُ حينَ أكد الطبيب قائلًا: يجب أن تذهب فورًا.. فَحالتها غيرُ مُطمئنة على الإطلاق.. لقد خِطتُ الجُرح وهي فاقدة للوعي لذلك لم أستخدم البنج.. إلا أنها لم تَفق حتى الآن.

- يبدو أنَّ الصدمة كانت قوية.. لِذلك أنصحُك بإرسالها للمَشفى حتى تُجري بَعض الفحوصات لنتأكد من سلامةِ دِماغها.. وَافق عز على مَضض فهو مُتأكد أنهُ لن يستطيع احتجازها في غُرفته.. ليسَ هُناك شيء قانوني أو مَنطقي يجعلهُ يفعل ذلك.. بل ذلك يُعد خرق للقانون.

قام بإرسلها إلى المَشفى العام وأرسلَ معها عسكريين يحرُسانها ليمنعَاهَا مِن الفرار إذا استفاقت.. و كأن تِلك الهزيلة يُمكن أن تفِر.

و بدأ التحقيق فيما حدث لكنه لم يصل لشئ .. و اشتعل حنقًا و العسكري يخبره أنه ذهب للمرحاض لدقائق فقط .. و قد استأمن عم صُبحي على حراسة المكتب حتى يعود .. و عم صبحي ينفي دخول أحد للمكتب أمامه .. و بالطبع حاول أن يسوي الأمر بهدوء دون أن يُثير ضجة .. فجَازى العسكري على اهماله لكنه بالطبع لم يرد أن يصل للمقدم ما حدث.. سيصيب السوء سمعته إن حدث.. و قد يستشيط غضبًا و يتهمه بعدم المسؤولية .. فقط كيف جرؤ أحد على فعل ذلك فى متهمة عنده ؟! كيف دخل المركز و استطاع الوصول لمكتبه ؟!..

دار حول المكتب و ظل يتأفف لاعنًا مَجموعهُ الذي جعلهُ يدخل كلية الشرطة.. على الواسِطة التي جعلتهُ ضابطًا.. على الترقية التي جعلته فى مرتبة رائد.. ومِن ثُم القضية التي جعلتهُ يراها مرةً أخرى !

حسنًا سيحتم عليه انهاء الأمر سريعًا بسبب دواعي أمنية هامة و حتى لا يتسرب الخبر إلى الإعلام الذي يُشبه الكلاب المسعورة عندما تبحث على أي قطعة لحم و إن كانت جَيفة لتقتات عليها شهورًا و أيام تخوض فى عرض من مات و تتغنى بالإشاعات و تشعل ما يمكن اشعاله ..

شعر بالتعب يتملكه .. فدخل دورة المياة ليتوضأ و يُحاول إزالة دِماءها مِن على قميصه.. ولكن..كيفَ سيستطيع إزالة دِماءها التي نزفت على قلبه؟

خرجَ مِن دورة المياة بعدَ أن هدأ ..ثم جلسَ على مكتبه ينظرُ لِنقطة سقوطها التي نَظفها العم صُبحي مِن الدِماء..و استرسلت خواطره متدفقة...حسنًا..هو يعرف حكايتها كاملةً.. ومتيقن مِن صِحتها أيضًا بنفسه ..لكن..لماذا كذبت؟!..عادت إليه نوبةُ الحيرة ممتزجة بشعور الخوف..ليس عليها..هي لاتُمثل أية أهمية بالنسبة له سوى أنها الشاهدة المهمة أو القاتلة..و فى كلا الحالتين ستكون السبب فى إنهاء ملف تلك القضية.

عليه فقط أن يأمل أن تَنجو.. ستَنجو حتمًا..ليسَ سيئًا لِتلك الدرجة..و عندما تفيق سيتبينَّ إن كانت هيَّ القـاتلة أم ..لا..نهر نفسه ..هل تضحكُ على نفسك يا عز..إنَّ مُفردات القضية واضِحة وضوحَ الشمس..وأنتَ تتسائل إن كانت هيَّ أم لا!..بالطبع هي..يكفي التفاصيل الجديدة التي ظهرت..تُدينها بشكلٍ ما..فقط ..ما يُحير هو الضربة التي أخذتها على رأسها..هل يُمكن ان تكون هي من فعلت؟!..

حسنًا لا يستبعد هذا ابدًا..فعلى مدار عمله أدرك ان هناك نساء يُمكنها ايذاء نفسها و الآخريين لأجل الانتقام فحسب..و هذا يمكن أن يكون دافعها..لكن هناك احتمالاً أخر يلوح فى الافق..أغلب جرائم النساء..يكون هناك شريك يُنفذ و هي تخطط..لعل شريكها أراد التخلص منها..لكن لماذا يشعر ذلك الشعور المُقبض كلما فكر بها بتلك الطريقة..لماذا يصرخ صوتًا برأسه انها بريئة براءة الذئب من دم إبن يعقوب؟..

أمسك رأسه مُتأثرًا بالصداع الطفيف الذي انتابه ثم أمرَ بكوب قهوة آخر..دَخل عم صُبحي بوجههِ الذي حفرَ الزمنُ عليهِ آثاره..ثم وضعها على مكتَبهِ قائلًا باتزان: بالصحةِ والهناء عليك..أرجو أن تسامحني لكنني والله لم اترك الباب.. و لم أسمح لأحد بأن يدخل أو يخرج .

- اومأ عز ثم تناول فنجان القهوة البُني و سأله بهدوء: هل سمعت أي صوت من الغرفة بدا لك غريبًا عندما راقبت الباب؟
- لا والله لم أسمع..و أخشى ان يكون حدث شئ و لم أسمعه فأنا كما تعلم كبرت و ما عادت الحواس بذات قوتها..لقد قلت للعسكري طهَ ألا يُحملني تلك المسؤولية..لكن الغبي جرى لدورة المياة ولم يُمهلني الفرصة.

- حسنًا.. سَلمت..أخذَ يُطالعُ أوراقهُ بتركيز يحاولُ ربط أحداث تلك القضية و لم يفته ما قاله عم صُبحي..يشك فى العسكري .. ولم يمضِ الكثير حتى سمعَ صوتَ شجارٍ بالخارج.

- فنادى مُنزعجًا وقد عَلى صوته: عم صُبحي.
- ما هذا الصوت؟
- أجاب مُسرعًا: إنها آنسة تسألُ عن أحدِهم يا سيدي.
- وهل يحتاج السؤال عَن أحدهم كل هذا الصوت؟
- إنها غاضبة يا حضرةَ الرائِد .
- تَرجم عُلو الصوت حديث العم صُبحي.. فخرجَ عز حتى يَتبين ماهيَّة الأمر.
- حولت نظرها إليه وهي تُحاول تجديدَ ثقتها في نفسها .. تفحصها بنظراتٍ مُستنكرة .. متوسطة الطول.. محجبة.. تُحيط عينيها عويناتٍ شفافة.. لاحظ أيضًا تلك النَظرَات الغريبة التي توجهها له.
- قال بصوتهِ الحازمِ في طبيعتهِ: من أنتِ يا آنسة؟..هل تظنين نفسكِ في سوقٍ أم ماذا!..ألا تعلمين أنه بإمكاني احتجازكِ بتهمةِ إزعاج السُلطات العامة.
- اجابته وقد انخفضَ صوتُها من شِدةِ حرجِها: آسفة.. لـكن هو مَن استفَزني وأنا طالبةُ حق.
- وما الحق الذي تطلُبينه؟
- سَيدي إنَّ أختي هُنا وأنا أبحثُ عنها.. وعندما سألت ذلك العسكري قال مُتحفظًا عما يعرفه أنَّ هذهِ أوامرُ الرائد .
- سأل مُتوجسًا: ما اسمُها؟
- ردت بِلهفة: وچد سليم محمد الزهراوي .
- قال غاضبًا وقد عَلى صوته مرةً أخرى: وچد سليم محمد الزهراوي لا تمتلك أخوات إناث يا هَذه.. لا حاجة للكذب!
- ضاقت عيناه ثم أردف قائلًا وكأنه أدرك ما قالت لِتوها: مَن أخبركِ أنها هنا؟!وأُكرر لا حاجة للكذب إن تكرمتِ.
- بقيت تنظر له بعينين زائغتين وفمُها مُغلق تمامًا لا تدري بِماذا تُجيبه حتى سألها وقد نفِذ صبرهُ مِنها: ما اسمُكِ يا آنسة؟
- ردت بِتوجس: أنا حياء كامل المنشاوي

- قاطعها وهو يُشير لها أن تتبعهُ إلى مكتبِه: جيد.. كنتُ سآمر باستدعائك.. ولكنكِ وفرتِ عليَّ ذلك.
- زاد توترها أكثر إلّا أنها صمتت وتبعته نحو ذلِك الباب الخشبي والذي كُتب عليهِ بالخطِ العريض "الرائد عز الدين محمد"

- جلس عز على عَجل وجلست هيَّ الأخرى بعد أن بحثت بعينيها في الغرفة تأملُ رؤية رفيقتها لكن ليس هُنالك أي أثر.

- إذكري لي ..اسمكِ وعمركِ وعملكِ وعنوانكِ.
- اسمي..حياء كامل المنشاوي.. أبلغ ٢٤ عامًا مِن عمري..لا أعمل..أنا طالبة في كُلية طِب الإسكندرية . أيضًا لا أملكُ منزلًا فأنا لستُ من سُكان الإسكندرية.. ولكنني أُقيم في المدينة الجامعية.. في الطابق الثالث.. الغرفة رقم ٧٨.

- أخذت شهيقًا مرتجفًا.. ثم لم تلبث أن سألت: هل يُمكنني أن أعرف أين وجد الآن؟ ..ولماذا أنا في مكتبِ التحقيق؟
- ردَ بهدوءٍ يثيرُ الأعصاب: أولاً أنا الذي يسأل هُنا.. ثانيًا وهذا الأهم لم تُجيبينني بَعد؛ كيفَ عرفتي أن وجد هنا؟
- لم تُجبه.. بل شردت.. عِندما أفاقت صباحًا ولم تَجد وجد على سريرها.. كادت تسقط عندما قامت مسرعة تبحثُ عنها في أنحاء تلك الشقة الصغيرة وهيَّ لا تنسى تلك الحالة التي كانت بها..ولكنها لم تجدها.
- كان صوتُ نبضات قلبها يرتفع مع كلِ رنة.. في النهاية انغلق الخط ولا مُجيب.. لم تنتبه إلى صندوق الوارد الذي يحملُ رسالةً مِنها على تطبيق الواتس آب:

- "چوچو

(٦:٣٠ ص)"

تأملت ساعةَ إرسالها مُتعجبة.. ولكنها سرعان ما تجاهلت أمرها وأخذت تأكل حروفَ الرسالة:

"جميلتي حياء.. أحبكِ مِن كلِ قلبي.. لقد كنتِ صديقتي الوحيدة وأختي الذي تمنيتُها من الله كثيرًا.. أنا الآن في طريقي إلى مركز سيدي جابر الذي يقع فى (..).. لقد أيقظتني عايدة-عاملةُ النظافة-تُخبرني أنهُ يجب علي النزول بسُرعة لأنَّ هناك مَن يُريد رؤيتي بالأسفل.. إرتديتُ ملابسي وكدتُ أن أوقِظك إلا أنني تذكرتُ تشديدها على النزولِ وحدي.. لم أتأخر كثيرًا.

و بالأسفل وجدتُ عسكري يقف بإنتظاري.. فورَ أن رآني أخبرني أنهُ قد تمَ استدعائي لأجل شيءٍ بالغ الأهمية.. حاولتُ أن أتحججَ بأيّ شيءٍ لِأصعد لكِ.. إلا أنهُ رفض و أصر على أخذي معهُ فورًا...أنا خائِفة يا حياء لقد قُلتِ لي أنَّ كُل شيءٍ سيكونُ على ما يُرام.. إلا أنهُ يبدو و كأنَّ حياتي لن تُصبح على ما يُرام أبدًا..ما حدث اول آمس قد كُشف أمره و انا لن.."

- أجفلت مِن صوته الذي أفاقها مِن شرُودها: آنسة حياء متى ستتكرَمين وتُجيبيني على سؤالي!
- قررت شيئًا ما .. وأجابت: لقد ذهبتُ إلى كلِ المراكِز والأقسام باحثةً عنها.. ولقد دلني أحدهم على احتمالية وجودِها هُنا .
- سأل بشك: وكيفَ أمكنكِ البحث عنها في كلِ مراكز وأقسام الإسكندرية ولم يمُر على اختفائِها غيرُ أربعِ ساعاتٍ فقط !
- مدت يدها ترفع عويناتِها التي انزلقت قليلًا ثم أجابت بهدوء: لقد بحثتُ عنها في المراكز الرئيسية والقريبةِ فقط مِن المدينةِ الجامعية.. وقد صادفَ أنها في إحدَاها.
- ثم أردفت سريعًا حتى لا تُكشف كِذبتها: سوفَ تسأل لماذا بحثتُ عنها في المراكز أولاً.. بينما كان مِن البديهي أن يَخطر ببالي البحث في المُستشفيات.. عندها سأُخبرك بأنها كانت نائِمة بجواري طوالَ الليل.. ولم تكن بالخارج.. إذًا أن يُصيبها حادث لا سمح الله أمرٌ مُستبعد..

أيضًا هيَّ لا تُعاني مِن أي أمراضٍ مُزمنة.. وحتى إن أصابها شيء كانت ستُوقظني لِأذهب بِها إلى المشفى.. وكذلك لم أتوقع خروجها مع أحد فهي لا تمتلك أصدقاء.. لهذا عِندما أفقت ولم أجدها نزلتُ لِأبحث عنها في المدينة الجامعية وصادفَ أن رأيتُ عاملة النظافة فسألتها عن ما إن كانت قد رأت وجد أم لا..والحمدُلله أخبرتني عن العسكري الذي جاء صباحًا يستدعيها مما جعلني أبحثُ فى كل الأقسام .

كان كلامُها مقنعًا.. لذلك صَدقها تمامًا

- صمت قليلًا ثم أردف : لولا أنني كنتُ سأستدعيكِ للتحقيق ومِن الطبيعي أن تعلمي بالأمر.. لكانَ لي تَصرفٌ آخر مع تِلك العاملة .
- ولكن ما الذي جعلكِ تقلقينَ عليها أساسًا؟.فَمن المُمكن أن تكون قَد ذهبت لتَشتري طعام أو..

- قاطعته: وچد لا تذهبُ لأي مكان قبل أن تُخبرني.. ثم إنها تخافُ أن تكون في مكانٍ وحدها بدون شخصٍ تعرِفه .

- حكَ ذقنهُ بتفكير وهو يُرجع ظهرَه لِلوراء قائِلًا: نعم لقد لاحظتُ ذلك.. ثم فكر.. يبدو وكأنها لا تقدر على قتل صرصورٍ حتى فكيف تقتلُ بشرًا ؟ !

- سألته و قلبها يخافُ الإجابة: سيدي هل يُمكن أن أعرف لماذا تَم استدعاء وچد؟..وأين هي الأن؟
- رد بِسؤال.. وكأنهُ لم يَسمعها: هل تعرفين "دارين راجي الشاهندي"؟
- تقلصت ملامحها.. وضاق صَدرها مِنه ومِن تلك التي يسألُها عنها: نعم أعرفُها .
- ما علاقتكِ بِها؟
- معرفة سطحية ليسَ أكثر .
- حقًا؟.. لماذا إذًا كانت تأتي إلى غرفتكِ أنتِ ووچد؟
- لقد كانت تظنُ نفسها صديقتنا لِمجرد أنها قرَرت هذا..وأنا حقًا لم أكن رائقةَ البال حتى أستمع لِتلك المواضيع الفارغة التي كانت تأتي بها.

كانت تأتينا أحيانًا.. وتلك الأحيان كانت مِن أثقل الأوقاتِ على قلبي وعلى قلبِ وچد هيَّ الأخرى.. فهي لا تشتركُ معي أو معها في أي شيء..مغرورة.. لايتوقف حديثُها عن نفسها وعن ثراءِ والِدها.. مُهملة في دراستها.. أنانية.. لا تهتمُ لِأمر أحد ولا شيء يُفرحها أكثر مِن أن تُحقرَ مِن شأنِ الآخرين.. جاهِلة لا تفقهُ شيئًا فى العلوم أوالثقافة أو الدين.. كانت تضحكُ هازئة عِندما ترانا ندرُس و كأنها وليام أوسلر أو أينشتاين.. لا تستطيعُ أن تقرأ بطريقةٍ لغويةٍ صحيحةٍ و تهزأ من حلم تلك فى الكتابة او الشعر!

مُتنمرة لأبعدِ الحدود.. وعِندما كان يُناقشها أحدهم عن سوء ما تفعله؛ لأن هذا يُمكن أن يقتُل عوضًا عن الأذى النفسي الذي يُصيبُ مَن حولها.. حينها كانت تقول هازئة ' هذا أفضل فليَنقص مِن الضُعفاء الأغبياء واحدًا.. عسى أن يتجملَ الكون ' وفي أوقاتٍ أخرى كانت تضحك قائله ' أنا أمزح ليسَ إلا .'

- قال وقد ملأت نفسهُ الحيرة مِن ازدياد عدد المُشتبه بِهم: هل تعرفين أنَّ دارين وجِدت مقتولة في أحدِ شواطئ الإسكندرية أولَ أمس بعدَ مُنتصف الليل .

- جحظت عيناها وتجمدت في مكانها كتمثالٍ حجري للحظة أو لِأكثر ..ثم وقفت فجأة وكل خليةٍ بها تُعبر عن مدى صدمتها: ماذا!.. كيف!.. دارت حول نفسها في الغرفة ثم أمسكت رأسها بيدها اليُمنى تُحاول استيعاب ما قال.
- ركزت نظرها في الفراغ ثُم تشبثت أناملُ يدها اليُسرى بظهرِ الكُرسي وهيَّ تهمس باستنكار: مستحيل.. يستحيلُ أن يحدُث هذا .
- كان عز يُطالعها بهدوءٍ شديد يقول لها كلمات على غرار: اهدئي.. البقاءُ لله.. اجلسي مِن فضلك .

لم تكن تستمع لِما يقول تَشعر أنها مُغيبة بالكامِل...كانت في عقلِها الباطن تُحاول البحث عن أيِّ شيء وكلِ شيء..لم تكن تستَحيل موتَ دارين.. بل فلتذهب للجحيم ليس هُناك ذرةُ حزنٍ واحِدة حتى.. المُعضلة التي كانت تُخيفُها وتجعلها تدورُ في مكانها كذُبابةٍ ضُربت بِخُفِ أحدِهم هو وجد!..ما علاقةُ وجد بِالأمر ؟..هل هيَّ مُتهمةٌ بقتلِها؟..اللعنة عليكِ يا دارين تتسَببين في شقاء تِلك المسكينة حتى بعدَ موتكِ..لحظة..لقد تذكرت حالة وجد أولَ أمس !

" ليلة التاسع و العشرون من إبريل "

دقت الساعة مُعلنة مُنتصف الليل ووجد لم تَعد حتى الآن!

ولم يَستقر العقرب عند نصف الساعة حتى كانت وجد تجلس قرب الباب تسرحُ في الاشيء.. مُرتعدة الأطراف.. يقطر الماء مِن ملابسها وكأنها أمضت ليلةً كاملة تحت المَطر..لكنها لا تمطر فى ابريل!

آخذت تهذي بكلماتٍ لا يُفهم منها إلا بعضُ حروفها إن سُمعت مِن الأساس..في النهاية نامت حيثُ جلست بِلا شعورٍ منها.. حملتها حياء إلى سريرها وقلبها يرتجفُ خوفًا على حالتها تلك. .حاولت النوم.. لكنها كلما غفت قامت فزعة من صراخ وجد المُتكرر طيلة هذه الليلة الغريبة!

لقد أمضت يومًا كاملًا على سريرها.. لا تُغادره.. ولم تنطقُ بحرفٍ واحد لها حتى بعدما افاقت من حالتها تلك ..لحظة..أين هي الآن؟

- نظرت لعز بذعر وسألته بِعصبيةٍ غير مَقصودة: ما علاقة وجد بالأمر ؟! أجبني..أين هي الأن؟
- تعجب عز مِن شكلها.. إلّا أنه رمى كلماته في وجهها قائلًا بترقب: وجد.. هي المُتهمة الأولى في قتلها!

- قاطعتهُ صارخة برعبٍ حقيقي.. وارتفع صوتها مُنكرةً ما يقول: مُستحيل! هل تفهمني! هذا مُستحيل..يستحيل أن تكونَ وجد هيَّ القاتلة.. يجب أن تفهم ذلك .

- وقف ضاربًا مكتبه بقوةٍ أعادت لها رُشدها.. ثم قال وقد طغى بصوته على صوتِها: آنسة حياء هذا غيرُ لائقٍ بالمرة!..انتقي كلامتِك واخفضي صوتكِ هذا!..أذكركِ مره أخرى أنتِ في مكتبي ولستِ في سوقِ الخضار!

هالها الطريقة الفجة التي تحدث بها معها فرمت بجسدها على الكرسي وذهبت في عالمٍ آخر و هي منهارة القوى تمامًا ..نادى عز عم صُبحي ولا زالت نبرة صوته الغاضبة مُرتفعة حتى يأتي بكوبٍ مِن الماء سريعًا إلى تلك التي تجلس أمامه بلا أدنى وعي .

أما حياء..فلا يُدرك عقلها شيئًا ولا يُفكر إلا بِوجد..ملابسها وارتجافها تلك الليلة.. الساعة المتأخرة التي أتت بها.. رسالتها .. وكلماتها الأخيرة في تلك الرسالة.

رفعت بصرها إليه بخوفٍ لا يُغادرها ثم همت بالتحدث.. إلّا أنَّ كلماتها لم تخرج وكأنَّ صوتها قد اختنق فى حنجرتها كما تختنق الأنفاس فى رئتيها ..شربت كوب الماء على دفعةٍ واحدة تُحاول تهدئة ذلك الخوف المُشتعل في كيانها تحاول أن تهدأ حتى تفهم..نعم...يجبُ أن تهدأ.

- سألته وكأنها قد تذكرت شيئًا : ما هو سببُ موتها؟
- طالعها لبُرهه يُخمن سببَ سؤالها.. ثم قال: نوبة قلبية مُفاجئة!
- قاطعته بقوة: إذن وكيف يكون في الأمرِ شبهة جنائية؟.. لعلهُ قضاء الله وقدرُه .
- قال بهدوء مُخيف: لقد وَجدنا آثار عنف جليٍّ على جسدِها.. فعلى عنُقها هُناك آثارُ خنق.. وبقيةُ جسدها مُشوه بالكامِل .

- قالت بحدة نتجت مِن خوفها على صديقتها: وكيف لوچد أن تفعل ذلِك ؟!..إنَّ وچد لا تستطيعُ الاعتداء على دجاجة يا سَيدي عوضًا عن أنها ترتعبُ مِن خيالِها أساسًا !
- خرج صوته مُحذرًا لها مِن علو صوتِها مَرة أخرى: آنسة حياء اسمعي جيدًا.. صديقتُكِ متورطة في الأمر بسببِ العداوة التي بينها و بينَ دارين عوضًا عن الأدلة التي وجدتُها !

- استنكرت قائلة : عداوة!..لقد كانت وچد تُعاملها مثلي تمامًا.. مَن الذي يستطيع أن يحبها وهيَّ بتلك الصفات!..ولكن عذرًا يا حضرةَ الرائد ما هي الأدلة التي تُدين وچد؟

- قال وقد قطبَّ ما بينَ جبينيه: قلتُ لكِ مِن قبل أنا مَن أوجه الأسئلةَ هنا.. ثم إنَّ تلك معلومات خاصة ولا يحق لأحد أن يطلع عليها...أما الآن فعلي أن أسألكِ سؤالًا مهمًا.. و إن كنتِ تخافين على مصلحة صديقتك فعليكِ أن تكوني صادقة تمامًا فى الإجابة..أين كانت وچد أول أمس الساعة التاسعة مساءًا.. وأينَّ كنتِ أنتِ أيضًا؟
- ابتلعت ريقها وقالت بهدوء: أنا كنتُ مع صديقةٍ لي ولقد وصلنا إلى المدينة الجامعية الساعة العاشرة أو العاشرةِ ونصف تقريبًا.. وفورَ وصولي صعدت عند إحدى زميلاتي لأنني كنتُ قد نسيتُ عندها غرضًا يخصُني.. وعندما عدتُ للغرفة وجدت وچد نائمة..إلّا أنني لا أذكُر كم كانت الساعة وقتها .

- هل رأيتي أي شيء مِن دارين بَدا لكِ مريبًا؟
- لا.. لم أرى .
- حسنًا شكرًا لكِ لقد انتهى التحقيق.. يمكنكِ الذهاب .
- قالت بتصميم: ولكن أنا لم آتي هنا للتحقيق!..أنا أُريد أن أعرف أينَّ وچ..
- قاطعها قائِلًا بحزم: آنسة حياء لقد انتهى التحقيق.. وقد أوضحتُ لكِ مِن قبل أنَّ هذا ليسَ مِن شأنكِ !
- غزت الحمرةُ وجهها مِن شدة غضبها.. إلّا أنها قامت تصفع الأرض بأقدامها خارجةً ولم تكد تُغلقُ الباب خلفها حتى ظهرت مرة أخرى تنظرُ له بتحدٍ وغضب :
- سأجدُها بنفسي إذًا !

ثم أغلقت الباب تتمنى بذلك تحطيم ذلك المبنى على مَن فيه .

- اتسعت عيناه مما رأى لتوه ثم قال هامسًا: مجنونة تمامًا مثل صديقتها..إنها قضيةُ شؤم.. أعرفُ هذا .

بَعد ما يُقارب الساعة دخل العسكري على عز الذي كان يُسندُ ظهره للوراء رافعًا رأسه ينظر للسقف بتفكيرٍ و تمعن ..استقام عز بظهرهِ فورَ رؤيته لذلك الخبيث الذي يقف بجانب العسكري.. يبتسم ابتسامةً صفراء.. ميته كقلبهِ تمامًا.

- قال وقد وضع ساق فوق الأخرى بازدراءٍ وسخرية: رائع.. ها قد تقابلنا مرةً أخرى..وسبحان الله أكادُ أجزم أنَّ القدر يُعيدُ نفسه.

” قَدْ تَكُونُ الْحَقِيقَةُ مرُّهُ كَالْحَنْظَلِ إلّا أَنَّ الْحَيْرَةَ لَعينة ,,

- خرجت حياء مِن القسم تسبُ كل مَن بهِ فى غضب و حنق من معاملتهم الفجة لها.. حتى أوقفت سيارة أجرة وعَقلها شاردٌ تمامًا.. لا تدري ماذا يُمكن أن تفعل الآن..ألقت بعويناتها جانبًا فور ان ركبت و هي تمسح على وجهها بكفيها ..ثم ضمت رأسها بهما تحاول أن تستجمعَ شتات نفسها.. ما بيدها حيلة..و ليس أمامها غيره.. هل تطلبُ مساعدته؟
- الجميع يقولون أنه تغير..ولكن.. ماذا يا حياء؟..أين عهودكِ على نفسكِ؟..لكنها تحتاجه الآن فمجالُ عملهِ سُيساعدها بالتأكيد.
- حسنًا.. ستتصلُ بهِ لصلةِ القرابةِ التي بينهما.. لا بأسَ بهذا.
- أخرجت هاتفها بأيدي مُرتجفة تتصل بهِ قبل أنَّ تُغير رأيها.
- على الجانب الأخر تغير وجهه مئة و ثمانون درجة فور تلقيه إتصالها و اجتاحته الفرحة مختلطة بعدم التصديق و مشاعرُ أخرى لا يمكنه تفسيرها.. اجاب اتصالها بلهفة و رفع الهاتف إلى أذنه حتى تسرب له صوتها العذب يرويه بعد ظمأ شهور.
- و بنبرةٍ مهتزةٍ قالت: السلام عليكم.
- فرد بإتزان رُ غم كل ما يعتملُ صدره من انفعال: وعليكم السلام.
- سألته بهدوءٍ مُصطنع تُخفي بذلك نوبة البُكاء التي اجتاحتها: كيفَ حالُك؟
- رد بنفس النبرة الهادئة: الحمدُلله بخير.. وأنتِ ما حالكِ؟
- الحمدلله..ثم صمتت.
- أخذت تلومُ نفسها على تَسرعها في الأتصال ..إنها حتى لم تُرتب حديثها.. ماذا يجب أن تقول الآن.. أنى لها الحديث معه بتلك البساطة بعد كل ما حدث؟..ليتها لم تتصل.. تنهدت بقلق و ارتجاف .
- فوصلت له ارتجافها لتصيب صوته بالقلق : ماذا بكِ؟..هل أنتِ بخير؟
- سال دمعُ عينها لسؤاله فأجابتهُ وصوتها يختنق: لا.. أنا لستُ بخيرٍ يا جاسر..دارين قُتلت ووجد مُتهمة في قضيةِ قتلها..ولا أعرف أين هيَّ الآن..فذلك الغبي البغيض يرفضُ إخباري بمكانها.. وفوقَ ذلك قامَ بطردي و.. انخرطت فى البكاء امام سائق السيارة الذي أقلقه امرها.

- فحاول جاسر مقاطعتها بإنفعال قلِق: حياء أرجوكِ اهدئي قليلًا.. كلُ شيءٍ سيكونُ على ما يُرام و لكن اهدئي ارجوكِ وأفهميني مَن تلك التي قُتلت.. ومَن ذلك الوقح الذي قام بطردكِ!

- لم تجبه.. ولكن صوت شهقاتها كان يخترقُ قلبه.. زفر قائلًا بألم: أين أنتِ الآن يا حياء؟
- اجابت بصعوبة بالغة: أنا في طريقي إلى السكنِ الجامعي.
- حسنًا لا بأس امسحي تلك الدموع الآن.. ولنذهب للمقهى الذي اعتدنا ذهابه.. حسنًا ؟
- أجابته وقد هدأت نفسُها: حسنًا.

في مكتبِ التحقيق..

جلس المُتهم الذي جاء به العسكري بعد أن سمح عز له بذلك ثم سأل بهدوء: هل لي أن أعرف لمَّ أنا هُنا؟

- أنتَ هنا للعلاقة التي تربطُك بالضحية دارين راجي الشاهندي التي قُتلت أولَ أمس.
- انتفض واقفًا بصدمة: دارين قُتلت؟!!
- قال عز وهو يتفرس ملامحه: نعم.. لقد قُتلت أول أمس كما قُلت.
- جلس مرةً أخرى وهو يُخبِئ وجهه بكفيه ويبكي مُنتحبًا.
- تأملهُ عز بسخرية حادة: شش..ارفع رأسكَ وأجبني يا أرملَ الضحية.. أو دَعنا نكون أكثر دقة.. ما رأيك في طليقها؟
- رفعَ أحمد رأسه بصدمة وهو يبلع ريقه ببطئ: ماذا.تـ.تقول.أنا لم أتزوج..
- التمعت عيناه بمكرٍ ثم زجرهُ قائلًا: بلى تزوجتها منُذ شهرين في السر.. زواج عُرفي.. ولكن ياللأسف فقد قُطعت تِلك الورقة تصحبها كرامتك في بار ' لوسيفي' منذُ عشرةِ أيام تقريبًا بيد حبيبتك المَصون.

- تدلت رأسه بذُل وجفت دموعه: لن أُنكر أنني كُنت على علاقةٍ بها وتزوجنا سرًا لأن والدها ما كان ليَرضى بي وأنا دونَ مستواهم.. لكنها شرطت أن تكون ورقة زواجنا معها.. لأنها صاحبةُ الفكرة.

ضحك بسخرية لاذعة ثم قال: وأنا وافقت لأنني أحببتُها.. لكنها تغيرت معي فجأة وصارت تُهين كرامتي كما لو كنتُ عبدًا لها..

كانت تتفاخر بعلاقتنا في البداية حتى بدأ مستواي الدراسي يتدنى بسببها و صرت اتغيب لأكون معها و احاول تلبية رغباتها كُلها.. و أتى ذلك اليوم عندما ذهبنا إلى البار.. وهناك طلبتُ منها إقراضي بعض المال ولكنها كانت ثملة فصرخت بي أمام الجميع قائلة أنها سئمتني و سئمت عيشي على حسابها وظلت تكذبُ أكثر فأكثر حتى تستمتع بإهانتي ثم أنهت حفلتها بتقطيع تلك الورقة التي تجمعني بها على مرأى و مسمعً من الجميع.. ومنذُ ذلك اليوم لم أرَها..

- كيفَ قتلتها إذن؟
- هتف باندفاع قائلًا: أنا لم أقتلها!..فأنا لن أُضيع مُستقبلي مِن أجل حقيرة مثلها.
- تجاهلهُ عز: أينَّ كنت أولَ أمس الساعة التاسعة مساءًا؟

- كنتُ مع صديقين لي في مقهى ضوء القمر" moonlight cafe" من الساعة الثامنة وحتى الساعة الثانية بعد مُنتصف الليل.
- ابتسم عز بنصرٍ غريب ثم قال بروتينية: اذكر اسم صديقَيك كاملًا؟
- سمر ممدوح سامح.. وقاسم علي مرتضى.
- حسنًا يمكنك الذهاب.. انتهى التحقيق.
- خرج أحمد يمسح وجهه الذي اغرقتهُ دموع التماسيح منذُ لحظات وهو يزفر قائلاً مِن بينِ أسنانه: ذلك المُتعنت القذِر كم أتمنى أن أُدمي وجهه كما فعل بي يومًا.

أمر عز ضابط الاستخبارات بجمع كل المعلومات الممكنة عن سمر ممدوح.. وقاسم علي مُرتضى على وجهِ السرعة..ثم أرجع رأسه إلى الوراء مُفكرًا.. يشعر وكأنَّ رأسه سوف ينفجر.. لم ينم سوى سبعةِ ساعات فقط مِن أصل ٤٨ ساعة مضت.. وهل قد نال الإرهاقُ مِنه؟ ..أم تلك القضية تتعقد أكثر حول عنقه حتى توشك أن تخنقه..دعنا نُرتب الأفكار..وچد هيَّ آخرُ مَن تواجدَ مع الضحية إلّا أنهُ حقًا لا يعلم.. يشعر وكأن الفاعل أحدٌ آخر.. بل هو مُتأكدٌ مِن ذلك...حدسه يقول أنَّ تلك القضية ستكونُ أكبر وأعقد قضيةٍ قابلها في حياته .

- قطع عم صُبحي حبل تفكيره عندما سأله: هل أُحضر لك فنجان قهوة آخرسيدي ؟
- وقف عز و سحب سترته قائلا :لا فأنا ذاهبٌ الأن.
- خرج عز و هو يركب سيارته عازمًا على أن يراها بنفسه.

وصل هو قبلها إلى المقهى و جلس على إحدى المقاعد ينتظرها.. ليتذكر كل شئ كان متعلقًا بها يومًا..المقهى صغير حميمي إلا أنه مميز بطرازه الفني الجميل.. الحوائط تلونت بألوانٍ هادئة .. الكراسي تعلو قليلاً عن الطبيعية.. الطاولات الكبيرة بالداخل لمُحبي الهدوء بينما الطاولات الصغيرة تراصت على أطراف المقهى المُطل على الشارع و من بعده البحر الذي ملئت رئحته أنف جاسر حتى راح فى عالم أخر وسط تأمله للأفق الازرق .

ضحك ساخرًا من نفسه فجأة يحاول أن يستعيد قسمات وجهه الصارمة و هو ينهر نفسه و يتساءل عما سيقوله أصدقاءوه إذا رأوه هكذا.. يجلس كفتاة شاردة يضحك و يقطب جبينه كالأبله..لكنه تذكرها و تذكر تقاسيم وجهها وحاول تقليد تعابيرها عندما تُطالع البحر دون أن يشعر.. اشتاقها بشدة و اشتاق ضحكة عينيها المَرحة .

- نظر للشرفة التي بجانبه و هو يلومُ نفسه..رغم كل ما بها من صفاتٍ جميلة إلّا أنني كنتُ كالأسد الأعمى معها .. قاسيًا و كأنني سرقت قساوة الحجر نفسه لأدهس أجمل وردة فى عمري.. كنتُ كثيرُ اللوم.. شحيح الثناء أو الشكر.

كنتُ اسخر منها عندما كانت تطمئن علي أو تُحدثني بحنانها الذي لم أتذوقه يومًا و كأنني أحد اطفالها.. و لقد كانت تغفر كأم لا يمكن أن تغضب من ابنها قط مهما أذنب فى حقها.. و بكل حقارة استغليتُ ذلك بأبشع الطرق..فلقد أردت أن تكون لي وحدي و أن أُبعدها عن أي أحد أو أي شئ يُمكنه ابعادها عني.. كنت أُريد أن أسيطر عليها لأكون محور حياتها كأنني أنا الأرض و هي القمر الذي يدور فى فلكي ليل نهار دون كلل أو ملل.. لكنني لم أحسب أن قمرها سيغيبُ عن ارضي ابدًا.. لم احسب حساب ظلامي الذي غُصت فيه فور رحيلها .

أغمض عينيه يتذكر فراقهما بألم و دعى الله أن تسامحه وانتظرها و هو غارق فى ذكرياتهما معًا.

حتى وصلت أخيراً و رأفت بحاله.. دخلت المقهى تبحثُ عنه بين الموجودين و كان على الطاولة التي شهدت كثيرًا من شجارهم أكثر من وفاقهم.. عندما رآها آتية إليه شعر بأن قلبه دق دقاتٍ مُلحنة خاصة بها

وحدها ...و تساءل هل لازال قلبُها يعزف نفس الدقات له أم زالت آلحانه عنها ؟..إقتربت وجلست أمامه وهي تتنحنح وتسعل بعض الشئ علها تُجلي التوتر من حنجرتها.

- السلام عليكم.. كيف حالك يا جاسر وكيف حال عمي وزوجته ؟
- رد ووجهه شديد القسمات كما اعتادت منه: وعليكم السلام الحمدلله جميعنا بخير .
- قال وقد طل من عينيه بعض الحنان الذي بالكاد يُحارب ليظهر: وأنتِ ما حالكِ ؟
- حجبت عينيها عنه تُطالع البحر: الحمدلله بخير.
- سألها وهو يُشير إلى النادل: هل مشروبك كما اعتدتِ أم تغير ؟
- بلى تغير..ككُل شئ.
- بُهت بما قالت وقال متعجبًا دون أن يبتسم: حقًا..ومنذ متى إذن ؟
- ضحكت عينيها أولًا قبل حنجرتها من فرط التوتر ثم قالت ناظرة في قائمة المشروبات تُخفي عينيها عنهوتتحدث للنادل: بلى أمزح.. لو سمحت هل يُمكن أن تأتي لي بكو..
- قاطعها وهو يسحب منها قائمة المشروبات: إثنين شوكولاته بالفراولة حجم متوسط لو سمحت .
- قالت بتعجب وقد ارتفع حاجبها الأسمر دون الأخر: ضابط المباحث الجنائية الموقر يُريد شوكولاه بالفراولة..منذُ متى وأنت تشربه ؟
- رد بجدية وهو ينظر في ساعته أولاً ثم عينيها: منذُ شهرين وثمانِ أيام وسبع ساعات وثلاثة دقائق وبعضُ الأجزاء من دقيقه أخرى!
- قطبت جبينها بعدم فهم: ولما لم تكن تحبه من قبل ؟
- ابتسم وعيناه تسكُنان عينيها: كنتُ أحبه إلا أنني لم أكن أعلم.

تعجبت وأحمرت وجنتيها وأخفضت عينيها وشعرت بالغباء ماذا يقصد؟.. هل يعبثُ بها ؟.وما هذا التاريخ؟!..قطع حبل أفكارها النادل عندما آتى ووضع الكوبين أمامهم.. أخذ هو كوبه وبدأ في رشفه بتلذذ ووقار وهي مندهشه تفتح فمُها حتى ضحكت ضحكاتٍ رنت في قلبه.

وجاهدت في ألا تعلو اكثر..مازحها بحركاتٍ طريفة وهي تحاول منع دمع عينيها من التقافز حبًا و دفئًا.. ولا زالت تضحك..حاولت أن تُسيطر على نفسها فشهقت تختطف بعض الهواء بينما غزى الورد الأحمر

الجُوري لون وجهها..و كأنها لم تضحك منذُ أن رحل عنها.. كانت في فراقه كمن فقد معنى الضحك.. كمن إذا ضحك نظر له الجميع يسألونه ما هذا النشاز ؟..ما تلك الضحكات التي تفتقر إلى إيقاعُها ؟..كان قلبُها جائعًا للضحك..واللهو فى قلبه فقط.

- التمعت عينيه بوهجها و ناولها بعض الماء يحثها: حياء إهدئي..ماذا بكِ يا حمقاء؟..كل ذلك من أجل أنني أشرب فراولة بالشوكولاته؟

لا !..ليس من أجل ذلك...بل لأجله هو فقط تضحك وتكادُ تختنق...وفي لحظة واحدة توقفت الضحكات لتتحول إلى شهقات وهي تبكي بقوة أخافته عليها.

قام من مكانه بقلق يجلس أمامها القرفصاء يحاول أن يُهدئها دون أن يلمسها: حياء ماذا بكِ؟..حياء أرجوكِ كفاكِ بكاءًا..حيائي إهدئي ما بالُكِ؟!...لقبها والذي كان يناديها به في أجمل لحظاتهم وأقلها كان يؤلم قلبُها أكثر وتكادُ تشعر وكأن قلبها قد نزف على قميصها الأبيض.

أجبرها على أن تشرب الماء لعلها تهدأ قليلاً وقد آتى النادل بالماء الإضافي وامرأة أربعينية تسأل ما بها ؟..وهل هي بخير ؟

- فقال بلا تفكير : صديقتها في السجن.
- تعجبت المرأة ونظرت لا تعرف ما تفعله بعد جملته الغريبة.. لكنها احتضنت حياء تحاول أن تُهدئها ..إلا أن الأخرى قد زادت تشنجًا وبكاءًا عندما سمعت جملته الحمقاء وأصبح تنفسها بصعوبة بالغة.. فإنها مريضة بداء الربو الرئوي.. فابتعدت المرأة بخوف لتتنفس..

- قام جاسر بفزع و هتف: حياء إهدئي و تنفسي..توشكين على الاختناق!
- كانت تسحب عدة شهقات وهي تتشنج فلاح على وجهها شبح ضحكة وهي تراه يأمرها أن تتنفس!
- نظر مذهولاً يصيحُ بها: هل تضحكين سوف أخنقكِ بيدي قسمًا بالله لو لم تهدئي حالًا !!

أشارت للبخاخة فى الحقيبة فجلبها لها على عجلة.. هدئت قليلا وهي تستنشقها وتطالعه فى حُب حزين.. اشتاقت له و لخوفه عليها.. و بالكادِ هدأ قلبها قليلاً وانتظم تنفسها وبدأ جسدها يرتخي وهي تشرب بعض الماء و تستكين من الإنتفاضات.

ثم قالت بأحبالٍ صوتية مرهقة يخرج منها أنين صوت.. لم يسمع منه شيئ فمال ناحيتها بأذنه يحاول أن يسمع: أريدُ الذهاب.

- استقام وشكر المرأة مؤكدًا أنها بخير وسأل النادل على الحساب و دفعه له.

- هيا لنخرج..فأومأت تتبعه غير قادرة على الحديث...ثم قبل أن تخرج من الباب أشارت له نحو الطاولة فنظر له يسألها ما إن نست شيئًا..
- ردت بخفوات: العصير.
- ظل أمامها بضع لحظات دون استيعاب لما قالته..هل قالت العصير...بعد كل تلك المهزلة تُريد العصير!
- ذهب وأحضره: لنخرج قبل أن أفقد صوابي يا سيدتي المبجلة!

- إبتسمت ومشت وراءه ولا زالت تلك الإبتسامة تُزين ثُغرها مفكرة: هي لم تكن تُريد ذلك العصير لو لم يكون هو من إشتراه لها..ثم إنها في وسط ضحكاتها تذكرت..تذكرت التاريخ الذي ذكره (منذُ شهرين وثماني أيام وسبع ساعات وبعض الدقائق)

كان ذلك يوم فراقُهما فلم تحتمل الصدمة وفعلت ما فعلته..عوضًا عن أنها كانت تُريد البكاء منذُ أن رأته.. فاختفاء وجد كان مجهدًا إياها ورؤيته كانت القشة التي كسرت احتمالها وثباتها إلى شظايا آلمت عينيها وجعلتها تنفجر في البكاء هكذا..احمر وجهها خجلًا عندما تذكرت ما فعلته واحتضنت الكوب بكفها الرقيقة الذي حتمًا ستحتفظُ به.

ضحكت بخفة وهي تربت على ارنبة انفها بسبابتها.. الأحمق هو من يجعلها تنفعل ويجن جنونها هكذا أينما تكونُ معه..فهي دون وجوده تكون رصينة وعاقلة بل سيدة العاقلين أيضًا.

وصل عز المشفى لكنهُ دخل من الباب الخلفي لدواعي أمنية وسأل عنها فعرف أنها لم تفق بعد مما زاد قلقه أكثر.قرر أن يرى الطبيبة المسؤولة عن حالتها ويسألها عنها..لكنه قصد غرفتها أولاً وياللعجب لم يرى أي أحد من العساكر.. سوف يُنكل بهما ما إن يراهما.

دلف عز ولم يتخيل للحظة أن يرى شخص يُخفي وجهه و يُمسك بحقنة مُمتلئة بسائل شفاف يُفرغه بسرعة في المحلول الذي يتسرب بهدوءٍ مميت إلى وچد النائمة في سكونً تام مرحب بالموت.

كان انتهى من افراغ الحقنة كاملة عندما دخل عز ورأه فأسرع يمسكه من تلابيبه وتقوم قبضته بقذفه نحو ركنًا في الغرفة مصطدم بطاولة عليها أشياءًا زجاجية تحطمت شر التحطيم.. و رغم ذلك لم يصرخ ذلك الغريب بل آن آنينٍ يصرُ على أسنانه...وكان أخف حركة من عز عندما قام بسرعة و وجه له ضربة فى ركبتيه مؤلمة فى دقتها و ليس قوتها.. تأوه عز يسبه.. لكن الأخر أمسك بزجاجة كبيرة و قذفها نحو عز فأصابته وأكملت طريقها للأرض لتتهشم وتصدر صوتًا يتناغمُ مع الأجواء المشوقة..أو الأجواء المُميتة بالنسبة للثلاثة فيبدو أن تلك الغرفة لن يخرج منها إلا واحدًا حي .

- هتف الغريب بصوت مكتوم وهو يقذف كل ما تطلُه يده: سوف تموت..أقسم أن تموت إذا لم تتركني اذهب وتلحق بها.

- صرخ عز وهو ممسك برأسه الذي تأثرت بالأشياء التي قذفت عليها: يااااااا عبد السمييييع يااااااااااا طه !
- أمسك الغريبُ بجزء زجاجي من الطاولة المُهشمة بجانبه و اقترب من عز المترنح بعض الشئ و همس فى غلٍ: يبدو أن آجلك قد حان و إنه لشرفٌ كبير ان أشهده .

وكُسر الزجاج إلى أجزاء مهشمة على يد عز التي ارتفعت تحاول تقليل قوة الضربة وتأثيرها على رأسه.. بينما هرب الأخر من النافذة .

سقط و أَنَّ يصرُ على أسنانه يحاول ايقاف تدفق الدماء من رأسه بيده و هو يزحف حتى فراش وچد وبصعوبة تحامل على نفسه ; حتى لا يفقد وعيه والرؤية تتهاوى من حوله .. خلع إبرة المحلول التي كانت في يديها وسقط بجانبها.. وسقطت يديها تقطر دمًا على نفس القميص الذي ذاق دماؤها صباحًا وعلى نفس القلب الذي دق رعبًا من أجلها قبل دقيقتين.

دخلت الطبيبة على غرفة وجد لتجدها مقلوبة رأسًا على عقب.. الطاولة مُحطمة و قطع الزجاج المُهشم منثورة فى كل مكان.. هناك شخص مبطوح الرأس على الأرض.. تغزو الدماء قميصه.. يبدو وكأنه جثة هامدة...أسرعت إليه الطبيبة إلّا أنها ما إن اقترب حتى عرفت مصدر الدماء على القميص.. لا لم يمت إن قلبه لا زال يعمل.. إنها تعرفه !..هناك إصابة برأسه و يديه فربطت كلتهُما بقماش قطعته من ملاءة على الأرض.. ثم أوقفت الدماء التي تنزف من يد وجد بعد أن تحسست نبضها.

لكنها لم تستطيع تفسير ما جرى.. فخرجت تنادي على الأغبياء في المشفى ليساعدوها و وجدت ممرضة و العسكريان يأتون إليها مهرولين.

- فصرخت بهم ولوحت بيديها بغضب: أين كنتم يا حفنة من المعاتيه ؟!..هناك مُصيبة حدثت بالداخل و انتم عنها غافلون..أقسم أن أخرب بيوتكم جميعًا ما إن ننتهي من تلك الكارثة!

- قال أحد العساكر بخوف يبرر: نحنُ كنا بالخارج لأن أحدهم أراد زيارة تلك الغرفة و هذا ممنوعًا تمامًا وقد بدأ يتعدى على موظفة الإستقبال.
- سيكون لي شأنًا أخر معكم.. الأن اتبعوني لنتصرف في المصيبة التي بالداخل!

دخل الجميع وراءها و تعجبوا من الفوضى العارمة و شهقت الممرضة بخوف

- و هتف أحد العساكر متفاجئًا: ماذا آتى به إلى هنا ؟. إنه الرائد عزالدين!

حمل العسكريان عز و وضعوه على الفراش كما طلبت الطبيبة و خرجوا .

- قالت الطبيبة للممرضة وهي تنظر لعمق الجرح برأس عز: زينب فلتُغيري الإبرة لأنها كُسرت وضعي أخرى و وصليها بالمحلول..ضعيها في اليد الأخرى لأن يدها الأولى متضررة و حمدا لله أنها لم تنزف دمًا كثيرا لذلك لن تحتاج إلى نقل دمز..السيد عز هو من فقد كثيرًا لذلك يحتاج لنقل دم..إن فصيلة دمه +A..لقد أصيب بطلق ناري من قبل و احتاج لنقل دم لذلك أعرفُها.. أدعوا الله أن يسترها علينا فهو بعد أن يفيق..لن يُمرر ما حدث وقد نُطرد من عملنا إذا لم يُعلقنا على باب المشفى.

- تمتمت الممرضة زينب تزمُ شفتيها: سَترك يارب .

انتهت الطبيبة من تضميد جرحه و ذهبت زينب بعد أن قامت بإصلاح بعض تلك الفوضى لتجلب الإبرة و و كيس الدم له ..ثم جلست الطبيبة تقرأ المؤشرات الحيوية لعز و تتأكد من أنه لم يُصاب في اي موضع أخر .

- ارتفع معدل ضربات قلب عز قليلاً فنظرت له لتجده قد أفاق و يحاول أن يتحدث لكن صوته لا يخرج فاقتربت منه لتستمع: و.چ..د..وچد.
- سألته وهي لم تفهم شئ: امم..وچد..هل هذه زوجتك ؟
- تشنج عز و هو يحاول أن يتحدث بصوت مبحوح من صراخه بينما الدوار لازال يلفه: وچد.. أين هي ؟.. المريضة التي.أين؟

- قاطعته وقد أدركت أنه يتحدث على تلك المريضة و التي لا تتذكر اسمها لصعوبته و للعدد اللانهائي من المرضى التي تُتابعهم: أها..لا بأس إنها هنا بجانبك.
- فنظر إلى يمينه فوجدها نائمة في سكونًا تام و كأن ما حدث قبل قليل لم يكن يُهدد حياتها وحياته..نائمة و شعرها الأسود و الذي يراه لأول مره يتشعب في كل اتجاه على الوسادة و كأنه أغصانٍ ناعمة تخرج من رأس شجرة جميلة مغمضة العينين تبتسم!
- تنبه عز للممرضة التي دخلت وهي تتجه نحو المحلول ممسكة بإبرة و بدأت في تركيبها..

لاااا..سيقتلونهاااا!..جاهد ليستقيم جالسًا و هو يحاول أن ينادي على الطبيبة التي ولتهُ ظهرها تقوم بشئ ما.. لكن صوته لا زال مرهقًا من صراخه منذ قليل.. فلم تسمعه.. دفع عز بزجاجة الدواء من على الطاولة التي بجانبه على الأرض.

- نظرت له الطبيبة وهي تقول بعصبية: ما هذا ؟ لماذا كسرتها ؟..إنها كانت أخر شئ سليم في تلك الغرفة المحطمة.

حدق بها يحاول أن يتحدث حتى اقتربت من عز قليلا وقد تنبهت أخيرًا من أن هناك شئ يحاول قوله.

- قال بغضب مكتوم مقتربًا قدر الإمكان حتى كاد أن يسقط من على الفراش: المحلول مسمم وچد..لا تجعلِ الممرضة توص..

- هتفت الطبيبة في الممرضة أن تتوقف بسرعة و بالفعل توقفت قبل أن توصله..تنهد بقوة و بدأت ضربات قلبه في الانتظام مره أخرى.. نظر لها نظرةً مطولة تتأملها براحة و تستودعها عند الله ثم أشاح بوجهه عنه.

- أريد الإنتقال من تلك الغرفة إلى الغرفة الملاصقة لها.. هل هي فارغة؟
- و لكن إصابتك ليست خطيرة يُمكن أن تخرج غدًا على الأكثر..والغرفة التي بجانبها ليست فارغة.. بل بها امرآة خمسينية كانت تقوم بعملية منذُ قليل.
- قال عز مصممًا: إذن أُريد حاجزًا هنا بيننا و ممرضة تُلازمها و تنام بجوارها طوال الليل.
- تعجبت الطبيبة إلّا أنها أومأت موافقة.. و أخذت الطبيبة المحلول إلى غرفة الأجهزة والتحاليل.. و بالفعل تم ما أمر به.

بعد برهة آتى مدير المشفى بعد أن علم بما حدث.. دخل على عز و هو ينفض يده و يحمد الله في سره بعدما انتهى من الطعام الذي أمامه.

- تحدث مدير المشفى بابتسامة مهزوزة: أتمنى أن يكون الغداء قد أعجبك سيدي.

أشار عز للممرضة أن تخرج و اعتدل في جلسته أكثر.

- تحدث يرمقه بنظراته الثاقبة : أنا أكره المقدمات لذلك لندخل في صُلب الموضوع.. أعلم أنك خائف لما سأفعله بك و بتلك المشفى المُتهالك و التي أتمنى حاليًا بأن أهدمها على رؤوسكم!

- ارتفع صوته بشدة و هو يلوح بيده: كيف أيُها المعاتيه يستطيع أحدًا دخول مشفاكم ويحاول قتل مريضة بل و قتلي و أنتم مختفون؟...أين كنتم أين الآمن و الأطباء و الممرضين و العمال ؟..أين كان كُل هذا ؟!..أقسم أنني سوف أُحيل الجميع إلى التحقيق وسوف أخرب بيوتكم واحدًا تلو الأخر .

- قال مدير المشفى و هو يرتجف من داخله وقد بان ذلك على صوته: سيدي أرجوا أن تسمعني..أنا لم أكن في المشفى وقت حدوث ذلك و عندما أبلغني مُراقب الكاميرات جئتُ فورًا.. لقد طردته لأنه ترك مكان عمله ليرى الخِناقة التي حدثت وقت دخول المُتسلل تقريبًا.

- خِناقة!.وقت دخول المتسلل.. إن الامر مُدبر إذن.
- قال عز و هو يستقيم ليقف: الآن حالاً.. أُريد رؤية سجل الكاميرات .

في غرفة الكاميرات:

وقف عز بتركيز يرى كيف دخل القذر الذي كان سيسلب منه روحه.. إنه رشيق بشكل غريب و نحيف أكثر مما يبدو عليه..هناك طبقات من الملابس عليه هذا يظهر بوضوح في تقسيم جسده.. لكنه رأى في سجل الكاميرات التي في الاستقبال ما جعل عينيه تتسع في ذهول..كان أحمد هو من يتشاجر حتى يدخل إلى غرفة وچد!..خبط سطح الطاولة بخفة حائرة .

كيف لأحمد أن يكون هو المُتشاجر لقد ظن أنه هو من كان يُحاول قتله..و لكن لحظة كيف عرف بمكان وچد؟..لماذا يُريد رؤيتها ؟.الحقير كم تمنى أن يقتله..إنها مراتً لا تعد و لا تحصى.

- زفر بغضب و عاد و هو يأمر مدير المشفى أن يتركه الآن أمام سيل الاعتذارات و التوسلات التي انهمر بها قائلًا: فلتكف عن ذلك حالاً و أريد سجل الكاميرات كله عندي الأن.. أرسله لهاتفي .

- دخل عز و هو يتحاشى النظر لها..أليس عندهم غرفة أخرى في ذلك المشفى المُتهالك!..جلس على السرير وقد رأى الحاجز بينهم و بدأ يستغفر لأن غضبه يحرقه و الحيرة تتسرب إليه..

دخلت الطبيبة بعد أن طرقت على الباب و اتجهت نحوه ثم

- سادت الجدية ملامحُها وهي تسأل: سيدي هل يُمكن أن أحدثك في موضوع هام يخصُ المريضة ؟
- تنبه عز و التفت لها يجلس بإستقامة.
- انتظري .
- وأشار للممرضة أن تخرج..ثم أشار لها بأن تتحدث .

- تحدثت بصوت خفيض و كلماتها دقيقة تدق نواقيس الخطر : المحلول الذي جعلتني أفحصه إن به مواد سامة بالفعل..إن المكونات دقيقة و يجب على من صنعها أن يكون خبيرًا في العقاقير و أثرها.. لقد بدأت

أبحث في أضرار و تأكدت أن تلك المواد تؤدي إلى نوبة قلبية..إحتياطيًا أعطيتُها عقار مناسب..لكن هُناك خبر سئ عنها: لقد دخلت فى غيبوبة .

- نغزة داهمتهُ فى قلبه بينما تصاعدت الدماء لرأسه و سألها: دخلت فى غيبوبة بسبب صدمة رأسها ام بسبب المواد السامة التي حُقنت بها؟
- لا أستطيعُ التحديد الأن يا سيدي .
- قال بتعبير غير مقروء: حسنًا شكرًا لكِ تفضلي أنتِ الأن.
- مسح وجهه فى تعب..الأمر يزدادُ سوءًا و تعقيدً يا عز..ماذا ستفعل الأن..زفر زفرة طويلة من أعماقه..ثم أمسك بهاتفه يرى ما حدث مرة أخرى.. هذا القاتل كان غريبًا في أشياء كثيرة منها:

١-خفته و رشاقته الغريبة.

٢-حذائه به جزء كبير من الأسفل ليُزيد طوله.

٣-يرتدي أكتاف و أكثر من طبقة ملابس.. ولا يرتدي واقي رصاص فهو يعرف شكله تمامًا.

٤-طريقة مهاجمته...إن الرجال لا يقذفون الأشياء بل لا يستخدمون ذلك الأسلوب في المهاجمة.. غير ذلك إنه كان يتحاشى الإصطدام المباشر به..أي أنه لم يلكمه أو يقترب منه و كأنه يعلم أن عز سيكون أقوى فى القوة البدنية .

٥-صوته ليس بطبيعي..إن نبرته تتغير و كأنه يقلد الصوت و لا يمتلكه.

٦-عندما وقع لم يصرخ بل آن..لما ؟.هل ذلك حتى لا يسمعه أحد؟!.بعد أن جمع النقاط أمامه اتسعت عيناه لقد فهم..هو ليس قاتل بل قاتلة!

و لكن من القاتلة ؟ وكيف استطاعت أن تفعل كل ذلك مع دارين ولما شوهت جثتها بتلك الطريقة البشعة؟!

ولماذا أرادت قتل وجد ؟.. ماذا رأيتِ يا وجد حتى تُريد قتلك ؟..لحظة..إنها تعرفه !. لقد تحدثت و كأنها تعرفه بل و تحمل ضغينة نحوه.. ولكن كيف ؟ و من هي ؟!..وهل وجد متورطة في شئ ما أو أنها ضحية كانت ستُقتل هي الأخرى و لكن استطاعت الهرب عكس دارين؟

ركبت حياء السيارة إلّا أنها و على غير عادتها ركبت في الكرسي الخلفي مستغلة أنه يتحدث مع أحدهم فى الهاتف و عندما إنتهى و سألها لماذا لم تركب بجانبه .

- أجابت: أنا اكره ربط حزام الأمان ثم إنني مرتاحة هنا أكثر.
- ضحك قليلًا: و لكنني لستُ مرتاح..هل يُرضيكِ أن يظن الناس أنني السائق الخاص بكِ؟
- كسا وجهها علامات الجدية: جاسر كف عن المزاح تعلم الفرق بين الآن و من قبل..و أخبرني كيف سنصل إلى وچد و أين سنبحث عنها ؟
- قال و هو يبتسم: ولما سنبحث لقد عرفتُ مكانها توًا .
- قالت بلهفه وهي تميل بنفسها للأمام: حقا ؟!.. ممتاز.. أين هي الآن وهل هي بخير ؟
- حاول إختيار كلماته بعناية حتى لا يفزعها: اهدئي تمامًا و استمعي لي..ثم حك ذقنه و هو لا يعلم كيف يُخبرها.
- سكت برهة قبل أن يقول فجأة: إنها في غيبوبة في المشفى العام!
- صرخت برعب: ماذا ؟!.كيف؟.ماذا حصل لها؟..هل تأذِت ؟. ماذا فعلوا بها ؟
- حاول تهدئتها : إنها بخير لم يتعرض لها أحد..فقط سقطت...

- لا..هي ليست بخير.. كيف تصل لتلك الحالة دون أن يؤذيها أحد..أقسم سأخرب بيوتهم جميعًا..و الله لن أقف مكتوفة اليدين وهم من فعلوا بها هذا..ما وضعها الصحي الآن ؟.علي أن أراها فورًا.. و فتحت الباب لتخرج وهي تنوي على نيةً سوداء متهورة كعادتها تبكي بقلبٍ مفطور و كأن وچد أحد أطفالها!

- أمسك جاسر بطرف خمارها قائلاً: انتظري يا حياء..إنه جُرح بسيط اصاب رأسها..إنها لم تفق بعد حتى..
- التفتت له فزعة وقد تملكتها الصدمة: ماذا ؟!..أُريد أن أراها حالاً!

- لن نستطيع الآن لأن ذلك الرائد المسؤول عن القاضية لن يسمح لنا..غير ذلك.. صمت عندما رآها وهي تميلُ برأسها على خدها بحزن و صوتها يختنق قائلة بتهدج وهي تضرب كفها بلوعة: يا حبيبتي..

يا نور عيني.. حسبي الله و هو نعم الوكيل.. و الله إنها بريئة يا جاسر..دومًا ما كانت بريئة و كان العالم هو الذي يجورُ عليها حتى كانت تسقط في حضني باكية تشكو لي

فأقول لها ..أن تصبر و تحتسب لله و أن الله يُحب الصابرين و الآن انظر لحالها..لم تفرح يومًا يا جاسر..لم تذق طعم الراحة منذُ دهر...لما يا رب دومًا كانت مبتلاه بهذا الشكل ؟!..لما هي بالتحديد في مواجهة كل هذا الحزن و الظلم ؟!

- قاطعها جاسر بشدة و هو يلتقط كفها التي كانت تضرب: حياء إياكِ و الجزع و الحزن هكذا و أن تعترضي على قضاء الله...لا تستمعي لوسوسة الشيطان و تمشي على خطاه..الحياةُ عادلة بدرجة تجعلني أُذهل أحيانًا..سبحانه يعلم الجهر ومايخفى..يُخفي لنا أجمل الأقدار ولكن يجعلنا نتعب لنتسحقها..يُذيقنا بعض الحزن حتى ترق قلوبنا على من نراه يحزن..لنتذوق الفرح ونحمده ولا نغتر فى أنفسنا وحتى ندرك أن كل شئ زائل و سيذهب مع الوقت و أنه لن يبقى لنا غير كتابنا الذي كتبناه فى الدنيا و أفضلنا من سيأتي كتابهُ بيمينه أمام الله .

- تعجبت حياء مما قاله.

- قال مبتسم ابتسامة بطعم الحمد لله و عيناه تعزف معزوفة لم تسمعها من قبل: لا تتعجبي هكذا.. أنتِ لا تعرفين و لا أنا أعرف ماذا فعلتي بي منذُ أن رحلتي عني..و كأنكِ قد كسرتي مرآة قسوتي و فجرتي قلبي الحجري الذي إنساب منه المطر و السيول يبكي فُراقكِ.. و الدمع الذي ندى على روحي يُطهرها.. و دماءُ حبك المخلصة و التي سرت في تعصفُ بي عواصف الوجع و الندم و تقلب كياني رأسًا على عقب.. أتذكرين حين دعوتِ الله يومًا أن يهدين.

- أومأت وهي تتشبث بكفه دون أن تنطق و عيناها تفيضُ حبًا و دمعًا و لا تجد ما تقوله.
- لقد تغيرت أشياءًا كثيرة بداخلي منذُ أن رحلتي عني..كنتِ أنتِ أول شئ أتعلق به بتلك الدرجة و أفقده..كنت أقسم أنكِ ستعودين لي...لكن بدأ اليأس يتملكني وأنتِ تصرخين ب " لا " و بعينين سادهم الكُره حتى ما عدتُ أعرفهما..وأدركت كوني أفقدك!

عندما أدركت الأمر ذهبت لله باكيًا..بدأت أبحث عن الدواء لذلك الألم بداخلي و أنا أشعر بحزنٍ حاد يغزو كياني.. و أدعوا له بأن يُزيل عني ذلك الوجع.. أدركتُ فجأة أن ذنوبي كثيرة..كثيرة جدا بحيث أنني لا أستطيع عدها أو حتى عد منابعها.. وكانت أول خطواتي إني أغلقتُ أي باب يسبب لي الذنوب حتى ولو كانت صغيرة..في البداية كنتُ أضغط على نفسي لأتعود و لكن ما إن انتظمت فى الصلاة وابتعدت عن كل ما يؤذي قلبي.

- بدأت في البحث عن معاني كل كلمة في ديني حتى تعاظم الأمل و اليقين في قلبي و تذوقت حلاوة الإيمان و أصبحتُ أقوى كلما زادت صلتي بالله قوة.. لقد ذُهلت أنني كنت غافلاً عن ديني لتلك الدرجة و لا أعرف إلّا القليل منه و أنا الذي أعتنقه و أؤمن به!..

- كانت تتسع ابتسامتها مع كل كلمة يقولها و عيناها تدمعان فتلتقطها بكفها الأخرى قبل أن تهبط على خديها حتى انتبهت أنه انتهى من حديثه و لكفها التي تغوص في يده الاثنتين.
- و رُغم أن يده ليست مُحرمة عليها إلّا أنها سحبتها بحياء وهي تنظر في الجهة الأخرى في انعكاس النافذة تتظاهر أنها تعدل من وضع حجابها و تتأكد من عدم ظهور أي شعرة بأناملها الرقيقة.

- سكن قليلًا يتأملُها و هو يلتفت للأمام يتنهد ثم تبسم لها في المرآة وحدثها بعد أن اعتدلت: لن نستطيع أن نرى صديقتك الآن ؛ حتى يرحل ذلك الرائد عن هناك. غير ذلك هناك تشديد أمني عليها..عمر الذي كنتُ أحدثه منذُ قليل أكد لي الأمر..إلا أننا يُمكن أن نذهب إلى المشفى الليلة بعد أن نتأكد من ذهابه.. لقد ضمنت لكِ هذا..عليَ أن أوصلك إلى المدينة الجامعية الآن وفي المساء الساعة الثامنة سأمُر عليكِ.

- أضاف : لا تتأخري فأمامنا ساعة على الأكثر هناك.

أومئت برأسها و لأول مرة تخونها الكلمات و لا تعرف ما تقوله و ظلت صامتة و المشاعر في قلبها تتزاحم...فأنزلها مودعًا إياها أمام السكن و ذهب عاقد النية على أن يرى مسرح الجريمة بنفسه فما عرفه عن تلك القضية يستفذ فضوله و ذكائه و خبرته في التعامل مع تلك الأمور.

تساءلتُ كثيرًا كيف لبشر أن يقتل وينهي حياة أحد وروحه وحياته بين يدي الله ؟!

ثم مؤخرًا أدركت الإجابة نحن نذنب جميعًا و أرواحنا بين يدي الله..
أدركت أن الذنوب تُميت القلب وتُذهِب العقل..
أنك كلما نسيت الله أذنبت أكثر حتى تصل لتلك الدرجة من الفجور وتقتل!.
وأدركت كم نحنُ ضعفاء جُهلاء كنا سنهلك منذ عصور لولا إرادة الله ولطفه .

صعدت حياء وهي في عالم غير العالم و ما إن دخلت حتى توضأت و وقفت على سجادة وجد التي كانت تُصلي عليها و لا زال رحيقها بها و سجدت لربها باكية تدعو الله أن يُرجع لها وجد سالمة و تدعوا أن يتخلصوا من تلك الكارثة..بعدما أنهت صلاتها.. قامت لتقرأ من القرآن الكريم.. وقد أكرم على قلبُها بالسكينة و الإطمئنان

فلما فتحت القرآن وجدت سورة ق و بدأت تقرأ فيها حتى وقعت عيناها على آية رقم ١٦: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ و نعلم مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُۖ و نحن أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)

دمعت عينيها بعذوبة و ارتسمت على شفتيها إبتسامة يقين بينما قلبُها يرجُف.. وظلت تستغفر حتى غفت..إن القرآن يُحدثنا و يواسينا و يعظنا لكننا لا نسمع أو نعقل ذلك.

تحرك جاسر لمكان الشاطئ التي حدثت به الجريمة..و ما إن وصل حتى آذن المؤذن لآذان العصر ينادي العباد لرب العباد..ركن جاسر سيارته و دخل المسجد و توضئ و هو في المكان المخصص للوضوء رأى رجل عجوز يحاول إصلاح صنبور مياة في نهاية الممر إلّا أنه لا يقوى على ربط الصنبور جيدا.. فذهب جاسر له عارضًا أن يساعده ..تبسم العجوز ابتسامة تعطيك شيئًا يُضفي على يومك البركة .

- ثم قال بعدما أنهى جاسر ربطها جيدًا مربتًا على ظهره بحنو: ما شاء الله يا ولدي.. لم تأخذ منك بضع دقائق حتى أنهيتها تمامًا..بارك الله فيك وفي شبابك.
- ابتسم جاسر و قرب يدي العجوز من وجهه و لثمها بعفوية: لا بأس يا جدي أنا لم أفعل شيئًا لقد أنهيت الجزء الأخير و أنت الخير والبركة.

أضاءت الفرحة وجه العجوز من فعل جاسر و تذكر ابنه الذي لم يره منذ سنوات على الرغم من انه معه بنفس المحافظة.. ثم أخذه و ذهبوا ليُصلوا وراء الإمام مباشرةً..و بعدما أنهى جاسر الصلاة و تلى آية الكرسي.

- سأله العجوز: ماذا آتى بك هنا يا ولدي.. ما دام أنك لست من أهل المنطقة وقلت لي أنك تسكن بعيد عن هنا.
- أنا ذاهب لشاطئ رقم ٨٧ المهجو..

- قاطعه بخوف غريب: ماذا؟...لماذا يا ولدي قد ترمي بنفسك إلى التهلكة ؟..إن ذلك الشاطئ ملعون.. و الله إنهم قد وجدوا فتاةً مقتولة فيه أول آمس و تلك ليست المرة الأولى لقد كثرت الحوادث في تلك الشواطئ المهجورة.
- سأله جاسر مستفهمًا أكثر عن أي شئ يعلمه الرجل عن تلك الشواطئ و لكن ما قاله العجوز لم يكن هينًا ليُصدقه بشر.!

في المشفى العام ..

حل الليل و قمره الشاحب .. و نظر عز للحاجز الستائري الذي كان يتحرك ببطء كأنه سطح بحيره يتموج ذهابًا و إيابًا هكذا كفستانها الأسود الطويل ..يوم خرجت تهرب من ذلك المكان و عينيها تبكيان في ثبات و قلبُها النضر يصرخ دون أن تُصدر صوت ..أغمض عينيه يرجع رأسه للوراء يتذكر أول مرة رآها فيها. كان يمر على صديقه كل يوم ليوصله إلى بيته لأن الأخير لم يكن قد إمتلك سيارة بعد ..في ذلك اليوم خرج من السيارة بغضب من تأخر مازن و دخل مركز الشرطة يبحث عنه و يتمتم فى سخط:

- إن الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.. أين ذلك..الغبي.

اندفع هو يُسرع الخطى متجهًا لمكتب صديقه لكنه توقف عندما سمع بكاءًا و نحيبًا قوي آتً من غرفة التحقيق..فاقترب ببطء ليجد الباب مواربًا و هناك فتاة تبكي بحرقة شاتمة أحدهم.. بدا أنه يقف أمامها لا يظهر منه إلّا ظهره و قامته الفارعة و فجأة حاولت هي في ضربه بيديها وركله إلّا أن الآخر أمسك بها.. و قد ألقاها بقوة على الأرض و رفع يده و صفعها صفعة جعلت عز يدخل في نفس الثانية التي فقدت وچد فيها الوعي .

فأمسك به عز من تلابيبه و صدد له اللكمات و قد بدأ العراك بينهم فلم يشعر بنفسه إلّا و الآخر كومة على الأرض يبصق الدماء و صديقه و اثنين من العساكر يمسكون به و هو ينهج من فرط الجهد الذي بذله..

- بعد ذلك عرف من مازن كل شئ عن الأمر الذي أنهى حديثه قائلًا :عز صدقني أنا لم أكن اعلم أنه سيضربُها..إنها وافقت على أن يتحدثوا وديًا ليس إلا..
- قاطعه عز بغضب و يديه تمسك بياقة قميصه: ماذا تُبرر يا مازن ؟!..
- أتحاول أن تقول أنك لست المسؤول عن ضربها..أنت المسؤول..و أنت المسئول عن ظُلمها..إن القصة واضحة وضوح يؤلم عين الأعمى و أنت تعرف أنها مظلومة و مع ذلك تنفذ أوامر ذاك الفاسد ؟!!..ألا تخشى عقاب الله ؟..ألا يؤلمك ضميرك ؟!..ألّا تؤلمك رجولتك و نخوتك في أن تجورُ على حرمةً؟!

- أخفض وجهه و هو يعرف أنه قد أخطأ وقد أدرك بشاعة خطأه..برر و هو يحاول ألّا يفقد صديق عمره: عز أنا كنتُ مضطر صدقني..نعم و كان أتباع فرعون مضطرين أيضًا أن يُطيعوه وقد غرقوا معه و أدركهم هلاكهم وهم في غياهبِ البطشِ يعمهون.

صمت مازن تمامًا وقد أخرسه قسوة التعبير.

- حاول التبرير : لكنك ضربته ضربًا مبرحًا وأخذت حقها بيدك..انعقد لسانه لما رأى عيناي عز تنفثان اللهيب فى حدة ..فأردف: سأصمت أنا أسف .
- أنا من سأقابل ذلك الوغد هو و التي معه لأجعلهم يتنازلون عن المحضر .
- لكن المدعوه دارين أصرت على أن تترجاها تلك الفتاة.
- بلى..ستتنازل.. و إلّا قمتُ بهاتفٍ صغير لأحد برامج الإعلام لنجعل الأمر فضيحة لإبنة الشاهندي و تنقلب على الدنيا رؤوسهم..و كما تعلم لن يخاطروا بسمعة والدها فاستثمارته أهم من أي شئ .
- أومأ مازن يوافقه الرأي و اتجهوا هما الاثنين معًا إلى الغرفة التي تنازلت فيها دارين عن المحضر و بعد أن تم كل شئ و قررت دارين الذهاب و خرجت ..أمسك عز بأحمد من ياقة قميصه: إياك و الإقتراب من تلك الفتاة أو محاولة ترويعها .

- قربه له أكثر حتى كادت جبهته تصطدم بجبهة أحمد الذي يبتسم بإستهتار ثم أكمل:لو عرفت أنك تعديت عليها بأي شكلٍ كان..سأسجنك والله سأفعل.

طالعه أحمد فى بُغض و كُره شديد إلا أنه كان جبان فلم ينطق بشئ...فك مازن يدي عز من على أحمد وذهب الأخر و نيران الغل به مُتقدة لا تنطفئ..بعد أن أتى العسكري ليخبرهم أن وچد أفاقت..أشار عز لمازن: إذهب وأخبر تلك الفتاة..ما إسمها ؟

- وچد سليم محمد الزهراوي .
- تذوق إسمها وهو يهمس: وچد..اسم غريب ..

- ثم أضاف بصوتًا أجش: حسنا أخبرها أنهم تنازلوا عن المحضر دون ذكر أي تفاصيل ولتجعلها تعود إلى بيتها .

كان هذا اللقاء الأول بينهم و على الرغم من أنه لا يعرفها إلّا أنه شعر بواجب حمايتها دون سبب..شعر بعطفٍ و حزن غير مبرر على كل شئ بها و لا زال يتذكرها عندما خرجت تهرول باكية وقد اصطدمت به فرفعت عينيها المتألمتان له و لكم شعر أنه يُريد طمأنتها في تلك اللحظة؟.. شعر بقلبه يؤلمه عندما رأى قبضتها الرقيقة منقبضة و مضمومة عند قلبها .. و كأن قبضتها تعصر قلبهُ هو و لكم ذُهل بما شعر به؟!..

أعطاها بيديه التي تجمدت من شعور صاحبها منديلاً يمسح دموعها المتلألأه..و ذهب بسرعة من أمامها يهرب بقلبهُ أولًا ثم بقدميه..لم يكن من هؤلاء الأولاد الملتصقين بالفتيات كما كان يدعوهم معلم الرياضيات فى الإبتدائية...ولا كان المراهق العابث الذي يتباهى بكونه محبوب من باقي الفتيات المُتلهفات لتجربة الحب..لم يكن حتى يتعدى كونه يتعامل بجدية وإحترام وحدود رئيسية حتى فى مزاحه عندما دخل الجامعة..لم يميل هكذا غير لها..لم تكن لتؤثر به أجمل الفتيات فما المُميز فى مجرد بائسة رقيقة ذات عينان لوزيتين تُخفيان كونًا غير الكون ؟

ضرب جبهته حينها بخفة..ماذا دهااه ؟!..كذب على نفسه عندما برر شعوره نحوها بالشفقة...ورغم كذبته بأنها لا تعنيه كان دائمًا يتطلع على أحوالها من حينًا لآخر بحجة إن تعرض لها أحمد أو دارين و كأنه السيد الشهم الذي يحمي بناتِ حواء كلهن!

بعد فترة وصله أنها مُنعت من الاختبارات النهائية و لكم غضب يومها غضب أخافه بعد ذلك عندما رأى نفسه يفقد السيطرة لأجل امرأة..وهو يذهب لأحمد ويفتعل شجارًا دون تفكير والأخر يقسم أن دارين هي من فعلت وأنه حذرها من غضبه.و هذا ما أفزعه وقتها..أن يرى الناس حبهُ لها..أن يكون قلبه قد علق بقلبها ..لن يُحبها و لن يحدث هذا و لو على جثته!..زاد عندًا مع نفسهُ أكثر و نهرها لكي لا يتدخل في شؤونها أو يحاول أن يُدخلها الإختبارات!

كان يهرب منها و هو من يبحث عنها في وجوه الآخرين.. يُكابرُ خوفًا من مأساة تطول أبنائه المستقبليين كما طالت مأساة والده و والدته قلبهُ وروحه.. .يُعاني صراعًا قويًا بينه و بين شعوره نحوها و كان ذلك الشعور هو المنتصر من بعيد..بعيد جدا حيثُ يتحكم في روحه و قلبه و يخدع عقله بأنه لا شئ هنالك.

كانت و كأنها حواءه التي خُلقت من إحدى أضلعهُ و هو آدمها الذي لم ترى من قبلهُ بشرًا!

فتاة صغيرة ترتدي فستانًا قصير من ورود حمراء تلعب هنا وهناك.. و عيناها تلتمع في شقاوة بينما شعرها الأسود الفاحم يُلامس كتفيها بالكاد و يترك خصلات منسدلة على عينيها الكحيلة الضاحكة و قدميها ذو الستة أعوام تنثر الرمال حولها في لوحة فنية على الشاطئ..يناديها والدها بحزم حتى يذهبوا و تبكي هي تُريد أن ترى الغروب .

- فتقول بدلالٍ طفولي: أرجوك يا أبي..أريد أن أرى الشمس وهي تشرب من البحر و تختفي فيه..و يا له من تعبير لما سيحدث.

هَلْ تَعْرِفُ مَعْزُوفَة الطَّبِيعَة بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْبَحْر ؟

عِنْدَمَا تميلُ الشَّمْس بِحُبِّهَا ميلاً

فيحتضنها الْبَحْر و يُغْرِقُهَا غيرةً

عِنْدَمَا يكُن الْغُرُوب لَهُ وَ السُّكُون بِه

يكُن الشُّرُوق مِنْهُ وَ الاكتمال مَعَه

كَأَنَّهَا تذوبُ فِيه عشقًا بِالْغُرُوب

و تَوَلَّدَ مِنْ جَدِيدٍ صَغِيرَة مِنْه بالشروق

تَضْحَك تُنِير الْعَالِم بخيلاء

فتُضاء عَتَمَتِه الَّتِي سَكَنَتْهَا ليلًا

و يُنثر وهجها الدافئ عَلَى الْعَالَمِينَ .

- امسك والدها بها و قال بصوت آمر لا يقبل النقاش أو التذمر: ألم أقل لا نزول..وهيا معي لتغتسلين..لأننا سنعود الأن...تركت يده ذاهبة لخالها تتشبث به و ترجوه أن ترى الشروق ثم يعودون.
- اقترح خالها بعدما رفعها لتتعلق بعنقه: سليم دعنا نرى الغروب ثم نعود.
- رد الأخر و هو ينفض يده من الرمال التي كانت في يدي الصغيرة: ياسين.. دعنا نعود..أنظر.. لقد انفض الناس من حولنا.
- تعلقت الصغيرة أكثر بعنقه و ظلت تقبل خديه وهي تترجاه: خالي أُريد أن أرى الشمس وهي تشرب من البحر و تختفي فيه..أرجوك..أرجووووك.
- ضحك ياسين مدغدغًا إياها في عنقها بفمه و هو يُفخم صوته فى شكلًا تمثيلي لوحوش الأدغال: أنتِ فتاة شقية.. و يجب أن تعاقبي.. مم..هم..هم..هم.. سأكلك في بطني كما فعل الذئبُ مع ذات الرداء الأحمر.

ضحكت الصغيرة من كل أعماقها .. بعد أن سقطت على خالها تدغدغه و هو يُمثل أنها تؤلمه و يضحك في نفس ذات الوقت .. يرجوها أن تكف عن تعذيبه الذي سيوقف قلبه من فرط السعادة و البهجة التي تمثلت في قلوبًا صافية.

آتى والدها يشاركهما الضحك و اللعب و كانوا يتسابقون على الرمال و يقنعها كلاً منهما أنه غير قادر على مجارتها وهي تستدير بوجهها الضاحك.. و خديها الحُمر و شعرها المنثور على جبهتها و بالكادِ يُلامس كتفيها..ترى ما إن اقتربوا فتقع في الرمال و ماء البحر المالح في فمها من بعض الرمال المبللة إلّا أنها لا تستسلم و تقف بسرعة تجري بأقوى ما عندها و كأن ذلك السباق مسألة حياةٍ أو موت.. و ما إن تصل لوالدتها حتى ترتمي فى أحضانها وتصرخ بمرح: لقد فُزت.

- تضحك منى بحب: هل كنتِ تجرين من سور الصين حتى يحمر وجهك هكذا ؟
- لا تقللي من الإنجاز الذي فعلته لقد فُزت على أبي وخالي معًا واحتضنتك أولًا .
- وهل عساه حضني يكفيكِ يا حبة قلبي ؟
- همست تتعلق بعنقها: نعم يكفيني.

جلست الصغيرة بين والدها وخالها ترى غروب الشمس الذي كان جميلاً بحيثُ جلست و شفتيها منفرجتين تحكيان عن ضحكة مبهورة و تأملت عظمة الخالق في إنبهار..وعندما كاد أن ينتهي الغروب ذهب والدها لجلب السيارة من موقف السيارات البعيد.. وقال خالها لها و هو يُداعب خصلات شعرها القصيرة: هل أحببتِ الغروب يا وردتي؟

- قالت و عينيها تلمع تحت وهج الغروب المنطفئ و الذي لا يزال دافئًا: نعم.. أحببته للغاية..ولكن أحببتُ أحدًا أكثر منه.

- قال و هو متفاجئ بابتسامة يسألها: من ؟
- قالت وهي ترفع يديها و بسمتها للسماء: الله.
- سعد بإجابتها و نظر لها بحنو يداعب خصلات شعرها .
- تبسم لها فخورًا بها و قال: وحب الله لا يفنى..حاشاه أطهر وأعظم حُب..تذكري دومًا أن تحبيه و تعبديه بقلبك و روحك و كيانك كله.. تذكري أن تؤمني به فتأمني حتى لو رُميتِ فى النار أو إبتلعكِ حوت البحر فلا نجاة لكِ إلا به .

من لم يستطع أن يُحب الله لن يستطيع أن يحب نفسه أو أي شئ فى الكون مهما بلغ جماله..

لأن الله هو مُعطي الجمال و القيمة..

خالق الجسد و الروح..

الشئ و المعنى..

الرحلة و الغاية

و من خلال حبنا له نرى حقيقة الأشياء وحقيقتنا .

نادت والدتها على خالها و قام وتركها..مالت للوراء حتى افترشت الرمال تنظر للسماء بإبتسامة وديعة تتأملها و شعرها الأسود منثورًا حولها تُرتل بصوتها الطفولي آياتٍ تُحبها وهي تحاول أن تقلد صوت القارئ عبد الباسط عبد الصمد الذي كان صوته يجعل قلبها يخفق

و كيانها يمتلئ طمأنينة وعلى رغم أنها لم تكن تقولها بطريقة صحيحة إلا أن صوتها كان جميلاً في القرآن وهي توتئتئ و تصابر حتى تنطقها بأكثر طريقة صحيحة: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) و الذي هُوَ يُطْعِمُنِي و يسقين (٧٩) و إذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) و الذي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) و الذي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا و ألحقني بِالصَّالِحِينَ (٨٣) و اجعل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) و اجعلني مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ.)سورة الشعراء .

- وهي تُرتل تذكرت معنى كل كلمة اخبرتها بها والدتها ببساطة عندما سألتها وهما يستمعون للآيات. فدمعت عيناها وهي طفلة تأثرًا..و مع أنها يستحيل أن تستوعب عمق الآية و عظمتها و جمالها بذلك العمر ..إلا أن روحها هي من خشعت لله و شعرت بالروعة التي مست قلبها.. الروح شيئًا شفافًا نقيًا إلى أبعد الحدود.. الروح عليمه أكثر من العقل و تمتلك قدراتٍ تفوق العقل و المنطق بل و الخيال أيضًا.

- تقلب عز فى فراشه..يحاول النوم لكن جسده يأبى فى إرهاق و قلق.. ينظر نحو ساعة الحائط المعلقة فيجد الساعة قد تخطت منتصف الليل و استقر عقرب الدقائق بين الدقيقة السابعة و الثامنة.. فحاول النوم لكن عينيه لا إراديًا إتجهت نحو الحاجز الستائري و إلتوى ثُغره فى حزن و الذكريات تُهاجمه كالأشباح: إخرسي يا حقيرة..أنتِ غلطة..لم تستحقي أن تكوني زوجتي .

- نظرت له بإحتقار و كُره: بالفعل لم أكن أستحق لأكون زوجتك يا همجي.. كُنت أستحق من هو أفضل منك..صفعها بقوة..
- فارتجف الطفل ذا السبعُ سنوات و تراجع فى الركن الصغير الذي يراقبهما منه

- صرخت به وهي تضع كفها موضع الصفعة ثم تهجم عليه تحاول رد كرامتها: و تمدُ يديك علي أيضًا..يا حقير!.. انا أكرهك و أكره كل ما يربطني بك.. هل تظن نفسك رجلًا عندما تضربُني ؟..

أمسكها من شعرها و هو يسبُها ويلعنها بينما يجرُها نحو غرفتهما و يغلقها خلفه.. فيسمع الصغير صوت إغلاق القفل و يرتعب من صوت صراخ أمهُ المستغيث..يرتجف بعجز و تنهمر الدموع بشدة ثم يضم قبضتيه الصغيرتان و يتجه نحو الباب و هو يضربُ بهما على الباب وينادي أمه بصراخ تتوقف الأصوات لبرهة ثم ينفتح الباب على مصراعيه.. يجد أمهُ ملقاة على الأرض وهي تئنُ ألمًا.. وجهها ملئ بالكدمات بينما شفتيها تنزفان من الصفعات..يتذكر أن والده خرج وهو يصفقُ بابُ البيت حتى إهتزت أركانهُ..

و عندما اقترب من أمه و هو يحتضنها و يبكي معها.. دفعتهُ فى غضب و صرخت به أن يبتعد و أنه سيكون مثل والده.. حقير و خائن و ظلت تسبُه و تدعو عليه بينما إنزوى هو فى غرفته يبكي بقهر و خوف من أن يُصبح يومًا ما كوالده!

تتوالى ذكرياتُ حياته عليه عندما إنفصلا أبويه و كلاً منهما يخطط لحياته بدونه..تزوج ابيه فى نفس اليوم الذي طلق به والدته حتى يغيظها غير آبه لتأثير ذلك عليه..و أن ذلك جعله يصدق كل الكلمات التي كانت أمه تقولها عنه..و أمه التي سافرت و تركته مع جدته..

ظل ينتظرُها لسنوات ليتفاجأ بها تعود بزوجًا معها و تخبره أن يظل مع جدته..لأن حياتها أصبحت بدونه و تسير على خطط معينة و ليس هو من أولوياتها..كان فى الرابعة عشر حينها فكان لذلك تأثيرًا سلبيًا على نفسيته..و أصبح منطوي لا يحب التعامل مع أحد..

جدته الحبيبة رحمها الله كانت هي ملاذه الوحيد..هي من ربته و كان حُبها و حنانها هما الدواء لجرحه و قد أغنته عن الحياة و الناس آجمعين..يتذكر كلماتها التي حُفرت فى قلبه للأبد..و يتذكر الشرفة الصغيرة المحببة التي لطالما جلس معها فيها يقرأ لها بينما يبتسم على تبادل الأدوار الذي صار مع مرور الزمن..فلقد كانت هي من تقرأ له فى نفس الشرفة على نفس الكرسيان الخشبيان عندما كان صغيرًا..

هي من جعلته يتعلق بالقراءة و يهرب لها فى أسوأ حالاته النفسية ..كانت تقرأُ له حتى يغفو فتحمله لينام بجوراها و هو يتشبث بها بخوفًا لا إرادي من أن تتخلى عنه مثلهم..وحتى الان لازال يحلمُ برائحتها و هي تحتضنه فى أحلامه فيبكي بشدة و لا يريد أن يصحو من الحلم حتى يرى كونها ماتت و تركته..يتذكر محاولتها لتزويجه و التي باءت جميعها بالفشل عن عمدًا منه..

كم كان يتلذذ بإخافة الفتيات المدللات عديمات المسؤولية اللواتي كان يتعمدن التودد لجدته حتى يفوزن به غير آبهين لشخصيته و طبعه و هل هو شخصًا مناسب بالفعل أم لا..كان يعلم أنهن يخترن شركاء حياتهم بسطحية المظهر و المركز والعمل غير مدقيقين للأهم و هو الدين.. السلوك.. الفكر .. الشخصية و الأخلاق ظالمين أنفسهم و أولادهم فيما سيكون .

سمع عز صوت عند الشرفة التي بجانبها..إنتشله من دوامة الذكريات و الأفكار التي غاص بها.. إستقام سريعًا ليتسلح بمسدسه الذي أحضره له العسكري من المكتب و مضى إلى الشرفة يُدقق السمع و لكنه تأكد من أن الحركة كانت عادية و أن الوضع آمن .

بينما كانت هناك عينان متسعتان على آخرهما مذهولتين تراقبان ما يحدث من زاوية ما .

نظر لها عز ليطمئن قلبُه فتفاجأ بما رأى .. لقد كانت تبكي وهي مغمضة العينين و تبتسم.. دموعها منهمرة تنساب كالشلال على الوسادة..

اقترب منها و جثى على ركبتيه ينظر لها عن قرب فوجد شفتيها تتحرك في حركة خافتة.. ثم تنبه إلى أنها تحاول أن تقول شيئًا .

- قرب أذنه منها قدر استطاعته و لكن سمع كلمة واحدة.. كلمة واحدة تحمل معاني العظمة و الصفات الأعظم كانت تقول هامسة: الله !...و كأنها تناجي ربها حتى وهي في غيبوبة!

في تلك اللحظة قتلت شيئًا به يُخصها وحدها و أحيت شيئًا أخر في نفس اللحظة.. ارتجف كيانه كله مما يحدث.. لو أنها تألمت لكان هذا أخافه و لكن أراحه.. فإن في حالتها من الطبيعي أن تتألم قليلًا و لكن ما لم يكن طبيعيًا..هو أن يراها تبتسم هكذا و عيناها تقطران دمعًا و تهمس بإسم الله و كأنها ستفارق الح...

لا لن يحدث هذا..ليس بعدما وجدها و احبها.. نعم احبها..إنه يُحبها و ذلك ليس من النظرة الاولى بل نضج حُبه لها بكل صبر و عنفوان حتى صار يُجبره القدر أن يعترف..مسح دموعها المُسالة بيدٍ و باليد الأخرى أمسك بكفها الرقيق و أحنى رأسه على الفراش و عيناه تُعصر وصوته يختنق و هو يلهث بشفتين

- تقولان: أنا أسف..أسف..صدقيني لم يكُن شيئًا بيدي.. لا تتركيني أرجوكِ.. لا تفارقيني..أسف أنني تركتكِ وحدك و أنا أحارب مع عُقدي النفسية و آلام الماضي تاركًا إياكِ تُظلمين في مواجهة أولئك القذرين.. لا تتركيني يا وچد..أنا..

سمع صوت جهاز ضربات القلب يعلو فجأة معلنًا عن انخفاض معدل ضربات القلب..فقام كالملسوع يصرخ بكل صوتًا كان يمتلكه يوما.. استيقظت الممرضة و التي هرولت تنادي الطبيبة في خوفٍ منه.

لم تمر دقيقتين و الطبيبة قد آتت و أربع ممرضين أشداء يسحبونه بالخارج..و هو يصرخ ضاربًا أحدهم مما جعلهم يكبلونه ليخرجوه و الطبيبة تجهز جهاز الإنعاش لوچد.

كان غاضبًا لا يريد الخروج مما جعل أحد الممرضين يحقنه بمهدئ .. حتى يستطيعوا أن يخرجوه من الغرفة فهي في حالة طوارئ الآن ..و توقف الوقت و الأصوات بالنسبة له يراها وهو يخرج وهم يشدونه تنتفض بعنف .. و شعرها يتناثر في الهواء حولها فيصرخ هو بدلاً عنها و كأنه من يُصعق الآن..حتى فقد كل طاقته في المقاومة.

سقط على الأرض في انهيارًا تام وفي لحظة أخذ وضعية السجود ينتفض و هو يبكي: لا تجعلها تفارقُني يا الله.. أرجوك ربي أنقذها من الموت..أنا أخطأتُ عندما تركتُها ولم أحميها منهم..أعرف أني مخطئ وغبي لكنك تعلم أن قلبي قد دق لأجلها..والله أريدُها فى الحلال..لن يُمكنني أن أحيا دونها..ترى يا الله ما بداخلي..ترى ذاك الرعب من فقدانها وأنت أرحم الراحمين..أنقذها.

- وسمع أخر ما تقوله الطبيبة هاتفه: إنها..لا تستجيب..إس..
- و ارتخى جسده مع أخر الكلمات يستقبل الغياب عن الوعي .

شعرتُ

بذلك الرعبُ الخاص الذي كاد يسلخ روحي عن جسدي تاركًا بقايا مُتلفة.

رُعب أن نفقد أحبائنا ونحنُ لم نقل أو نبرهن لهم كم نحبهم.

رُعب أن نفتقدهم و ندرك أنه ما من وسيلة لرؤيتهم واحتضانهم والبكاء على أكتافهم.

رُعب أن نترك الجزء الأجمل منا يموت و يحيا المتبقي ليُمثل أنه بخير دونهم!

فتح عينيه و الرؤية تتضح و ما إن تذكر كل شئ قام بسرعة من على الفراش ولم يعبئ بالدوار الذي أصابه عقب حركته المتهورة..و ذهب إليها يترنح حتى وصل لغرفتها فوجدها ساكنة كما هي قبل كل شئ..ارتعب و نادى الممرضة بصوتٍ مبحوح

- فقالت بنبرة مطمئنة قبل أن يسأل: لا تخف إنها بخير.. و الله بخير..لقد تخطت الأزمة..لا تخف اهدأ و عد معي إلى سريرك أرجوك يا سيدي...تنهد و تنفس و حمدالله من كل أعماق قلبه.

بعد ذِهاب عز بدقائق كانت خصلات شعر وچد تُلتف حول إصبعًا وهناك من يُحدق فى حيرة من آمره

- تبدو وكأنها حق..

صرخ طفلًا كان قد دخل الغرفة بالخطأ فآتت أمه تهرول لتنظر ما هنالك ليجعل الطفل يصرخ هكذا ..لكنها وجدت الغرفة ساكنة تمامًا والنافذة مفتوحة تُحرك الستائر الحمراء وهناك مريضة نائمة..

- فحملت إبنها ذو العامين وهي تهمس: بسم الله ما بك يا بُني..اهدأ لابأس..أنا هنا لا تخف.

كان ما حدث بالأمس هو ما منع عز من ترك المشفى في الليل و لذلك لم تستطع حياء أن ترى وچد..ومع أن حياء لم يصلها ما حدث إلّا أنها قد استيقظت في المساء تبكي و تدعوا الله أن يُعيد لها وچد وهي تشعر بذعر غير مبرر.. و اتصلت ب جاسر وهي تترجاه أن يأخذها للمشفى لتطمئن عليها و لكن جاسر ظل يُهدئها و هو يؤكد أن الأمر سيكون كارثي و أن الضابط من الممكن أن يزيد من التشديد الآمني على وچد بل و يمنعها من أن تراها تمامًا.

بعدما تحسن عز و شعر أنه يجب أن يخرج بدل ثيابه و ذهب إلى الطبيبة و طرق على البابِ عدة طرقات فسمعها تسمح بالدخول

- جلس أمامها في هدوء : أُريد أن أعرف كل شئ عن حالة المريضة وچد.

- تحدثت وهي تغلق الأوراق و تمسك بالقلم تضغطه في لا مبالاة: سيد عز..لا يُمكنني الكذب عليك فإن المريضة حالتها غير مستقرة و ما حدث بالآمس لا يوحي بالطمأنينة.
- تململ عز في مكانه و قال: و ماذا يُمكن أن نفعل حتى نضمن أن تتعافى و يستقر وضعها.
- ليس هناك شئ بيدي لم أقم به صدقني..ولا نعرف حتى الآن متى ستفيق لو كتب لها عمرًا.
- قاطعها وقد لون الغضب صوته قليلًا : إن عمرها سيكون أطول مني بإذن الله..و الآن أُريد منكِ أن تجهزي ملفًا به كل تحليلها و أوراقها الطبية و عينة من المحلول المسمم.. سأذهب الان و بعد ساعة سأبعث لكِ بالعسكري عوض محمود جابر لتعطيه كل شئ..تذكري الاسم.

ولم ينتظر ردًا و خرج و هو ذاهبًا إلى خارج المشفى عازمًا على فعل شئ مهم.. و قبل أن يخرج مضى على غرفتها دون أن يدخل وقد نبهه أن يُغلف الزجاج بالأسود و ألّا يدخل أي أحد إلّى الغرفة غير الممرضة و العسكريان الذي نبهه عليهما ألّا يتركوا باب غرفتها حتى لو سقط السقف على رؤوسهم.

خرج عز متجهًا إلى جمعية خيرية كان قد تحقق من صحة أعمالها و نزاهتها بنفسه وقد تصدق لله حمدًا و طلبا في فرجٍ قريب..يُريد أن يكون سببًا فى إفراج كرب أحدهم..ويريد أن يتصدق حتى يتم شفاء وچد على خير كما وصى الرسول صلى الله عليه وسلم.

بعدها ذهب بنفسه إلى مسرح الجريمة فوجده محفوف بالعساكر و الضباط ..كانت الشمس تغيب و كانت السماء مغبرة و ليست صافية و كان البحرُ هائجًا غاضبًا و كأنه سيبتلع الجميع في جوفه..وقف بطوله الفارع و ظل يرسم و يتخيل مئات السيناريوهات التي حدثت هنا إلّا أنه لم يجد أي دليل.. لذلك خرج كما دخل دون أي جديد.

- استند على سيارته يفكر و يحلل مليًا حتى آذن أذان المغرب..فتوجه للصلاة بأقرب مسجد فى المكان و هو في حيرة لا يعرف ما يفعله و لكن ما إن توضأ و وقف خلف الإمام شعر بشعور التوكل على الله و أن كل شئ سيكون بخير .

- و بعد أن أنهى صلاته و تلى آية الكرسي.. ظل يُسبح و هو جالس مستندًا على حائط من الحوائط
- فسمع ولدًا يتحدث بصوته الفتي ويقول: اسمع يا علي..فور أن تسمع الآذان يجب عليك الوضوء والذهاب للصلاة فورًا وتترك كل ما بيدك..ستشعر بلذة الصلاة فى ميعادها و شعورًا أخر يدغدغ قلبك صدقني .
- رد علي دون تركيز: حاضر سأحاول فلتدعوا أن يهديني الله .
- علي..لا يهدي الله من لا يتخذ أول خطواته للهدايا..من لا يتحرك ولا يتعب لن يساعده الله و لن يوفقه مهما دعى..لأن دعائه لن يكون أساس و إرادة.

- قطع استماع عز أحد يحيه : السلام عليكم.

كان رجل عجوز بشوش السحنة.. ودود الإبتسامة.

- رد عز معتدلاً في جلسته: و عليكم السلام و رحمة الله وبركاته.

جلس الرجل بجانبه و أخرج من جيبه حلاوةً مغطاة بالسمسم "العسلية "و أعطاها لعز..الذي تبسم و فرح بها لأن جده كان يشترى له منها و هو صغير فأخذها من الرجل و شكره: شكرًا لك..لا تعرف كم

أُحبها..كنت دومًا أبحث عنها كلما صادفت متجرًا فى طريقي ولم أجدها و ها أنت تُهديني إياها دون أي مقابل .

- قال الرجل و هو يربت على كتفه و يضحك: أ وا تعرف أن منها الكثير عند عم سعيد في الكشك الصغير هناك.. سبحان الله قد لا تجد ما تبحث عنه في أرقى المتاجر و تجده عنده..لا أذكر يومًا إني احتجت شئ ولم أجده عنده.. بارك الله له في تجارته و صحته .
- آمين ربي العالمين.

فتحها العجوز يُبسمل و تبعه عز ليأكلوها و بعد أن إنتهوا منها

- قال الرجل و هو يُعطي لعز قارورة الماء التي صنعت من طمي النيل و الفخار (القُلّه): من أين أنت يا بني ؟.. أنا أعرف كل أهل المنطقة لكنني لم أراك من قبل.
- أنا لستُ من هنا.. آتيتُ لغرض ما فى شاطئ ٨٧ المهجور.
- صاح العجوز : ما بالكم يا شباب هذه الأيام تذهبون إلى الهلاك بأقدامكم ؟!.. لقد أتى بالأمس شابًا و كان آتيًا من أجل نفس الشاطئ الملعون.
- مال عز يسأله بجدية و تعجب: ماذا ؟.. متى جاء؟. و من هو ؟..
- أنا لا أعرف من هو يا بُني..كل ما أعرفه هو أن اسمه جاسم تقريبًا..لقد آتي عند أذان العصر آمس..لكنه طيب و على خلق و ذهب للشاطئ بعدما أدى فريضته ليرى ما كان يُريده و الذي لم أعرف عنه حرفًا.

- قام عز من مكانه بسرعة و هو يشكر الرجل و هرول للخارج.. و بعد أن ركب سيارته..هاتف أحدهم .
- لا.. لا يمكن..عليك أن تنفذُ الأمر بسرعة.. ليس هناك وقت..فهي في خطر.

- -أمرك.. عُلم و ينفذ وفي المعاد المحدد يا سيدي.

وصلت حياء و جاسر إلى المشفى و لكن عندما دخلوا.. وجدوا المشفى في حالة من الهرج و المرج.. و الجميع يهرولون في كل الاتجاهات كالدجاجِ الذي سيذبح على العشاء.

- سأل جاسر ممرضة كانت تهرول بفزع من غرفة وچد: ماذا حدث ؟.. ولما المشفى مقلوبة هكذا؟!
- قالت وهي ترتجف: المريضة التي كانت هنا أُختطفت أو هربت وفي الحالتين سيخرب السيد عز بيوتنا!

صدرت شهقة ألم من وراءه .. فالتفت إليها لا يعرف ما يقول . في تلك اللحظة دخل عز من باب المشفى و وصل إلى الممر الذي به غرفة وچد .. فرأى كل تلك الفوضى.. إقتحم غرفة وچد ليرى الفراش فارغًا.. فراغًا قاسيًا.

- هتف بالطبيبة الواقفة و الصدمة بادية على وجهه : أين ووچد؟!
- قالت وهي تخرج هاربة من الغرفة: لا أعرف.. لقد اختفتز.يقولون أنها أُختطفت!
- صرخ عز بغضب في الحاضرين و توعد العسكريان.. ثم خرج من الغرفة ليصطدم بعامل كان يحمل زجاجات وقعت على الأرض و تهشمت.. تخطاه يلهث متجهًا إلى السيارة إلّا أن حياء أوقفته وهي تقف في مواجهته تسأله بإتهام: أين أخذتها ؟!

- ثبت فى مكانه وقد شل الموقف حركته
- صرخت بأعلى صوتها: ماذا فعلتم بها ؟؟..أين هي ؟ أنت من إختطفها.! ماذا فعلت بهاااااا؟!.. أمسك بها جاسر يشدها ناحيته أما عز فهو لم يُحرك ساكنًا و وقف مذهولًا من الموقف ينظر لملامح الموجودين. لم تحتمل حياء كل هذا الضغط فسقطت مغشيًا عليها.

- تفتح عينيها بإعياء و تغلقها..ثم تسمع صوتًا مألوف يقول: حياء أفيقي .

فتحت عيناها و الرؤيا تتضح شيئًا فشيئا.. ثم شعرت بيدين ترفعانها لتستلقي في حصنًا دافئ..ولما استعادت كل تركيزها و بدأ وعيها فى الطفو مرة أخرى رفعت رأسها تسأله عن شئ ما

- فأجابها بشئ جعلها تنظر له بأمل تُريد التأكد: حقًا؟!
- أقسم لكِ.
- ثم رفع إصبعه على فمه ينبهها بأن تصمت.
- طمأنتهم الطبيبة و هي تقول: إنها بخير.. فقط سوء تغذية و إهمال وجبة الإفطار..فإنخفض ضغطُ الدم و شعرت بالدوار .

و طلبت الممرضة من جاسر أن يخرج حتى تقوم بقياس بعض المؤشرات الحيوية لها وحتى تنتهي من جرعة المحلول كلها.

خرج بظهره يُطمئنها : أنا بالخارج لا تقلقي.. دقائق و أدخل إليكِ لنذهب...أغلق الباب وراءه..زفر..وتنفس الصعداء.

- فسأله عز و هو مستندًا على الحائط: هل هي بخير ؟..وهل أخبرتها؟
- وقف بجانبه : نعم بخير الحمد لله.. أخبرتها لأنها تكادُ تموت على صديقتها قلقًا.. و انت أيها المُتحذلق ما هي غيتك في تغير المشفى التي كانت بها ؟.. ولماذا فعلت ما فعلته و أنت تعلم بمكانها بل أنت من إختطفها؟!

- أنت لا تعرف ما حدث يا جاسر لقد تعرضت وچد لمحاولة قتل.. عوضًا على أنني اكتشفت أن أحدهم يبحث في القضية وإسمه..سكت يُحدق في جاسر لبرهة ثم ضحك بدهشة: هل أنت من ذهبت لمكان الجريمة بالأمس؟!
- نعم بالطبع..أردت إيجاد شئ ما.. لكنني لم أوفق.. ما هو المُضحك ؟
- لقد كنت أنت من ظننته يبحث في القضية و ينوي على شئ ما.. و لكن أتعرف.. أنا مطمئن أن وچد في نظر الجميع الآن مُختطفة و كان ما فعلته هو ردة فعلي المفترضة لأُقنع الجميع بأنني متفاجئ مثلهم.

تحول نظره لجاسر غير مصدق أنه قابله بعد كل تلك السنين ..و شده له يحتضنه و هو يربت على كتفه بقبضته فى خشونة : لقد اشتقت إليك يا "براوي"..أين كنت كل تلك السنين ؟!

ضحك جاسر على اللقب الذي كان يُناديه به صديقه عندما تلهيه الدنيا عن سؤاله عنه: و أنا أيضًا أيُها الوغد لقد اشتقتُ إليك و يوم ألتقي بك يكون في تلك المأساة..

- ثم تابع بندم فلقد مر سنوات لم يسأل فيها على عز أو يحاول الوصول له بعد أن تخرجوا : سامحني يا رفيق.. أنت تعرف الحياة كيف تسرقنا وتُنسينا أنفسنا وما لنا من أحبة.. أبعدتنا عنهم المسافات.
- لكمه عز في كتفه بخفة بعد أن اعتدل يستند على الحائط و هو يبتسم: كبرت و أصبحت رجلاً ..أوا تعرف أنني ظننتك ستظل في مظهر المراهق العابث للأبد؟..مما كنت تفعله أيام الصبا.

- ضحك جاسر و هو يقول: لقد آتت من جعلتني أعرض عن نساء العالمين .
- فضحك عز مذهولًا ثم أشار نحو الغرفة: تلك الفتاة؟!
- فأومأ جاسر يتبسم قائلًا: نعم لقد غيرتني يا عز و دون أن تعرف..

- لم أكن يومًا أنظر لها غير أنها ابنة عمي الخجولة.. حتى عرض أبي علي أن أخطُبها.. فوافقت لحاجتي للاستقرار و بناء أسرة و كنت أعلم أنها على خلق و ذلك كان يكفيني.. و تأكدتُ من ذلك بعد الخطوبة.. فكانت تردعني إن قلتُ لها كلمة غزل أو حاولت إختبار خُلقها و تغلق الهاتف ..

بل إنها فى مرة أصرت على أن تفسخ الخطبة رُغم أنني لم أتجاوز الحدود لتلك الدرجة و بررت لها أنني كنتُ أختبرها.. و لكم أظهرت لي حينها أن تفكيري عقيم.. و أن تلك الطريقة لا تجوز أبدًا فإن بها شبهة و تفسد الأساسات فى العلاقة بين الطرفين .

وفي خطبتنا لم تجعلني ألبُسها شبكتها و قالت أني لستُ زوجها و لا يجوز أن أمسك بيدها..حتى و المصور يلتقط لنا بعض الصور..لم تقترب مني ولم تجعلني أقوم بحركات الخطوبة المُبتذلة و التي تندرج تحت بند "كيف تكون برغوث للطرف الأخر !"..عذرًا برغوث منعدم الحياء

بعد شهرين من خطبة قلتُ لأبي ما تفعله و أنها بأفعالها تُريد أن تفسخ الخطبة .. أخبرني أن لا أكون جاهلاً و أن أتوجها بإسمي و حبي حتى أستطيع أن أفوز بقلبها قررتُ أن أعقد قراني عليها حتى أستطيع أن أعرفها أكثر و أتعود عليها..و ما إن اقترن اسمي بإسمها..حتى رأيتُ فتاةً أخرى..كان كل شيئًا بها يذهلني..ضحكها و مزاحها و حنانها و براءتها و قلبُها الطيب حتى إحترامها لنفسها و لحدودها معي .

- لقد وقعتُ قاتيلًا في حبُها منذُ أن رأيتُ عيناها تضحك بحبٍ لي وحدي .
- فقاطعه عز و هو يُقلد شكل جاسر الهائم بطريقة ساخرة: كفاك يا روميو ماديحًا...أنا أعزب و لا أحتمل تلك المشاعر الفياضة .

ضحكا معًا بشدة كما الماضي...ثم باغته عز و هو يحتضنه بذراعٍ واحدة: بارك الله لكما و حفظها لك يا جاسر..أنت تستحقها...ثم إستأذنه ليجلب الهاتف من السيارة لأنه نساه هُناك .

وقف جاسر و نظر في الأرض يفكر فى كونه يستحقها و تذكر يوم فراقهما:

يوم عيد ميلادها وقد كُسرت لهفتها بهدية منه.. عادية لا تمد للاهتمام أو الحب بشئ..و رغم ذلك شكرته محتضنة كفه بكفها تبتسم بحب و كأن كل ما كان يهمها هو أن يكون معها فقط في تلك اللحظة.

لكنه لم يكتفى ذلك اليوم بما فعله.. بل أنه مازح احدى البنات الموجودات و اندمج معها حتى صار يضرب كفه بكفها و يربت على كتفها ولما نظر لحياء يبتغي غيرتها وجدها تنظر له بألم و كأنها قد فقدت أي تحمل أو أمل في علاقتهما.. تنظر بخواء و تجمد أغاظه.. فاحتضن الفتاة بذراعه و هو يبتسم في تحدي.. و تمادى أكثر..فما كان منها غير أن اتسعت عيناها بصدمة و أغلقت عينيها بألم و كأنه قد ضربها برصاصة اخترقت قلبها .

أخفضت عيناها في الأرض خذيًا أنه زوجها.. و خلال بقية الحفل ما كان ينظر لها حتى ترمُقه في اشمئزاز أوجعه.. و عند إنتهاء الحفل..نادته بكل هدوء أن يتبعها إلى غرفة مكتب والدها.

- دخلت و أغلقت الباب خلفها ثم رفعت عينيها له: و سألت بحروفٍ مُعذبة: لما ؟!
- فضحك بعبث و هو يحاول أن يرتدي رداء اللامبالاة و أردف : أنا لا أقرأ الأفكار ولستُ من أولياء الله الصالحين حتى أفهم ما تقولينه دون أن تنطقيه!

و لقد هاله ما رأى على وجهها من تغير في ثوانٍ..لقد رأى القسوة و الغضب و العذاب في مزيج يشتعل في عينيها..تحركت وهي ترفع يدها تصفق بصوتٍ يسخر منه و تدور في الغرفة في ماشية غجرية لم يراها أو يتخيل يومًا أنها تستطيع مشيها..تضحك ضحكاتٍ غير مُسيطرًا عليها:

- تؤ..تؤ..تؤ..حبيبي يُسعدني أن أخبرك و أفهمك ما أقصد.. و هو أنك قد استنفذت كل صبري و احتمالي في أن أكمل معك تلك المسرحية الدرامية بدور أنني دومًا الضحية الساذجة..أو.. لا..دعني أخبرك بالآمر بطريقة أكثر طرافة حتى لا يُجرح كبرياء سيادتك.. لقد نفد رصيدكم عندي..نرجوا الابتعاد و عدم المحاولة..توت..توت و ضحكت ضحكة مجنونة متألمة لأبعد الحدود .

- ثم جلست على الكرسي و لأول مرة تضع ساقًا فوق أخرى أمامه.. وهي تقول باستهجان: لماذا تنظر لي هكذا تفتح فمك كالأبله.. يبدو أنك مندهش و لكن لما يا تُرى ؟

- لم تسعفه أي كلمة فلقد أخرستهُ طريقتها و كلماتها و كأن عفريتًا تلبسها!..قامت من مكانها فجأة صارخة تدفعه في غضب: لمااااااااذاااا؟!

تراجع في ذهول..و انسكبت هي في دوامة الانهيار وقد تخلت عن مظهرها الخادع تبكي و تنتفض من فرط الانفعال تقول كلمات غير مترابطة عن ما فعله بها و عن صبرها داعية الله أن يهديه و لكنه يزيد في غيه و خطأه دون اكتراث.

- صرخت به و قد فاض الكيل بها : لم أعد أحتمل يا جاسر..بل لم يعد قلبي يأمل هدايتك.. لقد جعلتني اليوم أكرهُ نفسي حتى صرتُ أبصقُ عليها عندما رأيتُها في المرآه.. فقط لأنها أحبتك!..كنتُ ضعيفة.. هينة.. ألتمسُ منك أقل القليل و لكنك لم ترضى بهذا..

- بل و أيضا تستبيحُ لمس فتاةً محرمة عليك فقط لتُغيظني.. ألم تخف من الله و أنت واقفًا معها و كأنك في ملهى ؟!

- ماذا كنت ستفعل لو قبض الله روحك و أنت في ذلك الوضع؟!...هل تظن أنني عندما رأيتُك قد أغضبتني الغيرة فقط ؟ صمتت ثم نظرت له نظرة مشمئزة و مستحقرة و كأنها ستتقئ بالفعل:
- لقد إشمئزيتُ من أنك زوجي أمام الله..أيها الوضيع.. الحقير !
- صفعة على وجهها الجميل المحدق بعذابٍ له..لم ترمش غير مصدقة أنه فعلها..لقد ظنت أن يده ستتوقف في منتصف الطريق.!

- صرخ بها و كأنه فقد عقله: أنتِ من فعلتي ذلك!..و هدر: سئمت..سئمتُ منكِ ومن عقدك النفسية التي لا تنفكين عن ترديدها!..سئمتُ عدم حبك وثقتك المعدومة بي!

- قالت بصوت ميت لا حياة فيه: طلقني!
- نظر لها بإستهجان و خوف..إلّا أنها صرخت بصوتٍ عال وهي تكسر الأشياء من حولها: طلقني..طلقنيييييي.

ارتعب من مظهرها يحاول أن يمنعها مما تفعله تكادُ تُصيبُ نفسها بأذى. ما إن رأته يقترب حتى إرتفع صوتها..أكثر..لكنها التفتت تبحث عن ما تقذفه به وهي تبكي و تصرخ حتى رأت مرآة فإقتربت منها و رأت المشهد التي تعكسه و الذي جعلها تضع يدها على فمها تخنق أنفاسها و عبراتها تتسابق.. رأت نفسها وهي مشعثة الشعر و عيناها حمراوان و وجهها موشوم بصفعته و يديها ترتعشان بألم نابع من قلبها الذي يرتجف بقوة و عنف مؤلم..غرفتها المحببة للقراءة و الدراسة منذُ الصغر قد تهشمت على يدها..رأته يقترب منها من الوراء ينظر في انعكاس عينيها و يديه تكاد أن تحتضنها .

- أغمضت عيناها تعتصرها تُريد أن يحتضنها تريدُ أن تطمئن أن كل شئ سيكون بخير و أنه لن يكون لغيرها.. و أن هذا ليس إلّا كابوسًا!..و قبل أن تمسها يده حتى صرخت و كأنها النار و انتفضت بعيدًا

تنظر له بعذاب و هو مشدوه مما فعلت:قالت و صوتها يخفُت و يديها تتحركان حركات مشوهة: لما فعلت ذلك ؟!..لما لوثت حضنك بأخرى ؟

- غصت الدموع تخنقها: لماذا يا جاسر لماذاا ؟.ألم أكن كافية بالنسبة لك؟!..لمَاذا أنت بتلك القذارة و الوضاعة؟!
- أشارت بأصبعها عليه: لقد شممتُ رائحتها عليك..لقد اختلطت رائحتك بغيري!..صرخت وهي تقذفه بمزهرية رُسمت عليها يدين تحاولان التلامس .

- أيُها القذر الخائن لقد شوهت حبي و ذبحتني بسكينًا بارد.. لقد تماديت عن ما رأيته إذن..!

كادت تنفجر حنجرتها من الصراخ حتى اختنقت الأنفاس في صدرها و صمتت تشعر بالسكين في مجرى تنفسها لم تعد قدميها تحتمل فسقطت على ركبتيها و فستانها السمائي الشاحب يفترش الأرض وهي تحتضن وجهها بكفيها تخفيه عن العالم وهي تبكي لتظهرها في مظهر الوردة الذابلة .

- نظر لها بألم و هو يهمس: حياء أنا أسفًا عما فعلت.. و الله أسفًا.. لم أكن أعرف ما ستفعله..لقد استدرجتني في الشرفة ولم أكن أعلم أنها سوف..
- رفعت رأسها بحدة آلمتها وهي تقول بتحذير و صوتها حاد كنصل السكين: اخرس..لا تنطق بحرف..ولا تقول تلك القاذورات من فمك..لا أريد أن أسمع صوتك أنه مُقرف يُشعرني بالغثيان!

نظر لها بصدمة لا يصدق أنها حياء التي تتحدث!..عينيه تتوسلان لها و يديه تقتربان..بدأت تتراجع للخلف و رأسها تنفي إمكانية اقترابه وهي تصرخ أن ابتعد!..حتى اصدمت بالمرآة لتنزل عليها و تتهشم فما بقى غير بقايا امرأة مُحطمة لا تنتمي لعالم الأحياء ودماءًا و صرخة مدوية!

يتذكر أنه احتضنها يصرخ و يبكي و الجميع قد جاءوا من الطابق الأرضي بعد كل تلك الضجة وقد صفعه عمه كامل يصرخ فيه ليفيق مما هو فيه و يحملها للمشفى ..أدمعت عيناه ألمًا و غصت الذكرياتُ تخنقه.. إلّا أنه ظل يستغفُر و يدعوا الله أن يغفر له ما فعله بها و أن يجعلها تسامحه و أن يُميل قلبها ميلًا له.

رأى عز مُتجهًا نحوه فتنفس الصعداء و اعتدل يبتسم له..بينما استند الأخر بظهره على الحائط وضحك : أتعرف فليعينك الله عليها فيبدو أنها مجنونة تمامًا.. هذا ما رأيته منها في كل مره تعاملتُ معها فيها .

- لكزه جاسر في كتفه ينظر للغرفة التي تقبعُ بها: بل أنت و زوجتك المستقبلية المجنونان.. حيائي أنا..سيدة العاقلين يا وغد.

- ابتسم عز بمودة و أردف: هداها الله لك و هداك لها.
- ثم تنهد و همس و ابتسامته تتحول لضحكة صغيرة: و هدى الله وچدي إلى أيضًا وشفاها..

- سأل جاسر بتعجب: و لكن متى قابلتها يا ع..
- قاطعته حياء باقترابها منهما تعقدُ حاجبيها في استنكار .
- همست وهي تميل على أذنهُ و عيناها ترمق عز في غضب: لما أنت واقفًا مع ذلك الوقح ؟!..علينا أن نذهب..
- قاطعها عز بملامحه الجادة يقول بعد أن سمعها و تلك هي إحدى ميزاته : أنا لستُ وقحًا يا مدام!.
- نظرت له بغضب و إحراج و كانت سترد عليه ولكن أمسك جاسر بها و ابتعد عن عز و هو يكتم ضحكاته بصعوبة و
- يهمس لها: اهدئي ما بالُك تشتمين الرجل ..و تريدين قتله ؟
- زمت شفتيها و عينيها مُتسعة.. لتهتف بلهجة مستنكرة: مدام!
- رد و هو يبتسم على عبوسها: لا..بأس.. لقد أخبرته أنكِ زوجتي لأن سأل عن علاقتكِ بي..
- استنكرت ملامُحها الأمر .
- فقال مبررًا و ضحكة صغيرة تشق ثغره : أردتُ حمايتك بقولي هذا بعد الذي فعلتيه معه..و هو رائد عالي الشأن..وحمدًا لله أنه صديقًا قديم لي و إلا كنتِ في السجن الآن ولستِ بجانبي.. أخفضت نظرها بضيق .
- فأمسك بكفها و هو يبتسم بحب و يقربها له : أنتِ لا زالتِ في عدتِك بالمناسبة.. و يمكن أن..
- قاطعته وهي تسحب يدها بحدة قصدتها و تبتعد: فليدهسني القطر و يقطعني أربعة أرباعٍ لو عُدت إليك!

- تألم وجهه و هو يقول: بَعد الله الشر عنكِ..لا بأس..لم أكن أعلم أن هذا أهون عليكِ من عودتكِ لي.. لم أكن أعلم أنكِ كرهتينني لتلك الدرجة.
- أدارت وجهها وهي تعطيه ظهرها و تقول: أنا لم أكرهك يا جاسر..أنا فقط لم..
- قاطعها و هو يدور ليواجهها و يمسك بكتفها و عيناه تأمل غُفرانها: هذا يكفيني منكِ يا حياء يكفي أنكِ لا تكرهينني .. و أقسم بالله أنكِ لن تظلي بعيدة عني هكذا طويلا...يمكن أن أعيدك الآن و هذا شرعًا و قانونًا مقبول... لكنني والله تغيرت و عرفت أنني مخطئ بحقك..عرفتُ أنني ألمتُكِ حبيبتي..
وصدقيني سأُجاهد حتى أمحي ذلك الألم..
- ثم أكمل يهمس بتؤدة و عيناه تأسر عينيها و هو يقربها له: سأُجاهد في حبك يا حبيبتي..

لأنكِ نجمتي الماسية التي بها أهتدي .

حياء يا قمري الذي أنار عتمتي.

يا ورودًا عشقتُ رحيق خجلها.

يا ضحكة سحرت الأعين بلحنها.

ما لي غيرك أنتمي و لا يسكُن قلبي

و لا يرتوي إلا جوار حبيبته

سكينته.. ساكنته.. و ضلته

- همست بصدمة ألجمت لسانها: جاسر....
- اقترب عز منهما ينهب الأرض بقدميه و لكنهم لم يلاحظوه حتى قاطعهم عز بصوتًا أجش: جاسر فلتأتي معي حالاً!
- نظر له جاسر في غيظ و احتقن وجهه.. بينما احمر وجهها و اتسعت عيناها تحدق في جاسر بصدمة .. ضحك من مظهر وجهها الذي يكادُ ينفجر من الخجل واهٍ من خجلها الذي يعشقه.
- التفت في الجهة الأخرى و همهمت أنها ستذهب إلى دورة المياه وهي تهرول بثوبها الهفهاف.
- سأله جاسر بحدة و هو يُمسكه من قميصه: أكان ضروريًا أن تُقاطعني الآن ؟..لقد كنت على وشك إرجاعها لي.
- لم أكن أعلم أن هناك شئ مهم فلقد كنت واقفًا تُحدثها فقط.. ثانية !.. ماذا قُلت؟..تُرجعها ؟!

- زفر جاسر و هو يتركه و يمسح وجهه بيديه و يُرجع خصلات شعره للوراء: نعم أُرجعها فلقد إنفصلنا قبل أن يتم زفافنا بشهرين.

- دخلت دورة المياة وهي تلتقط أنفاسها و بللت وجهها الأحمر بالماء بكفيها ثم نظرت في المرآة تبتسم: لا تنظري لي بتلك النظرة البلهاء والا صفعتك!
- رفعت نظرها للمرآة بتوتر فرأت نفسها تُحدثها: من ناحية أنكِ بلهاء فذلك صحيح تمامًا..إنظري إلى نفسك وقد سامحتهِ لأجل بضع كلمات تُقال في دواوين القهاوي!
- لا أنا لم اسامحه ولكنه تغير حتى طريقة تفكيره و معاملته لي .
- حقًا ؟!
- نعم يبدو ذلك من كلامه و أسلوبه .
- لقد قُلتيها من كلماته..وما أرخص الكلمات عندما تكون كذبًا..كيف تثقين به بعد كل ما فعله بك .
- لم أثق..
- بل وثقتِ و أراكِ تكررين نفس خطأك السابق و أنتِ لم تتأكدي من نواياه و إن كان قلبه قد تغير و طريقة حياته أو..لا..فعليًا لم تتأكدي مطلقًا .
- لكن..أنا أشعر أنه تغير..
- بربك لا تكوني عاطفية ساذجة..أشعر تلك يمكن أن تُقال في عرض مسرحي مُبتذل..أما هنا..فى الحياة الواقعية..فإنه سيكون زوجك وشريك حياتك..ناهيك عن أنه سيكون والد أطفالك..علك نسيتِ أن لكِ عقلًا تستخدميه فى إختيارات حياتك .. فلا تتعاملي كأن الله لم يرزقكِ عقلًا و قلبًا لتوازني بينهم .
- لكنه لم يُرجعني بعد..إنه يُريد أن أسامحه أولا..
- حمقاء و ستظلين كذلك.. إنه يُوهمك بذلك..انظري لنفسك و انتِ معه..تكادين أن تترجيه أن يُعيدك .
- لا..أقسم أن الأمر غير ذلك..فقط أراه أصبح شخصًا أفضل .
- فليبرهن إذن فعلاً و قولاً أنه تغير .
- نعم عندكِ حق و لكن..
- ولكن ماذا أوا نسيتِ هذا ؟!..و لمست جانب وجهها الذي كان موشوم بصفعته يومًا.
- هتفت: أنا أيضًا صفعته أمام الجميع عندما حاول أن يُرضيني و طردته من المشفى .
- نعم ولكن بالطبع ذلك لا يساوي قطرة من الوجع الذي أذاقي إياه كؤوسًا!..
- ماذا أفعل؟
- أنا لا أقسو عليكِ إلّا لمصلحتك..فلتتريثي في إعطاء قلبك له مرة أخرى..عساه الشعور بالذنب أو فترة ويعود لطبعه..فالطبع غالب .!

- محقة .
- فلتعامليه كالغريب حتى نتحقق من آمره ويثبت بأفعاله حقيقة نواياه.
- نعم..أيضًا بإمكاني الإستخارة الله .. فحتى لو كنتُ أذكى أهل الأرض فلا يمكن أن أعرف ما بقلبه أكثر من الله .
- اومأت لنفسها في المرآة وبعثت قبلة في الهواء لها وهي تضحك قليلًا وتتأمل نفسها: مجنونة و لكن جميلة..و ذكية .

في الخارج

- هتف عز:لا أفهم!..كيف تُرجعها..إن من عُقد قرانُها فقط ليس لها عُدة!
- الحقيقة هي أنني لم أطلقها..لقد إتفقتُ مع عمي على أن نخبرها بذلك حتى تهدأ قليلاً واستطيع اقناعها بالعودة..ثم نخبرها بالحقيقة عندئذ.
- الأمر معقد سأشرحه لك لاحقًا..والأن يجب أن يكون لديك مسألة حياة أو موت حتى تقاطعني هكذا.
- ضحك عز بخفة وأردف بهدوء: اهدأ لا بأس لم أكن أعرف..علينا الذهاب لوچد الآن حتى أطمئن أن كل شئ يخصها بخير..لقد تأخرتُ عليها بسببك.
- زفر جاسر بغيظ لكنه ضيق عينيه فجأة يسأله: تطمئن أن كل شئ يخصُها بخير..تأخرت عليها...هل أذناي خانتاي أم أنا أحلم؟!
- توتر عز و رمى بنظره بعيدًا كما لم فعل من قبل!.
- بينما أمسك به الأخر من قميصه يقول: مهلاً مهلاً.. أنت تنطق اسمها دون ألقاب.. قد خبأتها و أوهمت الجميع بأنها اختُطفت حتى أمام الشرطة !..
- تتحدث عنها و كأنها..
- اعترف و هو يبعده عنه: ابتعد وكف عن حركاتك الصبيانية تلك..ونعم ما تظنه صحيحًا.. ماذا يُضيرك أنت في ذلك ؟

- ضحك جاسر ضحكة مذهولة و صفق بيده و هو يُصفر: أووه انظروا من وقع ولم يُسمى عليه أحد.. إن سيد قفل صدئ القلب.. الخجول الذي كان يخافُ الفتيات... يحب بل و يصرح بهذا بكل جراءة أمامي.. ويحب من ؟..يُحبُ متهمه عنده بجريمة قتل!
- أمسك به عز بغضب و هو يمسك فمه: اللعنة عليك.. ألا تُبل في فمك فولة ؟.. لقد فضحتني يا أبله..

اخرس الآن إن زوجتك أقصد طليقتك..تلك.. تلك المُصيبة الخاصة بك آتية نحونا و لا أريدها أن تسمعنا.

دفعه جاسر ينظر له نظره مُغيظه و هو يضحك بقوة جعلت عز ينظر له و هو يُحذره بالإشارة على رقبته بسكينًا وهمي إن تحدث أمامها.

وصلت حياء لهما وهي تتسأل فى حنق..أنظروا كيف يضحك كلاً منهما ونحنُ فى الظروف؟!

لا زال جاسر يضحك ضحكاتٍ صغيرة تخرج منه غصبًا..حتى رآها قادمة نحوه فتنهد يلتقط أنفاسه ويستعيد ثباته..

- فلكزه عز بقوة و هو يضحك فكاد الآخر أن يقع على الأرض لولا أن أسرعت حياء تمسكه..توازن هو حتى لا يقع و يوقعها معه.. وأمسكت هي بذراعه ظنًا أنها من أنقذته من السقوط.
- سألته بقلق حقيقي فهي لم تنتبه ان عز من دفعه: جاسر هل أنت بخير ؟..هل تشعر بالدوار ؟
- -نعم..لا..أقصد لا..أنا بخير الأن.
- متأكد ؟.. هل أكلت شيئًا منذُ الصباح ؟..تبدو شاحبًا.
- ربت على رأسها بحنان : أنا بخير حبيبتي لا تقلقي.
- تركت ذراعه و تنحنحت قائلة بحزم: حسنًا هيا بنا الآن.. فلتأخذني عند وچد.
- ضحك بخفة و هو يتأمل حركتها المحببة لقلبه و يلتقط كفها ثم تحدث بجدية لاتناسب ماكان يفعله منذ لحظات : حسنًا يا صديقي لتأخذنا لآنسة وچد من فضلك.. فزوجتي تُريد الاطمئنان عليها.
- سحبت يدها من كفه بهدوء قائلة : عُذرًا سيد عز إنه يقصد أنني ابنة عمه فلقد انتهى زواجنا منذُ شهرين..عساه أخبرك بذلك لأنني أخطأتُ بتصرفاتِ المتهورة معك..لكنني اعتذر منك..إن وچد ليست صديقتي فحسب..إنها..
- قاطعها : لابأس أعلم ما تقصدينه.. فلتسرعوا معي لأن المكان بعيد إلى حد ما.
- أمسك جاسر بكفها بعد أن خطى عز مبتعدًا و هو يحاول أن يُخفض صوته وهمس بإنفعال مكتوم: ما الذي فعلتهِ ؟!

- نظرت ليديها و احدى حاجبيها يرتفع مُحذرًا: اترك يدي يا جاسر..إنها الحقيقة..ثم ليس مسموح لك بلمسي مهما حدث .

اندهش من طريقتها..ماذا حدث..لقد كانت منذُ دقائق عينيها رقيقتان كالقمر..خديها بلون الورد الأحمر..ماذا حدث لذلك التغير المفاجئ؟!

- حدثها و عيناه تواجه عينيها بتصميم: ماذا حدث لتنظري لي بذلك الألم القديم ؟
- نظرت بعمق في عينيه توصل له رسالة ...و كما يقول الأديب الفرنسي شكسبير " لا جمالًا مثل الذي نراه في عيني المرأة.. إن الكلمات التي تقولها المرأة بعينها تحتاج إلى عدة قواميس"
- همست: ما رأيك ؟
- رد بنفس الهمس: تُريدين عقابي؟
- تستحق.
- أستحق لكن لن أهون.
- ثقتك الزائدة بنفسك ستجعلك تهون.
- ليست بنفسي لكنها بكِ.. إن يقسو العالم كلهُ على قلبي فلن يقسُ قلبك.. ذلك وعدًا منكِ..أم نسيتي؟
- أنت من نسيت أنك أول من أخلفت الوعود.
- نعم و لكن الله هداني إلى الطريق الحق و انتِ تدركين أن الشخص لا يتغير تغيرًا حقيقيًا من أجل أحد فى المقام الاول.. لكننى اعترف ان الله جعلكِ سببًا حتى أُكشف امام نفسي وأراني بحقيقتي المليئة بالأخطاء..و الأن أنا أغير من نفسي و أصلحها حتى لا أظلمها و من اجل أن أكون لكِ زوجًا و حبيبًا و أخً و صديقًا تستحقينه..و رفيقًا فى الجنة يا حورائي.

- اتسعت عينيها قليلًا بذهول بعد أن أخفضتهما و زمت شفتيها فى غيظ طفيف مُمتزج بخجل: إنه يُخجلها !..لم تعتد على تلك الحرب الناعمة معه..كم تُريد ان تصرخ فيه الان: أنه ليس وقتًا لذلك..إنه تريد ان تتشاجر..على الرغم من جملته التي لمست قلبها..الخبيث..المُتلاعب..ستريه النجوم فى عز الظهيرة على تشتيت عقلها وهما يتحدثان فى موضوع هام كهذا .
- ضيقت عينيها لما رأت ابتسامة نصر تُزين وجهه فرمت بجملتها الغامضة: إن كنت قد أصبحت شخصًا جديد فتكلم حتى أراك .

- كفي عن رمي كلمات الأخ سقراط بعبث فنحنُ نتحدث بجدية .
- ضحكت لتستفز أعصابه أكثر لكنها هدأت لما شعرت أن عينيه تتأملانها .
- حسنًا..حسنًا..لكن أنا لا أعبثُ بك..أنا أخبرك صراحة لأنك تعرف أنني لا أستطيع أن ألف أو أدور..
- -أُحبك. نطقها بعمقًا صادق.

- اتسعت عينيها وانعقد لسانها لقد داهمها..هدأت وهي تأخذ نفسًا عميقًا علها تُهدئ من ارتعاش قلبها ..ونظرت فى عينيه تحاول أن تسترجع ما كانت تود قوله إلا أنه ضحك و قال وهو يضيق عينيه:
- ماذا حدث لمحاربتي الشجاعة التي صارت كالكتكوت المُبلل الأن..لا تحاولي إن قلبك معي.
- إختلجت عضلة فى فكها غضبًا لكن صوتها كان هادئ و هي تقول:
- حتى لو كان قلبي معك ضدي..اشتد صوتها: ذلك لا يمنع أن أهجرك لأنك لست مناسبًا لي!
- حياء!...
- أشارت أن يُصمت لتكمل تضغط على كل حرف تنطقُ به.
- لو وقف قلبي فى طريقي ..لو وجدت أنه من الأفضل لي أن أتحرر منك..فتأكد سأدعسه مليون دعسة..أو أحرقه أنا قبل أن تفعل لو أنك لازلت كما أنت..لقد تركتك بالفعل من قبل وقد تغلبت علي قلبي وكفى..لو رأيتُ للحظة أنك لن تصلح أبًا لأولادي فى المستقبل..أو الزوج الذي تمنيته من الله فلن أتردد للحظة التالية فى أن ألفظك من حياتي يا جاسر!..بعد ما حدث منك..ما عاد الحُب كافي لإستمرار هذا الزواج!
- من أين أتيتِ بتلك القسوة؟!
- أوا تجرؤ على اتهامي بالقسوة وأنا أحمي نفسي ؟!...كيف تجرؤ على ذلك بعد الذي فعلتهُ أنت؟!..لن أخاطر تلك المرة أبدًا بنفسي فى سبيل حُبك المُدعي!..أنت تعلم كم احببتُك..تعلم جيدًا أنني كنتُ أهيمُ بك حبًا منذُ الطفولة!..ولقد استغليت ذلك فور أن بُحت لك به!..استغليته بأبشع الطُرق!

- تلوى الألم فى عينيه..إنها تنبش فى قبر قد دفنه..لما تفعل ذلك وتفسد ما بقى..ببساطة لأنها فقدت ثقتها به.. فلقد كان زوجها و كسر ما بينهما ليس هينًا ولن تخاطر بالألم مرة أخرى كما قالت.

- أمسك بكتفيها يرفض الرجوع إلى نقطة اللاعودة و هو يهتف: أسفًا والله..أسفًا على ما فعلت..أقسم لكِ أني تجرعتُ الندم ما جعلني ألوم نفسي ليل نهار..والله أتعذب أنني فعلتُ ذلك بكِ..والله توبت إلى الله من ذلك الشخص الذي أذنب حتى أحرقتهُ ذنوبه...وتغيرتُ..ولازلتُ أتغير..لا ارتاح إلا عندما أراكِ أمامي..ولن يهدأ لي بال حتى أمحي ذلك الجرح فى قلبك..فقط كيف أبدأ ..كيف أبرهن لكِ حبي؟!

- همست تجتاحُ عينيه بتصميم و صدق: فلتثبت لي أنك تغيرت..فلتُريني الشخص الجديد.. فلتجعلني أُحبه حتى أنسى القديم بقساوته وخيانته..فلتؤكد لقلبي و عقلي أنك أصبحت شخصًا أخر بأفعالك ثم بأقوالك..فلتستعيد ثقتي بك و كن صادقًا مُحبًا حتى فى أشد الخصام .

- أمسك بمعصمها يقرب كفها لقلبه: هل ستساعدينني.. لأستعيد ثقتك ؟
- ابتسمت بعذوبة وعينيها ترفضُ أن تلين بل تتلون فى تحدي محبب: سأحاول أن أصلح بينكما و لكن تعرف أنها غالية لا تُعطى إلّا لمن يستحق.. غير ذلك.
- سحبت يديها وهي تنظر له بضحكة صغيرة تُزين وجهها و تفرد كفها إليه ببراءة الأطفال الزائفة عندما ينظرون لك بعد كارثة أو مشكلة إفتعلوها : كم ستدفع حتى أتوسط بينكما ؟
- انفجر ضاحكًا بذهول وهمس وهو و يغمز لها بحب: عمري كلهُ يا زوجتي المصون.
- ارتفع حاجبها استنكارًا و قالت بصوتًا مُغيظ: لستُ زوجتك.. انا خطيبتك حتى أرى إن كان الشخص الجديد الذي أصبحته يناسبني أم لا..ولذلك لا تمسك يدي او تحدثني خارج الضوابط الشرعية للخطبة.. يا ابن عمي المصون..ضحكت ثم هرولت سريعًا تهرب منه ..كاد أن يلحق بها ويمسكها... إلا أن عز اتصل فأخرج الهاتف و هو يتوعدها ويُحدث نفسه بغيظ حقيقي..

- التفتت وهي تضحك و تسرع أكثر: أحمق..مخبول..يُحدث نفسه.. لقد جعلتِه مجنونًا مثلكِ يا حياء..عسى أن نتزوج قبل أن يلقوا بنا فى مشفى المجانين!

كانت المشفى التي بها وچد بعيدة قليلًا في مكان ليس مزدحمًا نوعًا ما..و بعد نصف ساعة وصلوا للمكان.. وخرجوا من السيارة..مُتجهين للطابق الثالث في المشفى ..وصلوا لغرفتها فتوقف عز و أوقف جاسر الذي كان سيدخل مع حياء و أشار لحياء بأن تدخل وحدها.

- سأله جاسر: لما لم ندخل معها ؟..أنا أخاف أن تكون وحدها بالداخل.
- قال عز و هو يجلس: نحنُ لسنا من محارمها لندخل عليها و نراها بشعرها يا أحمق!
- انت مُحق... لازلت كما أنت لم تتغير مطلقًا.
- لا تعرف كم إستراح قلبي يا جاسر..هناك من سيعتني بها حتى أستطيع أن أتحرك فى القضية بتركيز.. تلك القضية مُعقدة..لكنني أشك فى شخصًا بعينه.
- خطيبها السابق أليس كذلك؟
- لا تُقرنها به في جملة سواء في الماضي أو في الحاضر.. وكيف عرفت أنها كانت مخطوبة ؟..يبدو أنك بدأت التحري في تلك القضية اذن.
- أومأ جاسر و اختفى الهزل من ملامحه قائلاً: حسنًا..دعنا نتحدث بجدية..حل تلك القضية سيبدأ منه..أنا متأكد بنسبة ستين بالمئة أنه هو القاتل.
- لا ليس هو..إن القاتل هي ليس هو.
- كيف عرفت أنها امرأة..ولكن مهلاً لقد رأيتُ صور الجثة إنها مصابة بشكل يستحيل على امرأة مهما بلغ قوتها أن تفعله!
- من حاول قتل وچد و قتلي كانت امرأة عندما هُجمنا فى المشفى كما أخبرتك..لكن تبقى الآثار على الجثة هي اللغز الأكبر.
- لماذا اعتقدت أنها القاتلة ؟.. يمكنها أن تكون مستأجرة لتلك المهمة من القاتل.
- رُبما ..لكنها.. ليست محترفة في عملها و مهمتها مليئة بالثغرات و الأخطاء الفادحة.. تركها للكاميرات و طريقة مهاجمتها تقول ذلك.. وأيضا هناك معلومة مهمة إنها تعرفني و تحمل ضغينة تجاهي كذلك.
- إذن يبدو أن هناك حلقة تربطك و تربط وچد و تربط الضحية بها أيضاً.
- نعم هذا ما استنتجته و لكن أين تلك الحلقة؟!
- هل للضحية أصدقاء؟

- كثيرون..لكن هناك واحدة فقط مقربة منها و تُدعى سمر ممدوح سامح.
- حققت معها ؟
- لا ..ليس بعد.
- لماذا؟.. إنها الوحيدة المقربة منها يعني ذلك أنها هي من تملك حل القضية بيدها..بالطبع تعرف كل خبايا و أسرار الضحية .
- ما حدث قد أنساني تمامًا ما كنتُ سأفعله.

- حسنًا سأحضر معك التحقيق .
- جيد .
- حك جاسر ذقنه: عز أُريد أن أخبرك أنني ذهبتُ لذلك الشاطئ لعلي أجد أي دليل.
- وهناك قال لي رجل قابلته في المسجد القريب من الشاطئ أن هذه الشواطئ ملعونة منذ دهرٍ بعيد و أنهم دومًا يسمعون ضحكات و صرخات من ذلك المكان في الليل.. ولقد حكى لي عن أشخاص قد رأوا خيالات هناك تجري على الشاطئ...في بادئ الأمر لم أصدقه إلّا أنني بحثت في ذلك الموضوع و وجدت أن هذا الشواطئ أُغلقت بسبب حالات الغرق و الاختفاء الكثيرة التي حدثت هناك.. معظم الجثث كانت مُختفية..والذي وُجد كان في حالة سيئة جدا من الكدمات و الجروح.. و كان الجسد صعب التعرف عليه بسبب تآكل معظمه من مياة البحر.

وفي ديسمبر منذُ ستة عشر عامًا قد أُغلقت تلك الشواطئ و قيل في الملفات أنه بسبب السحب و الدوامات القوية فيه ..لقد قرأت معظم سجلات التحقيق مع الشاهدين.. وكل القصص كانت تحدث بعد منتصف الليل.

البعض قال أنهم رأوا الشيطان و أتباعه يرقصون حول النار هناك و تنعكس ظلالهم على الشاطئ بأكمله..إنها لفكرة ساذجة لا تكتب فى قصة مصورة لطفل لا يشرب الحليب..و البعض الأخر قال أنهم رأوا أشباح تطير في الهواء وتصرخ..وهناك من رأى امرآة جميلة تخرج من البحر و تنادي على المار أمام الشاطئ ثم تتحول لمسخ و تأكله تشبه خرافة النداهة بشكلٍ مضحك حتى أن أحدهم قال أنه سمع صوت قرمشة عظام بشرية!..لقد ضحكت عند تلك النقطة كيف يستطيع أن يُميز قرمشة العظام البشرية من قرمشة الرقائق..هل قام بقرمشة أحدهم من قبل؟!

هناك أيضا عمال قالوا أنهم رأوا كائنات تأكل بعضها البعض و أصوات لُهاسهم و قضمهم للحم النيئ و صراخهم و ضحكاتهم كانت تُجلجل في المكان..و تصور هذا يقول أحد العاملين هناك أنه بعد منتصف الليل دخل ليتوضئ لصلاة الفجر لأن الماء كانت مقطوعة .. يدعي انه رأى مشهد يستحيل أن يحدث من وجهة نظري.. إنتظر لقد إلتقطت صورة لوصفه لما حدث من سجل التحقيقات.. ها هي سأقرأها لك:

"لقد غزت الدماءُ البحر و إنطفئ القمر وقد رأيت النار فى السماء تتموجُ حتى كاد نور عيني ينطفئ من وهجها المُحرق..قد ثار البحر وكأنه وحش حي وانعكست النيران من السماء عليه فأصبح البحر نارًا دموية تتموج..إنبعثت الصراخات والتي كادت رأسي تنفجر من شدتها و من قوة الألم الذي تنقله ..لم أستطع حتى أن أصرخ بإسم الله فلقد فقدتُ صوتي لكنني ناديتُ بروحي: يا الله نجيني .و انطفئ كل شئ من حولي!"

- هذا الشاب هو الوحيد الذي نجى بعد كل ذلك لقد أثار الرعب في النفسي بمجرد أن تخيلتُ المشهد يا عز.. رد عز بتركيز: كل ما قلته مُحير.. أقوالهم تقول أن تلك الشواطئ ليست إلا بوابات تُفتح في الليل على الجحيم.
- معك حق..أيضا هناك شئ..لقد أحُرقت كل سجلات التصوير و الكاميرات كلما وضعوا كاميرات فى تلك الشواطئ للمراقبة.
- إذن هل تظن أن تلك القصص كاذبة أو حدثت بالفعل ؟
- بعضها و بعضها يا عز..لن نستطيع التأكد من صحة ذلك الأن...كما تعلم الحقيقة الكاملة الوحيدة لا تأتي من البشر بل من الكتب السماوية..التوراه و الإنجيل و الفرقان..جميعها تؤكد بوجود الجن و الشياطين..جميعها تؤكد أن هناك كثير من ما لا نعلمه..لذلك أؤمن بعالم الماورائيات..وأقرأ فى علم الميتافيزيقا..فرع من فروع علم الفلسفة والذي يختصُ بدراسة كل ما هو ورائي وغير طبيعي..لكن اعود لنقطة هامة ألا وهي الوهم و توجيهه فى إتجاه معين حتى تسير الأمور كما يريد من لديه مصلحة فى إخلاء تلك الشواطئ من البشر .
- معك حق.. يمكن أن تكون محض أوهام و قصص إختلقوها الناس..فالطفل لو أعطيته حبل لصنع لك عقدة شديدة التعقيد ودون أن تطلب منه ..إن هذا فى دماء البشر يحبون تهويل الأمور والحديث عنها لخلق شئ مثير للاهتمام والرعب.

فى الغرفة:

جلست حياء بجانب وچد و أمسكت بكفها و هي تقرأ بعض القرآن..ظلت على تلك الحال لفترة حتى انتفض جسد الأخرى فجأة و راحت تنتفض و تتحرك كالمحمومة ..صرخت حياء تنادي جاسر وهي تحاول أن تمسك بها حتى لا تؤذي نفسها..سمعوها فذهبوا إليها بسرعة ليجدوا وچد تتحرك بعصبية و تشنج و عيناها مُغلقتان بقوة تعصرهما و حياء تحاول إمساكها حتى لا تسقط على الأرض..

- خرج جاسر ينادي الأطباء و ساعد عز حياء في الإمساك بها

- قالت حياء ببكاء: لقد انتفض جسدها بقوة فجأة و دخلت في حالتها الهستيريا وقد صدمت رأسها مره أخرى بقوة .

عندما حضرت الطبيبة كانت وچد قد سكنت تمامًا.. و إرتخى جسدها لكن عز لاحظ أنها تهمس بشئ بشفتين مرتجفتين فمال يحاول أن يسمع: ولقد سمع كلمة غريبة .

- لقد كانت تهمس بإرتعاش: أ.س.ي.ر.ا.ج.ا.ن

منذُ سويعات قليلة فى أعماق ذكريات وچد....

- وچد!..تعالي هنا ولا تبتعدي.. ناداها والدها بحزم .
- ياسين: لما أتيت بنا إلى هنا يا سليم؟..هذا الشاطئ بعيد جدًا عن المنزل..كان من الأفضل أن نذهب إلى الشاطئ الذي اعتادنا عليه .
- نعم بعيد ولكن جديد وبه كثير من المطاعم والمتاجر الرائعة.. فقلتُ لما لا نغير و فرصة نستمتع برونقه الجديد و وسائل الترفية الممتعة به.

وبالفعل كان اليوم جميلاً كما أرادوا..بدأت الشمس في الغروب وقد بدأ الجميع يرحل حتى العمال وكأنهم يهربون مما أثار ريبة سليم ولكنه كذب شعوره و قد شعر أنهم يجب أن يعودوا لأجل المسافة الكبيرة.

- قال لزوجته : مُنى علينا العودة الأن حضري الأشياء أنتِ والنساء وأنا سأحضر ياسين والأطفال

وقف ياسين و عينيه مربوطة بعصابة سوداء وفقًا لقانون اللعبة.. بينما حوله يتحرك الأطفال بسرعة حتى لا يمسكهم و وقفت وچد تُغني بعذوبة وهي تتحرك من حوله.. تصمت تارة و تُكمل تارة.. ضحك وهو يقتفى أثر صوتها..إن صغيرته دائمًا ما تفعل ذلك حين تُحب أن يلعب معها وحدها فهي تشعر بالغيرة عندما تجدهُ يلاعب أحدًا غيرها.

- اتسعت ابتسامته بحنان وهو يجدها قد بدأت تُغني مره أخرى وركز ليمسك بها متأهبًا في حركة تمثيليه تشبه اللصوص في قصة الأربعون حرامي التي قرأها لها آمس

- يسمعها تضحك غصبًا بإرتعاش وتبتعد أكثر وهي تُغني: ورود الفجر غنت
- ترقصُ للجميلة..ووهج السماء يلمع على الأنهار المُنيرة..في الليلِ نميل على العشب الجميل.. نفترش السماء بالعينِ والفؤاد.. وأنا..اااااه.

- هنا أمسك بها وقد خلع عنه العصابة و هو يهتف بصوتًا شرير مضحك: أمسكتُ بالجميلة..أنا القرصان سيد البحاار.. سأرميكِ لأسماك البحر ليأكلوا أذنيكِ وخديكِ وأنفك .
- ضحكت بعمق من قلبها وإستدارت بحضنه تقول: لا لن ترميني يا قرصاني سأجعلك تُحبني ولن ترميني أبدا أو تتركني .
- احتضنته وهي تبتسم مغمضة العينين.
- فأبعدها قليلا وهو يغلق إحدى عينيه مفتعلاً أنه أعوركالقرصان قائلا بصوتًا خشن: وكيف ذلك يا سيدتي الصغيرة.
- ردت بكل بساطة تقبل خديه: هكذا..وهكذا..
- أنزلها و هو ينزل على ركبتيه و أمسك بيدها و لثمها قائلًا بضحك: اه يا ويلتي لقد وقعتُ في حبك..لا تتركيني يا سيدتي .
- قامت وقد وضعت يدها في خصرها: بلى سأتركك إن لم تكف عن سرقة الكنوز والمجوهرات .
- احتضنها غير قادر على إمساك ضحكاته يقول: هذا لأجلك يا سيدتي..أُريد أن تكون لكِ المجوهرات لترتديها .
- ضحكت وقالت وهي تلوح بيدها : أُتريد أن تُلبسني شبكة مسروقة؟..لا أنا لستُ من ذلك النوع..أريد عقد فل بمالك الحلال أفضل من أطنان من المجوهرات الحرام .
- تعالت ضحكاته المتعجبة منها و من الطريقة التي تحدثت بها لكنه ربت على وجنتيها قائلًا:
- حسنًا إذًا إتفقنا يا سيدتي الصغيرة.

آتى سليم يناديهم ليذهبوا .

- فقالت وچد بتذمر وهي تضرب الأرض بقدمها: لا هذا ليس عدلاً..أُريد أن أرى الشمس وهي تغرب .
- قال سليم بغضب من دلالها الزائد هذه الأيام: قلتُ لا وسنعود حالاً.
- ونظر لياسين بتحذير: لا تحاول معي يا ياسين سنعود الأن حتى نستطيع أن نصل إلى بيتنا في وقت مبكر.

ذهب سليم وجلست وچد وهي تبكي بحزن .

- حملها ياسين وهو يقول: ما بالُ أميرتي تبكي وأنا أحمل لها مفاجأة.

توقفت تنظر نظرة متسألة بعينين لامعتان .فأومأ بأن نعم .

- وهمس لها: سأقولُ لكِ على سرًا خطير .

ضحكت وهي تمسح دموعها إن تلك الجملة مصاحبة لمفاجأة تُبهجها دومًا..

- همست له: ما هي ؟
- كلمة السر أولاً.
- ضحكت تضم كفيها قرب آذنه حتى لا يسمع أحد وهي تهمس بصوتٍ خفيض: أنا من قتلتُ موفاسا.
- هتف يرفعها عاليًا: قاااااتل..
- انزلها و تحدث وهو يمسح بقايا دموعها مع يديها: في الليل سأخذكِ لنشتري لكِ ذرة مشوية من عُمر صديقنا وسوف نركب الأرجوحة و..
- قاطعته وهي تسأل: هل سنأخذ أحلام معنا ؟
- قال وهو يربت على خدها: لا لن نأخذها لأنكم تقومان بالشجار طوال الوقت وأنا رأسي صغير يُمكن أن ينفجر من فرط الصراخ .
- احتضنته وهي تضحك: رائع إذن أنا موافقة.

ظل حاملاً إياها وهم ذاهبون حتى وصلوا هناك .

- فهتفت بها منى: وچد!..كم مره علي أن أخبرك ألا تجعلي خالك يحملك فأنتي أصبحتي كبيرة وقد تؤلمين ظهره.
- لا تتدخلي أنتِ في شؤوننا..إنها صاحبة السمو كانت قدمها تؤلمها من اللعب وهذا أمر لا يقبل النقاش.

زمت منى شفتيها بعدم رضا وأكملت ما بيديها.

كانت الشمس قد أصبحت في منتصف الأفق عندما آتى والدها يحمل الأشياء للسيارة وكل الأطفال مع أمهاتهم يتحدثون بصخب والرجال يحملون الحقائب للسيارات و معهم ياسين .

وقفت وچد تنظر للسماء مفتونة كم تحب الغروب ؟

نادتها والدتها أن أسرعي هنا .

وقد إمتثلت للأمر لكن رأسها تلتفت كل حين لتخطف أخر اللحظات من الغروب.

حتى وقفت على بوابة الخروج وقد لا حظت أن حذائها الجميل الفضي الذي أصرت أن تأتي به إلى هنا ملوث بالرمال فقالت أن لا بأس إن عادت لتغسله وترتديه بالخارج..

وفي الزحام عادت ولم يلحظها أحد..كانت الشمس تكادُ تختفي في جوف البحر فوقفت تتأمل المشهد ناسية ما كانت آتيه من أجله ..وبعدما انتهى لم تشعر بالوقت الذي مضى وقد حلت الظلمة فأمسكت بحذائها وهي تقترب من ماء البحر الهائج .

مالت نحو طرف البحر إلا أن الماء كانت محملة بالرمال لذلك تقدمت للداخل أكثر حتى صارت الماء قبل ركبتيها بقليل .

غسلت الزوج الأول من الحذاء ولكن آتت موجه عالية تضربها لتوقعها على ظهرها ولأنها على الشط فقد تداركت نفسها ووقفت تنظر بغضب للبحر وما إن نظرت ليديها حتى تنبهت أن البحر إختطف إحدى زوجي حذائها..وهو يطفو بعيد..نظرت بخوف على حذائها .. و هي تقترب لتدخل إلى جوف البحر الهائج عازمة أن تستعيده..اما بالخارج فكان الجميع يصرخ وينادي عليها بين البنايات ظنًا أنها خرجت معهم وليست بالداخل.

إنها تشعر بالإختناق وقد أُخذ الزوج الأخر منها و هي الأن تُعافر بضعف بين الأمواج المتلاطمة وتهمس أنقذوني .

ولكن كيف ؟!..ليس هناك أثر لبشر في الأفق يُمكن أن يُنقذها..فقدت أخر أنفاسها وهي تغوص وقلبها يبدأ في العد التنازلي للتوقف!..فجأة ظهر جسدها يخرج من الماء طائرًا لينزل بهدوء على الرمال.. أخرجت وچد الماء من جوفها تشهق بقوة..

وقد تشوشت الرؤية وهي منهكة فأغلقت عينيها ولكن أُذنها سمعت أحد يتحدث بلغة غريبة و نبرة مُرعبة..

جاهدت لتفتح عينيها لكن لا فائدة..وسمعت كلمة تتكرر ذات فحيح حُفرت في عقلها بنفس الصوت للأبد.

أسيرًا للجان

أسيرلاجان

أسيراجان

ثم شعرت بالإختناق وهي تشعر أن شئ يجثم على صدرها..وفجأة قد أُنتزع ذلك الشئ بعنف من عليها لتسمع إرتطام قوي..

إرتعشت وحاولت فتح عينيها لكن لا فائدة إن قلبها على وشك التوقف من رعبًا لا تراه..تنبش بأناملها فى الرمال فى عجز تحاول أن تتحرك حتى لكن جسدها أصابه الشلل.

والحمدلله أنها لا ترى شيئًا فإن قلبها كان سيتوقف قبل أن ترف بعينيها مره أخرى..كان ما يحدث حولها هو صراع بين كائنين غير معلومين الهوية ..

- وقد كان يصرخ أحدهم بلغته للأخر: أيُتها القذرة لما أبعدتني عن غنيمتي..ألا تعرفين أنني من وجدتها أولاً بل وأنقذتُ حياتها الرخيصة لأسلبُها أنا!
- قالت بتوحش وهي تُظهر أنيابها ومخالبها الحادة: لا هذه أصبحت لي وإياك والإقتراب منها..أنا من سأخذها وسأخذ حياتك الرخيصة يا زادن لو لم تتركها لي!

بعد صراع أدمى كلاهما كانت هي المتفوقة عليه:

- سألها و عينيه قد جحظت من التعب : لما أنتِ مصرة عليها إلى تلك الدرجة ؟..أنتِ تقاتلين وكأنها حياتك؟!
- هدرت تُهاجمه: ليس هذا شأنك..أنت غبي ولا تعرف كم ثمن قلب طفلة بشرية عند بوتيجشي الكاهن؟!

ولا بأس إن قدمتك له كهدية محبة بيننا لنُبارك عملنا بدمائك!

- قال وقد نفدت قوته وإحتماله بعد أن شعر أنه لا منفذ وأن ما سيفعله هو الحل الذي سيسبب أقل الخسائر
- هي لكِ يا ملعونة!

ظلت عيناها المتوهجتين ترمقه حتى اختفى .إقتربت من وجد على الأرض والتي كانت تبكي بقوة وتنتفض وعيناها مُنغلقة تعصرهُما..حاولت هي التحدث ولكن لغتها غريبة وصوتها سيخيف وجد أكثر لذلك صمتت وهي تحاول أن تتشكل في أكثر شكل لها لا يُرعب.فقلب البشرية يكادُ يتوقف بالفعل..وهي لا تعرف كيفية التعامل معها ولكنها احتضنت وجد كما رأت ذلك الشاب يفعل معها .

تشنجت وجد وعقلها غير واعي بالكامل ولكن هناك ذراعان تضمانها بقوة وقد أوحى لها عقلها أنها في

حضن خالها الحبيب في أمان وحتمًا أن ما حدث كان كابوس لذلك بدأت في الهدوء والإستكانة وقررت أن تفتح عينيها حتى تطمئن أكثر وتؤكد لنفسها أنه كان حلم.

وبالفعل فتحت عينيها وهي تُبعد رأسها تُريد أن تنظر..شعرت چيونا بما يحدث فنظرت لها ..انتفضت وچد انتفاضة عظيمة بين يدها وقد إتسعت عينيها على آخرهما و شُل لسانها.

كانت هناك عينان واسعتان فضيتين كالقمر يصدرُ منهما لهيب نارٍ فضية اللون..تنظر لها في تأمل و هناك شئ أسود يُلطخ ذاك الشئ الذي يشبه الوجه وعلامه بين عينيها بالأحمر والأسود وفي عينيها كذلك كالكحل..لم تتعرف وچد على باقى شكلها بما أنها لا تمتلك أسمائًا لأجزائها الغريبة.

رفعت چيونا ما يُشبه إلى يد وربتت على وجه وچد برتابة ويدها تُلطخه بذاك السائل وكأنها تحاول أن تنفذ مهمه ليس في أن توصل شعور .

وضعت جبهتها على جبهة وچد تغمض عينيها :

- لا تخافي أنا لن أؤذيكِ..لا تعودي إلا هنا مرة أخرى..لا تعودي!

انبعثت الكلمات فى عقل وچد والتي ارتجفت تنظر بصدمة لنيران عينيها القمريتين!..وخيل لوچد أنها قد رأت عيناها تبتسم بينما نظرت الأخرى فى اتجاه ما

وفجأة قامت واتجهت في الاتجاه المعاكس لوچد وهي تختفي و الصغيرة تفقد وعيها رويدًا رويدًا.

خارج الشاطئ أمام بواباته الكبيرة :

دفعت منى بالواقف أمامها يمنعها من دخول الشاطئ لأن ذلك ممنوع منعًا باتًا..وهرولت للداخل..لحق بها سليم و ياسين وهم لا يعرفون أين تتجه وهي تبكي..فإن وچد إختفت بالخارج.وقد ذهبت في الإتجاه المعاكس في جزء لم ينتهي تجهيزه بعد من الشاطئ.

صرخت عندما رأت جسد على الرمال وقد رفض قلبها أي أفكار حتى تطمئن عليها..واقتربت وهي ترتجف تضع رأسها على قلب وچد وقد كانت لحظة قاتلة للجميع ..دقات قلبُها الصغير تخفت حتى تكادُ تختفي.

- وقد صاحت منى فيها بصوت مصدوم مرتعب و هي تضرب خديها: وچد..وچد..أفيقى!

- اخذ ياسين منها وچد وهو يحاول أن يجعلها تفيق ولكن الأخرى لا تستجيب فحملها وهو يتجه للخارج و يصرخ: إلى المشفى حالاً ورائي!

في مكتب الطبيبة :

- حياء : أرجوكِ يا حضرة الطبيبة أخبريني ما بها ؟
- نظرت لها الطبيبة وهي تزم شفتيها في انزعاج أحرق أعصاب الواقفين: لا أخفي عليكم إن حالتها غير مستقرة بل وخطرة أيضًا لقد صدمت رأسها بقوة..ولا نعر..
- قاطعها عز وهو يضرب المكتب : وكيف تُترك هكذا بدون الممرضة الخاصة بها ؟..ألم انبه على ألا تتركها مطلقًا؟!
- قالت حياء بإرتجاف : إن الخطأ خطأي أنا.. يا سيد عز لقد استأذنت الممرضة أن تذهب إلى دورة المياة لبضع دقائق وأنا آذنت لها.
- صرخ عز بغضب جامح : وكيف تفعلين ذلك وأنتِ غير قادرة على حمايتها أو مُساعدتها ؟!
- دفعه جاسر بعيد وأمسك بيد حياء يشدها و هتف: عز هل جُننت لتصرخ بزوجتي وأمامي أيضًا ؟!
- هتف عز فى الطبيبة بغضب يحاول السيطرة عليه: أعطيني إسم تلك الممرضة التي ستُقال من العمل حتى تنتبه لمسؤولياتها.
- وداد حمدي.

ربت جاسر على كتف حياء وأخبرها أن تذهب إلى الدورة المياة وتغسل وجهها وتهدئ..حتى يتصرف مع عز..ثم أخذ عز من ذراعه للخارج وهو يدفعه بحزم للممر فارغ.

- جاسر: هل جننت يا عز ؟..فلتهدئ ماذا بك ؟..لماذا كُل هذا؟..ستكون.
- أمسك عز به من كتفيه وهو يهتف: لأنني غير مستعد لخسارتها..لأنني أحتضر عندما أسمع أنها في خطر لا يُمكنني حمايتها منه....شعور العجز المُحرق في أن يحدث لها شئ وأنا لا أستطيع منعه.
- احتضنه جاسر وهو يربت على كتفه بشدة: لا تخف..ستكون بخير..أوا تظن أن الله قد وضعها في طريقك هكذا وجعلك تتخلى عن كل هواجسك القديمة ليأخذها منك الأن ؟!

سمع كلاهما هرولة حياء وهي تصرخ فيهم بفرحة: لقد أفاقت..وجد قد أفاقت.!

كان عز أول من دخل الغرفة وهو يلهث ينظر لها يُريد أن يتأكد أنها أفاقت..فقط يريدُ أن يرى الحياة تدبُ في إبتسامتها و عينيها...اصطدمت عينيها بعينيه تنظرُ له نظرة غريبة وتبتسم له بطريقة أكثر غرابة.

دخلت حياء واحتضنتها وهي تقبل خديها.. في بادئ الأمر لم تتحرك وجد من مكانها حتى ارتفعت ذراعيها بهدوء تُربت على ظهر حياء ونظراتها خاوية.. تائهة.

- ابتعدت حياء وهي تنظر لها وتقول: حمدًا لله على سلامتك يا وجد..لقد انخلع قلبي فزعًا عليكِ .
- نظرت وجد بهدوء مُريب وحيرة بالغة و سألت: هل أنا وجد ؟
- ردت حياء بقلق وهي تمسك بكفها: نعم أنتِ وجد... حبيبتي..ماذا بكِ؟..هل أنتِ بخير؟
- قالت وهي تمسك رأسها: أنا أشعر بالدوار..قليلاً..ولا أجد ما أقوله.....كيف جئتُ إلى هنا ؟

نظرت لها حياء فى حيرة وهي تنقل نظرها بينها وبين عز .

- سألته وهي تبتسم بوداعة: من أنت ؟..هل أعرفك؟..بينما ألجمته الصدمة..
- هتفت: لما تنظرون لي هكذا ؟..هل بي شئ؟

نظرت لملابسها ونفسها ليس بها شئ إذن لما يبدو الحزن عليهم..تحاول أن تتذكر ما حدث.

تغيرت ملامحها فجأة وهي تنظر للأرض بفزع حقيقي كيف جائت إلى هنا ؟..لا تذكر..من هي ؟..يقولون وجد إلا أنها لا تذكر!..فجأة تصاعد الألم خلف رأسها فصرخت وهي تمسك بها

ارتعب عز ينادي الطبيبة و حياء تحاول أن تُهدئها وتبعد يدها عن رأسها ..أما وجد فتلوت وهي تبكي بصوت يقطع نياط القلوب

وهي تتشنج وتهذي مغلقة عينيها بقوة:

- ابتعدووا عني....ابتعد..وصرخت فجأة برعب حقيقي وبصوت مفزع كأنها تُسلخ حية مما أفزع الموجودين...

بدأت تحقنها إحدى الممرضات بمهدئ ولم تفتح عينيها و هي منقلبه على جانبها الأيمن حتى توقف الإنتفاض و تحول لإرتجاف حتى أسنانها ظلت تصتك ببعضها البعض وكأنها ترتجف من أعماقها و دموعها تنساب ..خرج الجميع عداه..يجلس القرفصاء بجانبها يُنصت لما تقول

وكانت تهمس بضعف وبحروف متقطعة :

- البحر..لغر..وب..الظل..مة..قتلني.. قتلتني....وأنت لم تكن.. هناك..لم تكن.. هناك..كنتُ وحدي.

اتسعت عينيه بألم وحيرة..لا تزال عينيها مغمضة و كلماتها تخفُت حتى توقفت... نزفت مشاعره بجانبها وهو يراها بتلك الحالة.. وظل يتأملها لفترة لا يُريد تركها..يشعر برعب غير منطقي و هيستيري عليها لم يسبق أن شَعُرَ به على أحد.

كان يتساءل دومًا عن كيف يتزوج المرء أحدًا لا يعرفه حتى لو تعرف عليه و خُطب له لسنوات ؟..كيف يستطيع أن يتأكد أن هذا هو الشخص المناسب الذي سيكمل معه بقية حياته ؟

كيف سيعرف ان تلك الإنسانة ستناسبه و هو سيناسبها مهما إمتلك الوقت و الحكمة ..إن البشر يحبون أن يظهروا كالملائكة دائمًا فى البدايات و يجيدون إخفاء نواياهم جيدًا..قد يبدو أن عنده أزمة. ثقة..نعم..لديه أزمة ثقة مع الناس و لا يثق بأي أحد تقريبًا

لكن مؤخرًا وثق و أحب و أدرك الأمر..فهو ليس مستعدًا لأن يُكمل حياته كُلها معها فقط.. هو مستعد أن يفديها بروحه.. على أتم الإستعداد لأي شئ لأجلها.. يشعر بذلك الارتباط القوي بينهما والذي يفوق أي غرض أو حاجة..يشعر بذلك الإحتياج السامي الذي كان يشعر به آدم و هو فى نعيم الجنة لوجود

من يسكن إليه.. من يشبهه.. من يؤنس وحدته.

همس لها:

- آه يا روحي التي تؤلمني وتوجعني..متى سكنتيني و تغللتني هكذا؟

ألم تسمى حواء بإسمها لأنها خُلقت من ضلع آدم الحي؟

ألم تُخلق من ضلعهُ الأعوج الذي إذا إستقام كُسر ؟

قيل خُلقت من ذلك الضلع لأنه يحمي القلب كما ستكون هي له وقيل فى انعواجه رحمة كحبُها!

انحدرت أخر دمعاتها الماسية تهبط فأراد أن يمسحها بيديه إلا أنه همسها أوقفه:

- الله.

نظر لها فى ذهول حتى إنتبه و إستقام لا يحق له أن يكون هنا.. إنه بذلك يُخطئ." حدودُ الله لا تُعتدى "

ومن يتعدى الحدود الصغيرة.. يستبيحُ الكبيرة.. وكأنها لم تكن يوماً..وحاشا أن يدنس حبهما.. حاشا أن يُحمل حبهما إثمًا ..

همس لها بعين محب أضناه قلبه :

- استودعتك عند الله الذي لا تضيع ودائعه .

هو يعرف أن الحبُ هو ما يدوم حتى يشيخا معًا ولن يدوم أبدًا لو أن بدايته إثمًا..كالحليب الصافي هو الحب يمكن أن تلوثه قطرة ذنب واحدة..والذنوب كسلسال الدم..كل ذنبًا يجرُ صاحبه.

فخرج يُغلق الباب وكتفيه مُهدلة و وجهه شاحب.

- اقترب جاسر و سأل متوجسًا: ماذا حدث ؟
- لقد أفاقت ولكنها فقدت الذاكرة .
- .....
- لقد سألت من هي و أين تكون؟..ثم دخلت فى حالة هيستيريا من الهذيان..لقد أخبرتني زوجتك أن تلك الحالة كانت تأتيها وهي نائمة على فترات متباعدة لكنها تلك المرة كانت الأسوأ...هذه المرة الأولى التي أراها فيها بهذا الشكل و قد آلامني هذا .
- قال جاسر وهو يربت على كتفه: لا تخف هكذا..ستعود ذاكرتها قريبًا..و ستتعافى .
- كيف لا أخاف..أنا مرتعب عليها..أنا..

-اهدأ..واحمد الله أنها أفاقت لقد تخطت مرحلة الخطر الحمدلله .

-الحمد والشكر لله..أنا لا أعترض..فقط..وددتُ أن أُصاب أنا وتشفى هي....

ولم أعتقد فى حياتي أن هناك من سيمتلك تلك المكانة عندي..لم أحسب أنني سأحبُ أحدًا أكثر من نفسي لتلك الدرجة.

- لا تخبرني..إن حبهن أشبه بكونك تغوص فى بحر رمال متحركة..مهما حاولت أن تهرب فإنك تغوص أكثر .

- همس قلبه بحزن: نعم..بحر رمال متحركة لوزي اللون كعينيها.

قَعَدَ عز يتمتم بآيات يحبها من القرآن حتى يهدئ قليلًا أمام غرفتها..و أخذ جاسر حياء لتأتي بملابس وأشياء لها ولوجد من غرفتهما ولما عادوا كانت الساعة الحادية عشر قد أشرفت على البدء..بينما خرج عز ينتظر فى السيارة .

وقف الأخر يودعها قبل أن ينصرف:

- إنتبهي لنفسك وحدثيني إن إحتجتِ شئ .
- أومئت دون أن تتحدث..كما أنها لم تتحدث طوال الطريق.. على رغم ملامحها المتألمة.

خطى مبتعدًا خطوتين لا أكثر ثم عاد ليحتضنها بعاطفة أبوية و بحنان لم يتخيل يومًا أنه يمتلكه..بكت وهي تنتفض

- لا بأس إهدئي..ستكون بخير يا حياء..والله سيكون كل شى على ما يُرام.

تحدثت وهي تشهق وتبكي تتشبث به :

- أنا السبب يا جاسر..ليتني اعتنيتُ بها أكثر..ليتني لم أتركها فى تلك الليلة المشؤومة..لم تكن لتصل لتلك الحالة..ليتني لم أتركها..ليتني..
- رفع ذقنها و هو يواجه عينيها: عن أي ليلة تتحدثين ؟!

امتقع وجهها وتاهت نظراتها..هل تخبره؟..لا لايجب أن تفعل حتى لا يُسئ الفهم ما قد يجعله..

رن هاتفه يستعجله أن يعود فابتعدت وقد امتقع وجهها فمسحته بكفيها وهمست

بخفوات وهي تلج للغرفة تهرب:

- تُصبح على خير .

خرج لعز وذهبوا لفندق قريب من المشفى حتى يكونوا قريبين إن حدث شئ طارئ.

أشرقت الشمس بعد ليلة مُضنية على الجميع ..وقد استيقظ جاسر وعز الدين عازمين الذهاب لاستكمال التحقيق.

فى السيارة :

- أ لن نمر على المشفى أولًا حتى نطمئن عليهم ؟
- لا..أنا لا أستطيع أن أراها..وأيضًا يجب أن نتحرك سريًعا فى التحقيق وكما تعلم..لا يجب أن أختفي أكثر من هذا..غير ذلك هناك حارسان يشبهان لاعبي المصارعة وظفتهما لحمايتهم فلا تخف .

أخرج جاسر هاتفه و اتصل بحياء ورن الهاتف مرة وإثنتين ولم ترد إتصل المرة الثالثة إلا أن الهاتف أُغلق ووصلت رسالة له على الواتس آب: أنا بخير لا تقلق فقط وجد تحتاجُني الأن .

دخلوا مكتب التحقيق وقد كانت هناك شابة فى العقد الثاني تنتظرهم..وجهها مُلطخ بمستحضرات التجميل بشكل سافر وملابسها و قحة بدرجة إستفزازية..تجلس فى غرور و صلف وهي تضع قدمًا فوق أخرى و نظراتها فجة كحركاتها!

- حدثها عز وهو ينظر بإشمئزاز وهو يُشير إليها بسبابته: من أنتِ وكيف تدخلين إلى هنا بذلك المنظر ؟
- تحدثت بصوت ملتوي كالأفعى: أنا سمر ممدوح سامح..وقد إستدعيتني لغرض لا أعرفه حقًا..أما بالنسبة لمظهري فتلك حرية شخصية وحقوق المرأة لا يحق لأحد أن يتدخل فيها..و أنا امرأة حرة فى بلد حر.
- تحدث جاسر فى امتعاض وسخرية :

لقد صدعتم رؤوسنا بتلك الاسطوانة المشروخة....تبًا لسطحية فكركم حقوق المرأة تعني أن تعيش حياة كريمة وتُحترم وتصان.. ليس أن تعرض جسدها و ما وهبه الله لها للجميع وكأنها سلعة تتنافس بين السلع فيمن هي الأجمل...

و كأنها لا تظهر غير ماديتها وتفقد المعنى والجوهر و الأخلاق و الفطرة السليمة و تشتكي فيما بعد لما ينظرون لها على أنها جسد بلا روح.. و تقولون حقوق المرأة..هه.. فلتساعد جمعيات حقوق المرأة الغارمات والمطلقات والآرامل و الفقيرات حتى الموت جوعًا..فلتساعد المظلومات والجاهلات..أما تلك الندوات و الحفلات والمناقشات عن كيف تتجردين من الملابس و العائلة و الأخلاق والدين ؟..فتلك ليست حقوق المرأة بل تشويه المرأة.

اظهرت لامبالاتها إلا أنه أشعرها بقدرها المنحط والذي يُشعرها به أي أحد فى أي مكان..شعورها الدائم بأنها أقل من الآخرين مهما تظاهرت بالعكس .

- نظرت لعز تسأل: لماذا إستدعيتني أيُها الضابط؟
- استدعيتك للتحقيق معكِ فى قضية قتل الضحية دارين راجي الشاهندي.. افتح يا بني سجل التحقيق..

اسمك و سنك وعنوانك وأين كنتي يوم الخميس من الساعة التاسعة وحتى الثانية بعد منتصف الليل ؟

- تقول قضية قتل!..ومن التي قتلتُ ؟..دارين!
- علت ضحكات جاسر: بربك..إن هذا الأداء سيئ للغاية!
- بلعت ريقها بتوتر..وهمت بأن تتحدث.

- لا أنصحك بالكذب أبدًا..فأنا وهو نعرف أكثر مما تظنين..ونظر لعز نظرة ذات مغزى وسأله
- أليس كذلك ؟

رد بإبتسامة رزينة:

- نعم بالطبع .

تلونت عينيها فى ثواني وهي تمط شفتيها فى عدم رضا ثم أراحت ظهرها للوراء فى أريحية مفتعلة

- وهي تضع ساقًا فوق أخرى و تتحدث بصوت ممطوط : سييدي الضابط هذا الابتزاز النفسي لن يُجدي نفعًا معي فأنا أختلف عن الآخرين..ومن هذا ؟..حسبتُ أن التحقيق معك وحدك .
- تجهم وجه عز من و أشار لها بقلمه الأسود بحدة: راقبي لسانك و ألجميه.. وإعتدلي فى جلستك وأنتِ تُحدثيني...
- قاطعه جاسر وهو يرمُقها فى ازدراء: تؤ..تؤ..لا تُعاملها بقسوة يا عز...

ثم اقترب منها حتى تراجعت فى كرسيها وهو يهمس بفحيح بعث القشعرير فى جسدها : يُمكنني أن أتعامل أنا معها إذا زادت الأمر تعقيدًا..أو إذا لعبت فى عداد عُمرها وكذبت!..من الأفضل لكِ أن تخبرينا الحقيقة مدام..عفوًا أقصد آنسة سمر..ثم أتبعها ضحكة صغيرة ذات معنى..شحب وجهها :

- لكنها أسرعت بجمود تقول:
- -اسمي: سمر ممدوح سامح.

العمر: ٢٢ سنة

أسكن فى المدينة الجامعية أثناء الدراسة ولكن الإختبارات انتهت منذُ يومين..لذلك أسكن فى شقة شارع(..) فى بحري..

- ولمَاذا تسكُنين فى شقة إيجار فى بحري؟....ماذا عن بيت عائلتك فى باكوس ؟..أسف نسيت أنهم تبرأوا منكِ بعد هروبك منهم ؛ ذاهبة خلف بنات الأغنياء تأخذين الفتات الذي يتبقى خلفهم..
- أكمل مبتسم بإستفزاز: اي كان هو الفتات ملابس.. مال.. علاقات.. قيمة..لم تعودي لهم أبدًا..حتى عندما توفت والدتك مُنذ عامين تقريبًا...المسكينة ماتت مرضًا و لم تكلفي نفسك حتى عناء دفنها..فدفنوها فى مقابر الصدقات!

- احمر وجهها وصرخت بهياج: ليس لك الحق فى محاسبتي..ولا حتى إيلامي..من أنت لتُحدثني بتلك الطريقة ؟..

ثم التفتت لعز و هي على وشك الخروج: لن أكمل التحقيق مع هذا الشخص!

- انتظري هنا..هذا الشخص له السلطة الكاملة للتحقيق معك..وان خرجتي من هذا الباب فصدقيني لن تعجبك الطريقة التي سأجلبك بها مرة أخرى..تخشبت مكانها وعيناها تتسعان .

بينما تأملها عز فى تركيز..

- تراجعت وجلست على الكرسي وهي تسحب الأنفاس غصبًا فى غضب: ..كنتُ فى مقهى (Moonlit Night Cafe) مع صديقين لي وهما أحمد على مطاوع.. قاسم مرتضى.
- ابتسمت بحدة وهي تسأل عز: أي أسئلة أخرى سيدي ؟

لوى شفتيه فى إستياء مُحقر :

- ما كل تلك الزينة والبهرجة على وجهك ؟..تلك التي قُتلت كانت من المفترض أعز أصدقائك .
- الحي أبقى من الميت .
- قهقه جاسر بقوة : لا تُخبريني..أنتِ كنتِ فى إحدى الحفلات الليلية عندما ماتت أمك مثلاً.
- نظرت بغل له بينما نطقت بحروفِ حادة: لم يكن هذا بإرادتي.
- لا بأس سمر أنا لم أكن أنتظر منكِ تبريرًا أفضل من هذا..كلمات بلا معنى..نهذي بها لأنفسنا حتى نبرر بشاعة أفعالنا..لكي نستطيع النوم والعين قريرة.
- بالفعل..كما تقول ولكن لا يحق لأحد منا أن يلوم الأخر..أنا مثلاً لا ألومك على كونك كنت تتنصل من حياء حتى تذهب للملاهي الليلية وتعبث كما يحلو لك والأخرى نائمة على أذنها..ولكن.. تعرف..لا تسلمُ الجرة كل مرة..ولأنها صديقتي فلقد أخبرتها بما تحمل الجرة...ضرب المكتب بقبضته:
- أيتُها العا**....أمسك به عز يحاول ابعاده..بينما لم تكتفي هي .

لامست حرف المكتب فى تؤدة وهي تبتسم لتتحول الإبتسامة لضحكة صغيرة متشفية ورفعت نظرها له تقتنص منه :

- لم أنسى نظراتها وأنا أخبرها بذلك وهي على الفراش فى المشفى..كانت مصدومة وعينيها تتوجع وقلبُها متشكك..وأنا لم أترك أمل الشك يُداهمها فلقد دعمتُ خبري بأدلة قد قتلت أخر ما تبقى لك عندها.

دفع عز فى غضب جامح وانقض عليها ليُمسك بها إلا أنها تفادته فى خفة وصدت قبضته بحقيبتها..بينما أمسك بالحقيبة وقذفها ..تدارك عز الأمر وأمسكه ليخرجه.

أزالت خصلة قرب وجهها فى فرحة خفية وعيناها تلونت بالنصر وإلتوى ثُغرها وهي تمسك بمعصمها:

- لن أقبل أن أكمل التحقيق مع هذا المُعتدي..بل سأقيم محضرًا أشكوه فيه!

أخرجه عز بصعوبه من الغرفة وهو يؤنبه:

- اهدأ..ماذا دهاك ؟...إنها حقيرة و خبيثة .
- ألم تسمع ما فعلته يا عز..هي السبب..تلك الملعونة..ال..
- انظر لي واهدأ..هي ليست السبب..أنت كنت السبب..أنت من فعلت ذلك يا جاسر..هي أخبرتها بالأمر حتى تؤذيها بينما أنت كنت الأداة لإيذائها..لا ألومك..أعرف لا تنظر لي هكذا..أعرف أنك تغيرت..الأن اهدأ وتنفس و إنتظرني فى السيارة..سأنهي معها الأمر و ألحق بك.

دخل وهو يغلق الباب بقوة وسألها:

- كيف كانت علاقتك بالضحية؟
- لما تقولون أن دارين قُتلت..يمكن أن تكون قد إنتحرت.
- صمت برهة ثم أجاب: هُناك شبهة جنائية فى الأمر..والأن أجيبيني على سؤالي!
- كانت عادية جدًا..فى البداية..أنا كنتُ أعتبرها مصدر للدخل و إدخالي لمجتمع المرافهيين..بينما كانت تُعاملني كخادمة..وأنا كنتُ راضية فلقد كانت ذات نفع كبير لي واستطعتُ أنا أخذ طالما أنا أعطي..

تلك هي معادلة الدنيا أيضًا تأخذ منك فتعطيك لم تحبنا ولا نحبها..نحنُ نحب أنفسنا و نفعل كل شئ حتى نرضينا ولقد كانت تُرضيني بكل شئ تُعطيه لي..حتى

كبرت وصرتُ أتعلم كيف أجلب القرش من فم الأسد و الكلب أيضًا..وقلتُ لها ذلك.. لم أعد الأرجوز أو عروس الخشبية تحركينها كما تشاءين.

..صرخت و أطلقت وابل من الشتائم البذيئة لكن لا بأس سمعتُ أفظع من هذا..

صمتت

- فسألها: ثم ؟

- تركتُها وذهبت بعيدًا..سافرتُ الساحل الشمالي مع أصدقائي و لما عُدت كانت هادئة وتصالحنا إلا أن العلاقة لم تعد كما كانت..أصبحت أكثر سطحية لذلك لا أعلم أي شئ عن الفترة التي سبقت قتلها .
- هل لاحظتِ أي شئ بدا غريبًا أو غير معتاد عليها؟
- لا.
- متى أخر مرة رأيتها ؟
- رأيتها مع صديقة لنا تدعى وچد .
- أين ؟
- كانت فى غرفة وچد تُحدثها وكانت الساعة حوالي السابعة ونصف مساءًا..
- هل سمعتي أي شئ عن محادثتهم؟
- لا .
- حسنًا..فلتذهبي..انتهى التحقيق.

مسح وجهه بكفيه فى تعب..لا يعرف تبدو وكأنها..رن الهاتف فرفعه إلى أذنه فسمع صوت ارتطام قوي على الجهة الأخرى..

- هتف عز فى المتصل: من معي ؟
- بينما أجابه صوت متردد مُتسائل: عز ؟
- كان صوتها..فنادها بلهفة خائفة: وچد..هل حدث شئ ؟..ما هذا الصوت الذي سمعته؟
- لقد أسقطت ملف ثقيل كان بجانب الهاتف الموضوع فى صالة الإستقبال..أنا آسفة...

صمتت برهة ثم أكملت:لقد بحثت موظفة الإستقبال فى سجلي ولم تجد غير هذا الرقم بإسمك..رأيتُ اسمك و اسمي بالكامل وهذا يعني أنك لست أخي..هلا أخبرتني ما علاقتُك بي ؟..وأين أهلي؟

أهلها ؟..هل يُخبرها أن والديها مسافران إحدى دول الخليج ولم يعرفوا بالمصيبة التي حدثت بعد....علاقتها به ؟..إنه..إنه

- عز..نادته بتردد..بينما إبتسم هو حتى ظهرت غمازتهُ اليسرى النادرة..
- تنحنح ثم تحدث: وچد..إسمعيني....أنا الأن بالعمل ولا يمكن أن أُفهمك الأمر كله لأنه معقد...
- حن صوته كأنه يُحدث طفلته:..حسنًا عودي للغرفة و إنتظريني..أنا آتٍ فى أقرب وقت...و سنجلس جلسة عرب ونحتسي القهوة ونفهم الأمور يا سيدتي...

ضحك بحب..فخرجت ضحكتها الطفولية المتوترة تُلامس ضحكته الصغيرة.

- كما إعتدنا دومًا..حسنًا ؟
- حسنًا.

عادت للغرفة وهي تشعر بالتخبط قليلاً إلا أنها تشعر بالطمأنينة أكثر من الصباح..فحياء لا تخبرها الكثير وتأمرها بالراحة وعدم التفكير حتى تتحسن صحتها.

بينما نظر هو فى اللاشئ وابتسم..

كان يحتسي القهوة كل يوم فى الصباح بالقرب من المكان الذي كانت تمشي فيه لكُليتها...يراها..يلمح طرفها..يتظاهر بأنه يأتي هنا فقط لأجل القهوة الرائعة .

بالطبع كانت تلك القهوة الأروع فى حياته يكفي أنها كانت تُنعش قلبه..كان يضحك بشدة عند كل مرة يتذوق فيها من القهوة فيتذكر عينيها اللوزيتين..كيف لعقله أن يربط بين طعم القهوة وعينيها....هذا العقل ال..أم قلبه..الأحمق..الذي ربط بين القهوة "خمر الصالحين" كما كانوا يطلقون عليها و عينيها..هل عينيها نبيذهُ الحلال ؟

ضحك وهو يضرب المكتب بخفة ليخرج من حالة المشاعر المرهفة تلك.. تبًا..إن عقله أصبح كثير الشرود تلك الأيام وبالأخص فيما يخصُها .

دخل جاسر عليه و رأى ما فعله فسأله بتعجب:

- ماذا حدث ؟
- لم يحدث شئ صدقني..إستقام وهو يلتقط أشياءه من على المكتب وهتف: تعالى معي بسرعة .
- إلى أين سنذهب ؟
- إلى مقهى ليلة مقمرة .
- نادى عز على أحد العساكر بالخارج و أمره: الأن اذهب بأسرع ما يمكنك و استدعي المدعو قاسم علي مرتضى حتى يتم التحقيق معه

.

ديكور المقهى ذات طراز فريد.. كلاسيكي من الدرجة الأولى بإستخدام الألوان الغامقة الحادة والكراسي المجوفة المخملية..والإضاءات الخافتة و صور الفنانين القدامى بالأبيض والأسود.. من الوسيم عمر الشريف حتى الكوميديان عبد الفتاح القصري..

فى ركنًا رائع للتصوير و بعض الجُمل الشهيرة لهم.. بينما تناثرت هُناك لوح سريالية من ذلك النوع الذي ينبعث من اللاوعي.. والذي تجعلك تُشعر أنك ترى أحد مشاهد أحلامك الغير واقعية أو الغير مفهومة لينتابُك الفضول أن تحدق وتتأمل.. عسى أن تفهم فى ماذا كان يُفكر ذلك الرسام قبل أن يرسم.. ما الذي أراد أن يوصله ؟..ما هي رسالته المخفية و أين هو المعنى العميق؟

تعجب كلاهما من شكل المقهى فهو إلى حد كبير يبدو راقي..مُلتقى للمثقفين والفنانين.. وكل الأشخاص المتواجدين به يبدو عليهم ذلك الوقار الفكري و الثقافة التي تنضحُ كحبات العرق على محياهم.

تقدم عز من أحد العاملين يسأله عن صاحب المكان وعن ضرورة رؤيته مظهرًا هويته الشخصية .

بينما أخذه النادل لطاولة أنيقة فى ركنًا متطرف نسبيًا فى الطابق الثاني يجلس عليها شخصًا وقور يُحدث شاب فى العقد الثاني من عمره فى غضب وحزم ..تبدلت ملامح الوقور يُشير لأخوه الشاب:

- فلتذهب أنت يا هاني الأن.. سنكمل حديثنا فيما بعد .
- استقام هاني ببنطاله المُمزق عند رُكبته النحيفة كرُكب الجمل و قال قبل أن يرحل: لقد أصابني الصُداع من كثرة ثرثرتك.. إترك دماغي وشأنها.
- تجهم وجه ياسر بشدة إلا أنه أثر الصمت .

جلس الثلاثة بعد الترحيب والتعريف عن أنفسهم بينما ذهب النادل ليأتي بالقهوة لهم .

- سأل ياسر: كيف يُمكنني مساعدتكم وما سبب وجودكم هنا.. سيد عز ؟
- نحنُ آتيان بصورة ودية حتى نستطيع أن نرى الأمور ببساطة ودون تدخلات قد تجذب الأضواء لنا .. هُناك شابان (أحمد علي مطاوع.. قاسم علي مرتضى) وفتاة(سمر ممدوح سامح)

كانوا هنا يوم الخميس حوالي الساعة التاسعة وحتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل..رأيتُ كاميرات في زوايا المقهى و أُريد أن أرى تسجيل الكاميرات كامل فى هذا الوقت بالتحديد.

اهتزت حدقتي عين ياسر لثانية فأقل لكن عز لاحظها

بينما إرتفع قفصه الصدري يُنم على نفسًا عميق يُسحب.

- سجل الكاميرات تُفرغ كل جُمعة بعد أن أتطلع عليها.. لكنني رأيتُ أولئك الشباب.. إنهم غير معتادون على ارتياد المقهى عمومًا.. تلك المرة الأولى لهم .
- تقول أنها أول مرة يأتون بها.. إذن كيف عرفتهم من أسمائهم فقط ؟
- لقد كانوا مُلفتين للنظر.. شكلهم مختلف كُليًا عن معظم رواد المقهى.. ولقد تشاجر الطويل الأسمر مع النادل و ألقى عليه كوب العصير و ادعى أنه ساخن.. عرفتُ أسمائهم عندما تحدثنا و تعارفنا.
- تحدث جاسر: نُريد أن نرى سجل الكاميرات الأخير الأن .
- عفوًا لقد أخبرتكم سجل الكاميرات قد حُذف.
- أعلم ولازلنا نُريد رؤية أخر سجل موجود فى الذاكرة .
- حسنًا يُمكن أن نشرب القهوة و أريكم إياها..
- وقف جاسر و اتبعه عز: لا..نريد أن نراه الأن من فضلك .

تحركت أصابع ياسر فى نغمة مترددة على الطاولة و اهتزت قدميه وخرج صوته مذبذب للأذن المرهفة فقط:

- سنشرب القهوة و أريكم إياه.. لا تقلقوا...ي

تعالى رنين هاتف جاسر فرد على المتصل.. و إتسعت عينيه مما سمعه لكنه هتف :

- حسنًا.. لا تدعيه يدخل يا حياء أنا آتً!

أغلق الهاتف:

- ما كان يُخيفُني قد حدث يا عز..لنعد لهم فورًا.
- ماذا حدث ؟

اقترب منه و خفض صوته:

- هناك شخصًا يتشاجر مع حراس الأمن فى المشفى .
- مسح وجهه فى تعب ثم ربت على كتف جاسر: رائع..هذا ما كان ينقصُني.. سأذهب أنا وإبقى أنت و أبلغني بأي تطورات .
- حسنًا .

كان ياسر ممسكًا بالهاتف أسفل الطاولة فى ذلك الحين وهو يبعث لأحدهم برسالة سريعة بينما خرج عز يتجه بسيارته بأسرع ما يمكنه نحو المشفى .

وصل عز بعد خمسة عشر دقيقة وصعد بالمصعد للطابق الثالث..فوجد رجل قصير القامة أربعيني يصرخ فى الحارسان.. كان يرتدي بنطال واسع لونه رملي فاتح يعلوه قميص فستقي مُشجر بورود كبيرة باهتة من كثرة غسيلها.

- بينما استطالت رقبته فى انفعال ويديه تلوحان أمامه وهو يسبُ بصراخ: أدخلوني يا أولاد الكلب.. أدخلوني أريد رؤية ابنتي يا ولاااااااااد *******

ربت عز على كتفه ليستدير له بملامح مألوفة للغاية بينما لاحظ خواتم رجالية كبيرة فى يده وهتف بصوت غليظ متحفز:

- نعم يا أخ ؟
- رفع عز بطاقة هويته الشخصية و رد: معك الرائد عز الدين محمد أيوب .

لانت ملامح الأخر للغاية وهو يمسح العرق على وجهه من انفعاله وصراخه منذ قليل قائلًا:

- سامحني سعادتك.. من لا يعرفُك يجهلك..
- من أنت وكيف جئت إلى هنا ؟
- فى خدمتك خميس يا باشا.. انا عمُ وجد.. توأم والدها سليم.. كُنا شقة بطيخة واحدة كما يقولون.. جئت هنا حتى...
- تعالى إلى أسفل فى الكافتريا لنتحدث من فضلك .

جلس خميس على الكرسي و بدا و كأنه غير معتاد عليه من كثرة تململه بينما كان عز يراقبه.. إنه يشبه سليم بالفعل لكنه أقصر و أسلوبه و ملابسه من الطراز الشعبي غير رائحة السمك اللعينة التي تفوح منه.. جاءت النادلة فسأله عز ما يريده.. طلب خميس شاي بينما طلب عز قهوة .

فور ذهابها مال عز بجذعه يستند على الطاولة و يسأله:

- الأن اخبرني ماذا جاء بك إلى هُنا و ماذا تعرف ؟
- لقد جئتُ هُنا حتى أطمئن على إبنة اخي و لا أعرف لما هي فى المشفى وبما هي مريضة ولماذا تحبسونها .
- متى و كيف لاحظت إختفائها ؟
- الحكاية وما فيها.. أنها تعود لشقتها فى بيت العائلة فى العامرية..
- تقلصت ملامح عز مستفسرًا إلا أن خميس إلتقط ما أراد السؤال عنه فقال موضحًا : العامرية إنها بجوار الأسكندرية تبعُد حوالي ساعة فأقل..أومأ عز بفهم فأكمل الأخر: تعود وجد لشقتها التي تقع فوق شقتي بالمناسبة.. فور إنتهاء الدراسة.. لكنها لم تعود لتأخذ المفتاح من عندي فقُلت لعل هناك شئ منعها.. لكنها لم تأتي لي لتُعطيني مالي المُحصل من إيجار الشقة التي إشتريتُها أنا و سليم فى بحري و أجرناها.. كانت تأتي لى كل شهر بنصيبي بعد أن تأخذه من المؤجرة.. لذلك قلقت و حاولت الإتصال بأخي المسافر احدى دول الخليج لأسأله عنها لكنني لم أفلح..

سكت عندما أتت النادلة تضع لهم الطلبات ثم ذهبت.. بينما أخذ هو كوبه ونفخ نفخة صغيرة ثم رشف فأصدر صوتًا مزعج لكنه اكمل دون اكتراث و أردف:

- لي صديق إسمه مصلحي له إبن يعمل ممرض فى مشفى القصر بالأسكندرية إسمه جابر.. حكيت الامر له فأشار علي بأن يُخبر إبنه ويبعث له صورتها ليبحث عنها فى المشافِ.. و لأن جابر إبن بلد لم تُغمض له عين حتى وجدها لي و أخبرني بإسم المشفى التي بها و ها انا ذا أجلسُ امامك يا سعادة..سكت
- ثم أكمل بقلق: لماذا تحتجزون وجد فى تلك الغرفة يا باشا ؟..ماذا فعلت مكسورة الرقبة.. عديمة التربية ؟

إرتفع إحدى حاجبي عز فى تعجب طفيف محافظًا على ثبات ملامح ثم تحدث بهدوء:

- مُتهمة فى قضية قتل!

- وقف خميس على الفور تاركًا الشاي على الطاولة وهتف بفزع: قتل؟!..يا حِزنك الأسود يا سليم..قتل مرة واحدة..يا فضيحتك يا سليم.. يا فضيحتك!
- اهدأ وإجلس من فضلك.. إنها لازالت مُتهمة فقط .
- أخذ يولول و يده اليسرى تمسك برأسه: متهمة فى قتل يا نهار أسود.... لا أنا لم أفعل شئ يا باشا.. أرجوك أريد الذهاب.. أبلغوا سليم حتى يأتي ليتصرف..لكن انا.. أنا بائع سمك على باب الله و عندي أولاد أريد الرجوع لهم.. أرجوك..
- نهره عز بقوة لكن بصوت خفيض: اجلس.. واخفض صوتك يا معتوه.. إن الناس تنظر لنا .

جلس خميس و هو ينظر للأرض و يبتلع ريقه فى خوف فتحدث عز بصوت هادئ:

لا تخف.. انا متأكد من براءتها.. و لن أسمح لأحد بأن يمس شعرة منها.. انا أُخفيها عنهم حتى أُثبت براءتها .

- وماذا يُحملك عناء ذلك ؟..سأل بتعجب.
- لأنها كانت صديقة لى..و..
- هتف بغضب مُتهم وهو يقف: ماذا تقول يا باشا.. وجد صاحبتك..!
- احمرت أُذنا عز إحراجًا وغضبًا من سوء نية خميس و أمسك به يُجلسه مرة أخرى: إفهم يا بني آدم.. كانت صديقة لي بمعني أنني كنتُ أعرفها لأنها كانت صديقة مقربة لزوجة صاحبي.. و تعرفتُ عليها بالصدفة وأعجبتني أخلاقها و تربيتها حتى أنني كنتُ سأفاتحها فى طلب الزواج منها فور انتهاء هذا العام من الدراسة لكن حدث ما حدث!
- ضاقت عين خميس بشك قائلًا: وكيف تتهمُها أنت بالقضية ثم تُخبأها يا باشا؟
- لم أتهمُها أنا.!. بل راجي الشاهدني هو الذي يتهمُها فى قتل إبنته.. انا أحميها وأبحث عن دليل براءتها حتى أُخرجها من تلك المُصيبة.. ثم أنني لستُ أتعامل معها وحدي بل هناك صديقتها تُلازمها.. أقسم لك أنني لا أبتغي منها شئ غير شريف كالذي أراه فى عينك يا رجل!..
- تزوجها إذن!
- تفاجأ عز و اتسعت عينيه ذهولًا: ماذا؟؟!

- نظر له خميس بلؤم يقول: تزوجها..ماذا ؟..هل تُريد مني تركها معك وحدك هكذا..أترك عرضي مع من يُريدها دون زواج أو أي شئ رسمي..ماذا ؟..هل تراني خروفًا يا باشا؟
- احتدت ملامح عز بشدة وكاد يلكمهُ فى وجهه القذر هذا و ساورته الشكوك حول كونه عمها بالفعل !..إنه يبدو و كأنه يُريد بيعها و السلام !

- لكنه ضغط على نفسه ليتأكد من نوايا هذا الشخص الذي أمامه وهو يسأله: حتى دون علم والدها ؟
- هتف فى طمع أغشى عينيه بلمعة و ضحكة: و ما له..أنا هُنا يمكنني تزويجك إياها.. إن كنت جاهزًا يا باشا .
- بدأ يُجاريه حتى يعرف مراده: لكنه شرعًا لا يجوز دون معرفة والدها او قبوله .
- بل يجوز..لأنها ستوافق بالطبع..تقول أنها تعرفك و أنت تعرفها و تعجبك.. فأين المانع ؟

نعم يمكنه إقناع وجد بأنهم كانوا على وشك عقد قرانهم لكن حصل لها ما حصل.. يمكنه ان يجعلها توافق ببساطة كما يقول هذا الخنزير.

- و انت ماذا ستستفيد ؟
- خدمتك طبعًا يا باشا و حتى تستطيع حماية إبنة أخي الحبيبة.. و إخراجها من تلك المُصيبة .
- و مهرها و تجهيزاتها و...
- يمكنك عقد قرانها فقط حتى تكون زوجها وتستطيع حمايتها وإخفائها كما تشاء و تعطيني مهرها الذي ستشتري به الذهب لها وعندما تُحل الامور.. و تثبت براءتها و يعود سليم يمكنك إتمام الزيجة و إقامة العُرس و حتى ذلك الحين لا تخف لن أُخبر احدًا يا باشا..ضحك حتى ظهرت أسنانه الصفراء .
- لم يحتمل عز أكثر من هذا و صدد له لكمة أدمت انفه بينما صرخ به وهو يمسكه من ياقة قميصه: قذر.. خنزير..تُريد بيعها لي.. أيها النجس.. كيف تبيع عرضك هكذاااا؟؟!

لكمه بيده الأخرى حتى وقع على الأرض يزحف برعب للوراء وهو يعتذر ويترجاه بينما تتعالى صيحات الدهشة والشهقات حولهم.

- أمسك به يرفعه عن الأرض وهو يصر على أسنانه: لا أريد رؤية وجهك القذر هذا مرة أخرى!..وإياك و إخبار أي أحد بما حدث وبمكانها.. سأقصف عمرك لو فعلت!

حاول الناس فك يديه عن خميس وهم يحاولون تهدأته بينما الاخر يترجاه:

- أرجوك سامحني يا باشا.. أنا أسف.. أسف صدقني أردتُ مساعدتك فقط .
- إذهب من هنا و لا تعود أنت او أي أحد اخر.. فهمت؟
- طبعًا.. لن أعود ولن ترى وجهي مرة اخرى.. فقط إتركني أرجوك .

تركه عز ففر الأخر من أمامه هاربًا وهو يعتذر بينما الناس يتسألون عن ماهية هذا الشخص الذي يتشاجر فى المشفى إلا أن العاملين أخبروهم بكنية عز و عمله.. بينما هو وضع حساب الطاولة أسفل كوب الماء و خرج

تعالى رنين هاتفه فأجاب:

- خير ؟
- لقد إستدعينا قاسم يا سيدي و هو ينتظرك الأن فى مكتبك.
- جيد.. انا أتٍ حالًا.. لا تُدخل عليه أحد .

خرج من المشفى وهو يتجه نحو سيارته فوجد جاسر أمامه:

- جاسر لقد عُدت سريعًا .
- نعم.. ولكني لستُ خالي اليدين..أخرج هاتفًا شاشته مكسورة..
- مُهم ؟
- طبعًا.. إنه بداية الخيط .
- قال عز و هو يلتف ليركب السيارة: جيد.. تعالى معي لقد استدعوا قاسم .
- طيب.. ماذا فعلت مع الشخص الذي أراد اقتحام غرفة وچد و من هو ؟
- إنهُ عم وچد..سأحكي لك ما حدث فى الطريق.. إركب .

تعالى صوت المحرك و إنطلقت السيارة..

حكى عز لجاسر ما حدث فصاح الأخر فى تعجب:

- ولماذا لم تقبل بعرضه و تعقد قرانك عليها يا عز .. ألا تُحبها ؟
- ما الذي تهذي به يا معتوه.. كيف أفعل ذلك بها.. أستغلها وهي مريضة.. أكذب عليها و أجعلها زوجتي و هي لا تتذكر من هي ؟!
- لم أقل ذلك.. قلتُ عقد قران فقط حتى تستطيع أن تكون بقربها وتتعرف عليها. و..
- قاطعه بشدة: لا يا جاسر.. انا لا أفضل قُربها و هي ليست واعية.. إن عقلها الان مشوش وليست على طبيعتها.. غير ذلك أراها إنسانة من لحم ودم و قلب.. لا يمكنني إجبارها على زواجنا بتلك الطريقة الحقيرة و فى مثل تلك الظروف.. لا يمكنني ان أتعامل معها على أنها كائن ليس له عقل ليختار.. انت تعلم كم أشتاق لكونها معي.. لكن وهي واعية.. مدركة و راضية بي.. إن هذا حقها.. كيف لي ان أسلبها إياه .
- فهمت ولكن إحذر من ذلك الرجل عمُها لا اظن أنه سيصمت فلتحاول ان تذهب له و تُخرسه بأي طريقة.
- سأفعل.. إذن..ما حكاية ذلك الهاتف الذي معك ؟
- إنه هاتف ياسر.. سأشرح لك ما حدث:

أثناء خروجك من المقهى..لاحظت أن ياسر يكتب شئ وهو يخبئ هاتفه أسفل الطاولة و فور خروجك سحبت الطاولة ناحيتي لأخذ الهاتف منه لكنه كان الاسرع فأسقطه على الأرض وداس عليه عمدًا لتتهشم شاشته هكذا.. أمسكت به و حاولت فتحه لكن دون جدوى بينما تظاهر هو بأنه لم يقصد.. ومن هنا أخذته حاول منعي إلا أنني أخبرته أنني سأحصل عليه برضاه أو بغير رضاه عندما استدعيه للتحقيق .

- جيد.. ولكن ماذا إن كانت الرسالة ذاتية الحذف بعد إغلاق الهاتف مثلًا .
- إن مضمون الرسالة لا يُهمني إطلاقًا.. فماذا إن كانت "إحذف أخر سجل من الكاميرات ".. ستكون دليلًا لنا على انه يخفى شئ لكنها لا تمد لقضيتنا بصلة ولن ترتقي لمرتبة أدلة امام المحكمة أو النيابة العامة.. فكما تعلم هناك شهود على وجودهم معًا هناك.
- نعم أنت على حق .. لابد أنها كذلك.. إذن ستلاعبه بكونك عرفت الرسالة و ما هو أكثر حتى يعترف ؟
- لا إنه ذكي للغاية و حريص.. ليس أهوج ليُدلي بكل شئ هكذا.. أنا أستهدف..

- إلتفت عز برقبته متسائلًا: هاني ؟
- نعم هو.. أنا أثق أن الأمر يخصهُ بطريقة ما .
- تحدث عز يُوجه عينيه له تارة و يعود بها إلى الطريق تارة أخرى: معك حق..ذلك المقهى هو حجة غياب الثلاثة عن مسرح الجريمة.. من الغريب أن يكون كلهم معًا فى نفس التوقيت التي حدثت فيه الجريمة.. و هذا يعني انه إما ياسر هو المتورط معهم.. إما هاني.. ياسر لا يبدو لي من ذلك النوع الذي يتورط مع أمثالهم.. إنهم أصغر منه فى العمر و المكانة.. غير أن المقهى لا يبدو لي مكانًا لهم.. إنهم معتادون على الملاهي الليلية و الحفلات وغيره.. لكن هاني فيبدو لي وكأنه يشبههم.. والمقهى كان هو المكان الذي اجتمعوا فيه مع هاني فى ليلة قتل الضحية .
- رجحتُ هذا ايضًا.. ولكن هناك شئ هام يمكننا إستغلاله قبل التحقيق مع هاني .
- ما هو ؟
- ذلك النادل الذي وقف يتحدث مع هاني فى شئ هام وبان عليه وكأنه يتلقى أوامر هامة مع أنني تأكدت أن المقهى بالكامل ملك لياسر .
- ملاحظة ذكية.. ذلك النادل أُريد منك أن تذهب و تحدثه على إنفراد و بهدوء و تركيز.
- أومأ جاسر: دعه لي.. لا تقلق.

و صلوا و قد أذن المؤذن لصلاة المغرب فصف عز سيارته السوداء.. ثم إتجه نحو المسجد بالقرب من المركز وتبعه جاسر.. توضئوا براحة و صلى بهم الإمام يتلو سورة الشرح:

إبتسم عز بسكينة مست قلبه عند سماعه لأية: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

و عندما خرجا ليعودا للمركز لاحظ عز أن هُناك سيارة تنتظر فى موقف السيارات فأشار لجاسر ليرى.. فرأى سمر تجلس فى المقعد الامامي للسيارة وبدا وكأنها تنتظر أحدهم .

- تمتم جاسر: تنتظره كما توقعت .
- بنا إذن فيبدو أنه اِسْتَوى من الانتظار.

دخل عز أولاً وتبعه جاسر.. جلس عز على رأس المكتب و علاء-كاتب سجلات التحقيق-على يمينه بينما جلس جاسر أمام قاسم.. الذي كان يبدو عليه الضيق و قلة الصبر من حركاته العصبية كفرك ما بين عينيه بطرف السبابه والإبهام و تنحنحه و تحركه المستمر فى مقعده.

- تحدث عز: علاء ابدأ بتسجيل التحقيق الأن.. إلتفت لقاسم يسأله: إسمك.. سنك.. مهنتك و عنوانك ؟
- فأجاب الاخر بنبرة مهزوزة وابتسامة بلهاء:
- قاسم ممدوح علي مرتضى
- ٢٢ سنة.. طالب فى كلية الحقوق.. أسكن فى شقة مشتركة فى بحري للطلاب شارع(....) لأنني لستُ من الأسكندرية.
- عز: ما هي علاقتك بالضحية دارين راجي الشاهندي ؟
- نظر فى الأرض يستجدي التأثر بطريقة غبية و قال: كانت صديقة عزيزة علينا..
- قاطعه جاسر يتفحص عينيه المغشي عليها و يشير بإصبعه عليه و على الإتجاه الذي تنتظر به سمر فى السيارة بالخارج: علينا تلك.. تقصد بها أنت..و سمر ؟
- ضحك فى بله عجيب بينما اتسعت ابتسامته وحك شعره بعد أن علم أن الأخر يرمي لإنتظار سمر له بالخارج: لا.. أنا أقصد بها أنا و احمد و سمر.. جميعنا فقدناها..

تعجب كلاهما مما يقوله.. هل هو معتوه.. إنه يتحدث بتعابير شاذة عن كلماته.. فوجهه كأنه يتحدث عن الطقس الرائع فى يومًا مشمس على الشاطئ بينما كلماته عن فقيدة .. إما هو غبي جدًا او الامر الحانق أكثر انه يتغابى.. ذلك مرض أصبح ينتشر بين الناس فى تلك الأيام.. التغابي للهروب من المأزق .

سحب الهواء بقوة من أنفه بصورة مبالغ فيها كمن يعاني نزلة برد ثم مسح بسبابته أسفل أنفه و انمحت إبتسامته و كأنها لم تطأ وجهه أبدًا: نحنُ كُنا أصدقاء.. لسنوات يا سيدي..و دومًا كنا معًا نأكل.. نخرج.. نسهر..

- سأله عز: أين كنتم تسهرون ؟
- فى أماكن كثيرة.. فى الحفلات و السهرات وعلى البحر و فى..
- أعاد عز أخر كلمتين بتساؤل: على البحر ؟..على أي بحر بالتحديد كُنتم تسهرون ؟
- ابتلع ريقه بهدوء و ابتسم بعصبية: فى تلك الشواطئ التي تُقام فيها حفلات الشواء و الرقص ليلًا..
- نهره جاسر بحدة إلى حد ما: يسألك عن إسم الشاطئ و ليس ما تفعلونه فيها.
- تفاجأ بتدخل جاسر فى الحوار إلا انه أجاب بقوة زائفة: فهمت.. قصدت أن أصفها لك.. لكنني لا أتذكر الأسماء على وجه الخصوص .
- اردف عز: امم.. بالطبع هناك شاطئ معتادون عليه.. حاول أن تتذكر .
- فقال جاسر و هو يُقلب نظره بينهم بنبرة ذات مغزى: شاطئ ٨٧ مثلًا ؟
- ارتعشت عينيه فى محجريهما واهتزت قدميه و سحب الهواء بقوة من أنفه مرة أخرى ثم تحدث بدرجة أعلى من صوته الطبيعي ليُخفي توتره : هه.. ما هذا الشاطئ الغريب.. هل هو هنا فى الأسكندرية ؟.. لأول مرة أرى شاطئ مُرقم و ليس له اسم.. لا.. لم أسمع عنه من قبل .
- قال جاسر بنايٍ هادئ يتلاعب به : بل له إسم.. يقولون اسمه الغارب لأن الشمس تغربُ فيه قبل بقية الشواطئ..إنه قريب من هُنا..هل ذهبتم إليه من قبل ؟
- لا.. لم نسهر عليه مطلقًا.. لأنه مُغلق و مهجور.. لماذا سنذهب له إذن؟

- جاسر: كيف عرفت انه مُغلق.. قلت أنك لا تعرفه .

- رد الاخر بتحذلق ليس فى محله: أنا لم اكن اعرف انك تقصد شاطئ الغارب بترقيمك له بالرقم ٨٧.. انا اعرفه بإسم الغارب .

- أمسك جاسر بكذبتهُ: لكنه غير معروف بذلك الإسم الان.. الغارب كان إسمه منذُ ستة عشر عامًا.. وبعد حالات الغرق و الإختفاء التي حدثت فيه.. غير المسؤولين إسمه من الغارب لشاطئ ٨٧ حتى ينسى الناس الحوادث المُلتصقة بهذا الإسم وينمحي تاريخه الملئ بالخرافات المرعبة .
- اجاب بسرعة: لا اعلم لكنني أعرفه بذلك الإسم.. لعل أحد أخبرني به لكننا لم نذهب له من قبل .
- وقف عز وفرد ذراعيه يتكئ بهما على المكتب : كيف قتلتُم دارين إذن؟
- انفعل يهتف: لم نقتلها يا سيدي أقسم لك.. لم نكن معها حتى على هذا الشاطئ الذي قُتلت فيه .
- ردد عز بقوة و وعيد: الشاطئ الذي قُتلت فيه ؟!..كيف عرفت أنها قُتلت على ذلك الشاطئ؟
- وقف بإنتفاضة و تنفس كمن يشعر بالإختناق لأنهم يسحبون منه الأكسجين بإقترابهم و كلماتهم بينما عقله قد شُل.. لكن جاسر وقف و دفعه من ذراعيه ليجلس مرة اخرى قائلًا بلهجة مُخيفة: أجب على سؤاله!
- بدأ كفيه و أصابعه بالمُشاركة فى الكذب و التبرير أمامهم بالتلويح بينما تعابير وجهه تحاول جاهدة رغم حبات العرق الباردة: لا..لم أعرف الأمر من تلقاء نفسي أكيد..سمر من اخبرتني..لعلكم من أخبرتموها بالأمر .
- لا لم يحدث..زجر بها عز .
- توسعت عينيه كمن وجد الماء بعد أن جف حلقه: اه.. تذكرت.. سمر عرفت من سُهير هانم بما حدث.. والدة دارين.. لقد حدثتها صباح اليوم الذي أُكتشف فيه الأمر.
- لم يحيد عز بعينيه عن قاسم وهو يأمر رفيقه بحزم: جاسر..إخرج الأن و هاتِها من السيارة التي تنتظر بها .

امتقع وجه الأخر و مال برأسه للأمام لا ينطق بينما خرج جاسر بالفعل ليجلب سمر وعاد بها فى أقل من دقائق معدودة.. يبدو ان الأخرى لم تُجادل كثيرًا .

- سألها عز: كيف تعرفين أن دارين قُتلت على شاطئ ٨٧ ؟

- لم أعرف..أن..

- هتف جاسر: كيف إذن يقول زوجك أنكِ من أخبرتيه بذلك الأمر ؟

إمتقع وجهيهما كالقرع الشاحب.. وتبادلا السؤال بأعينهم: هل يعرفون بأمر الزواج العُرفي الذي يجمعهُما ؟!

ضحك جاسر على منظرهما بتشفي بينما زجرهما عز: فليُجيب أحدكم على السؤال ؟!

- لملمت هي نفسها قائلة بأثبت نبرة تستطيع التحدث بها: نعم أنا من أخبرته بذلك.. ولم أنفي أنني أخبرته.. كُنت سأقول أنني لم اعرف بما حصل مع دارين إلا عندما إتصلت بي والدتها (سُهير أبو الدهب) وهي مُنهارة تُخبرني بما حدث لكن السيد جاسر قاطعني .

نفخ عز فى غضب و تأفف لتلك اللعينة التي إختطفت منه الخيط لترميه فى كومة الشكوك حتى فقد الإبرة مرة أخرى.

- لكن جاسر لم يحتمل فهتف بهم بغضب: أنتما الإثنين كاذبان و مهما حاولتم التذاكي أو..

- جاسر يكفي..قالها عز .

سأل قاسم: هل إنتهى التحقيق الان يا سيدي؟

أشار له عز رغم رؤية ملامح الرفض على جاسر: نعم فلتذهبان .

خرج قاسم أولًا بلهفة غير مصدق أنه نجى بينما أراد سؤالها كيف عرفت كذبته إلا انها حذرته بعينها من التحدث هُنا فصمت حتى يبتعدان عن الأنظار و الأذان .

- فى الداخل هتف جاسر به بتعجب: لماذا انهيت التحقيق ؟..كُنا على وشك كشف كذبتهم .

- لا تلك الحقيرة ذكية جدًا.. وكانت ستحرق أوراقنا التي نلاعبهم بها..قام من على مكتبه و لملم أشياءُه ثم ربت على كتف رفيقه: لم ارد أن نكشف لهم كل ما عرفناه.. حتى لا يحاولون إحراق الأدلة التي سنجدها..أومأ جاسر فأكمل: علينا العودة الان لانني مُتعب وكأن فيلًا داس علي رأسي..سينفجر من الصداع .

ركبوا السيارة.. جلس جاسر فى كرسي القيادة بينما عز بجانبه يسند رأسه بتعب للوراء.. مرت الدقائق تنساب فى عُقد الزمن.. توقف جاسر و بدأ بصف السيارة.. ففتح عز عينيه واعتدل ظنًا انهم وصلوا لكنه هتف: ما هذا ؟

-إنتظرني لن اتأخر .وخرج

-رحمتك يارب .

عاد بعد عشرين دقيقة وهو يصفر ثم ركب و وضع الطعام فى المقعد الخلفي بينما إنبعثت رائحة الطعام تفضح مكنون الأكياس الساخنة .

وجد عز مكتف الذراعين ينظر له بحنق:

-لازال الوقت مبكرًا لما لم تبيت بالداخل .

-ضحك جاسر بشدة وهو يضع المفاتيح فى السيارة لينطلق بها ثم قال بصعوبة بين ضحكاته: تُذكرني بحياء لكن صوتها أجمل وهو حانق .

-ربت على ظهره بقوة قائلاً بغيظ: لا تنسى أن يدها أخف يا روميو.

-تأوه الأخر وهو لازال يضحك: حسنًا اهدأ.. أرجوك أريد أن أصل بعمودي الفقري سليم..هكذا ترد لي الجميل..جلبتُ لك أكلة ستجعل دماغك تطير من حلاوتها .

-لكزه عز وهو يسأله: هل أنت معتوه يا جاسر.. تقف عند محل أسماك لتشتري لنا طعام منه الان.. لماذا لم نأكل فى الفندق أي شئ ؟!

-لقد جلبت لي وجبة أنا وحياء و وجبة لك أنت و وچد..غمز له .

-تغيرت ملامح عز فى إمتنان و تنحنح بخشونة وهو يبتسم: لما لم تقل ذلك من البداية يا رجل .

نظر كلاهما لبعض ثم إنفجرا فى الضحك .

إتصل جاسر بحياء ليخبرها أن تنزل هي و وچد إلى الكافتريا ليأكلان فيها الطعام الذي جلبه لكنها أخبرته ان وچد مُتعبة قليلًا وتريد أن ترتاح.. فأصر عليها لأن الطعام رائع ولا يمكن تركه وهو ساخن لذلك لينزلان فقالت له أنها ستحاول .

فى الغرفة:

-هتفت حياء برجاء: هيا يا وچد لننزل.. فأنا أتضور جوعًا .

-تقلبت الأخرى فى الفراش و هي تُخفي وجهها فى الغطاء: لا أرجوكِ يا حياء.. لا أريد أن أكل..أنا متعبة..أريد ان أرتاح .

-أزاحت الغطاء من على وجهها تهتفُ: بربك يا فتاة.. لم تأكلي شيئًا منذ الصباح.. هيا أرجوكِ لن أستطيع أن أنزل لأكل معهما وحدي.. اردت الجلوس معكِ لنأكل سويًا كما اعتدنا .

-قالت بإختناق مكبوت وهي تخفي نفسها فى الغطاء: إنزلي أنتِ يا حياء أنا سأنام.

-ربتت وچد على رأسها قائلة: لا بأس لن أكل دونك.. سوف أنزل لأجلب الطعام لنا و أعود .

و فور أن اغلقت حياء الباب وابتعدت

إتجهت وچد للمرحاض وهي تبكي بشدة مُحيرة.. وتتمتم بكلمات غير مفهومة وبعد برهة.. وقفت تنظر لنفسها فى المراة بخوف بعينيها الحمراوتين و كأنها لا تعرف نفسها .

فى الكافتيريا:

اقتربت حياء من جاسر الذي سارع بالذهاب إليها.. اشرأب بعنقه للوراء يسألها عن وچد قبل أي شئ.. فتغيرت تعبيرها و قالت: إنها متعبة قليلًا..و

-أمسك بذراعه يتجه بها نحو الطاولة: لا بأس.. لنأكل إذن لأنني أتضور جوعًا.. .

-قالت بتذمر: لكنني أريد الطعام لأصعد و أكل مع وچد بالاعلى .

-أشهر سبابته فى وجهها يقول بإستنكار: أقسم بالله لن يحدث.. انا اقف كل تلك المدة على قدمي لأشتري الطعام والذي دفعتُ فيه مبلغ ليس هين أبدا و كل ذلك لنأكل سويًا.. ثم تقولين لي لا أريد أن أكل معك.. اريد ان اكل مع صديقتي!

-ضحكت عندما قلدها فى أخر عبارة قالها ثم قالت بحب تسترضيه: إنها مريضة يا جاسر و متعبة ايضًا وتريد أحد..

-والله لن يحدث ولو على جثتي فكفي عن تلك الطريقة لن تنجح.. فصمتت وهي عابسة دون إقناع .

-جلس امامها وبدأ فى إخراج الأطباق من الاكياس: لماذا لم تنزل ؟..كان عز يُريد ان يراها و يأكلا سويًا.

-تحرك حاجبيها فى استنكار وهي ترى عز يُراقب باب الدخول بينما انطلق لسانها بإتهام: نعم.. نعم..و ما له بها إن شاء الله ؟

-ضحك وهو يأخذ نفسًا عميق من انفه بشهية وعينيه تفترس الأطباق ليقول: لا بأس.. اهدأي يا سيئة الظن.. إنه نوعًا ما معجبًا بها .

-سقط فكها السُفلي من الدهشة و قالت بشك و غضب: فى تلك الظروف؟..هل الأخ يظُنها لقمة سائغة ؟..أقسم أنني لن أسمح له بأي تجاوز..أو..

-قلتُ اهدأي.. إنه يحبُها من فترة ليست بقليلة.. لكنهما لم يتقابلا مرة أخرى إلا فى تلك الظروف.. و الان كفي عن الثرثرة و كُلي لأن الطعام رائع..امم.

فتحت فمها لتسأل إلا أنها تفاجأت بوچد تدخل من الباب وهي ترتدي فستانًا رقيق مُحتشم نيلي اللون.. فسارع الاخر إليها بلهفة .

-أنزلي عينيكِ عنهم و انتبهي على الأكل.. فأنا فى طريقي لأفترس نصيبك .

-انتبهت له وللطعام و الذي لم تنتبه له إلا الأن فهتفت بذهول: سمك و شُربة بحريات يا جاسر ؟!

-قال وهو ياكل بتلذذ: امم.. وطحينة و سلطة وخبز أيضًا.. إنهم رائعين بحق .

-بدأت الرائحة تجذبها فمدت يدها تتذوق قطعة وهي تضحك: أقسم أنك مجنون.... حمدًا لله أن الكافتيريا خالية.. وإلا فضحتنا الرائحة .. ألم تجد شيئًا عاديًا لتجلبه .

-لتأكلي و تهنئينا بسكوتك يا حياء..ففعلت وهي تضحك قليلًا فالطعام لذيذ فعَلًا

كان عز منذ لحظات جالسًا فى ضيق بعدما اعتقد انها لن تنزل.. وشعر ببعض القلق وفكر بأن يصعد لها ليطمئن عليها لكن عقله رفض الفكرة.. لذلك قرر انتظار جاسر حتى ينتهي و أمسك بهاتفه ليشغل نفسه قليلًا.

على الجانب الاخر شعرت وچد بالقلق على حياء قليلًا فإرتدت اول ما وجدته و نزلت لتتفقدها اقتربت من باب الكافتريا ودخلت تبحث بعينيها عنها لتجدها جالسة مع جاسر..تراجعت لتصعد لكنها شعرت بشئ ما فى اتجاه ما.. نظرت فوجدته هناك يجلس على طاولة سوداء فى سكونٍ وملامح الضيق مُرتسمة علي وجهه ..ارتعبت و أرادت الهروب من المكان لكنه رفع رأسه عن الهاتف فى اتجاهه فجأة.. فإبتهج وجهه و استقام بسرعة ليخطو نحوها خطواتٍ شغوفة.

- هتف : وچد انتظري .

-لم تلتف له بل حدثته وهي توليه ظهرها: معذرةً..أنا م.متعبة قليلًا..أريدُ..الصعود..

-انتظري.. أريدُ محادثتك فى شيئًا هام و يمكنك الذهاب..دقائق فقط يا وچد .

-أخافها نداءه بإسمها بتلك الطريقة الغريبة التي ينطقه بها..لكنها وافقته على المضض و ذهبت معه إلى الطاولة و جلست وهي تتحاشى النظر له..

بينما هو كان مُمتن و مُشتاق لرؤيتها بخير أمامه و معه..

-سألها بود: كيف حالكُ الان ؟

-بخير..نحمدُ الله..قالتها بإقتضاب وتحفظ.

-فسألها و هو يحاول الإمساك بعينيها: لماذا تنظرين بعيدًا ؟

-هُنا رفعت عينيها تُحرك راسها نافية بخدين مغموسين فى الخجل: لا..لم أقصد..أنا..فقط مُرهقة.

-هل أكلتِ فى الصباح بعد أن تحدثنا ؟

-لا لم أكل.. قالت هاربة من تذكيره بمحادثتهما دون تركيز.

-إذن أنتِ جائعة ؟

-لا..لست جائعة .

-تخجلين مني ؟

-لا..لا أقسم أنني لستُ خَجِلة..نفت بشدة وكأنها تُهمة تُدينها.

-ضحك بخفة لكن صوته خرج أجش صافي كالموج: أنا أعرفك و أعرف أنكِ لا تكذبين دون قسم .

-تلاقت أعينهما على الجسر فوق بحرين فسألتهُ بعينيها الحائرة قبل ان تنطق: حقًا تعرفُني ؟

-أكثر مما تظنين .

-اخفضت عينيها غير قادرة على منعهُما من الدمع فإنها ضائعة تمامًا ونفت بحدة بدت شاذة عن مظهرها الضعيف: لا.. لا أحد يعرفُني ولا حتى أنا!

-ناداها بتساؤل يُطالب بالتوضيح: وجد..

-رفعت عينيها فوجدهما مُبللتين ينزل منهما خط رفيع فسألها بحروفٍ جزعة: لماذا تبكين ؟..هل هناك شئ يؤلمك ؟

-تبللت الكلمة تنسابُ من شفتيها بصدق و بملامح باهتة بينما صوتها تجمد: نعم (أشارت بأصابعها على موضع القلب)

-كيف ؟!..بماذا تشعرين ؟

-قالت بعذاب و تحركت يديها بتعابير مبتورة : بقبضة من نار تعتصرُ قلبي وتحرقه حتى اكادُ اتقيأه رمادًا!

-وقف مذهولًا وقد طالته النيران: لتلك الدرجة يا وجد!..لماذا لم تُخبريني ؟

-وقفت هي الاخرى لتتشبث عينيها بعينيه كالطفل الذي يتشبث بأمه و همست: لأنك لم تكن هُناك حينها ..

تجمدت قدميه بينما يحاول فهم جُملتها فلقد قالتها بإيقاعً مُبهم لكنها لم تشرح و هربت على الفور من أمامه كأول مرة التقى بها.. ماذا تقصد بكلماتها تلك .. وجدها قد اختفت من أمامه .. فتحرك خطوتين ليلحق بها إلا أن حياء جاءت فجأة وأشارت له انها ستلحق بها.. بينما الأخرى صعدت بسرعة على السلالم و دخلت وهي تُغلق الباب و تختطف الهواء لرئتيها اختطافًا..لم يكن هُناك عندما أحرقوا قلبها!..لم يكن موجودًا ليحميها!.

خرج عز من المشفى ولحق به جاسر ركبوا السيارة و انطلقوا نحو الفُندق دون كلمات.. وقف جاسر فى محطة وقود ليزود السيارة.. فرأى عز رجل تكتسيه ملامح الإرهاق و التعب يميل على نافذة جاسر ليأخذ

المال المُستحق للوقود فأشار له ليدور الرجل حول السيارة و يميل بإستفهام على نافذته.. أعطاه عز كيسين الطعام وهو يبتسم له ويقول بود: عشاء الاولاد بالهناء و الصحة.

تهللت أسارير الرجل بينما احتضن الكيسين بيديه الملطختين بالشحم و الجُهد ثم ابتسم يشكر عز بإمتنان و ما إن ابتعدا بالسيارة حتى قال له جاسر بلوم طفيف: إن أردت التصدق فلما لم تُعطيه المال ليستفيد به أكثر.. لقد اشتريتُ تلك الأكلة لتتذوقها يا عز .

-{لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)} سورة آل عمران..الامر لا يعتمد على الاستفادة منه بل يعتمد على جبر خاطره و إفراحه بذلك أكثر.. ألم ترى عينيه كم كانت فرحتان.. بالطبع رجلًا مثله لن يستطيع شراء مثل ذلك الطعام.. حتى اولاده و زوجته سيفرحون بذلك.. و انت تعرف كم أصبحت الفرحة كالعُملة الصعبة فى زمن كالذي نعيشه.

-أنتَ مُحق.. بالهناء و الصحة على قلوبهم.

عادوا إلى الفندق ليغيرروا ثيابهم و يستريحون فى غرفتهم المتوسطة المُلحقة بمرحاض صغير.. الغرفة مزودة بسريرين و دولاب متوسط لونه بلون الكاكاو..

و تسريحة صغيرة بمرآة أصغر.. مزودة بمقعد خشبي شبيهًا بها بينما هناك نافذة كبيرة إلى حد ما تجمعُ بين تصميم نافذة و شُرفة و ينسدلُ عليها ستائر رمادية مموجة ببعض نسمات الهواء.. يعلو الشرفة مُكيف هواء مستطيل الشكل جيد الجودة.. تململ عز فى سريره غير مُرتاح يفكر فيما حدث مع وچد.. فرن هاتف جاسر يسترعي انتباهه بينما الأخر يخرج من المرحاض بعد أن توضأ يمسح مرفقيه من قطرات الماء بمنشفة صغيرة .

أمسك الهاتف فكانت حياء.. تبادلا السلام ثم سألته حياء ما الذي فعله صديقه بوچد؟!..إنها غير مُرتاحة لوجهها الشاحب و تحاشيها الحديث ثم فقدان شهيتها للطعام.. ماذا فعل المُتبجح-كما دعته-مع صديقتها لتنتكس نفسيًا هكذا.. واخذت تتوعد إن حاول أذيتها او إستحلالها فسوف تفعل وتسوي كذا وكذا.. بينما جاسر يحاول أن يُهدئها دون أن يُظهر شئ لعز المُلتصق به كالمُخبرين.. يشعر ان الحديث عنه وبعد مكالمة وصلت لعشر دقائق كاملة أغلقت حياء الهاتف أخيرًا .

انقض عز يسأله ما هُنالك.. فرد رافعًا كتفيه يُمثل عدم أهمية الحديث قائلاً:

-ليس هُنالك شئ يا عز.. إنها تتحدث عن شأنًا خاص بيننا .

-كاذب.. لقد دعتني بصاحبُك المُتبجح.. سمعتُ هذا.. بإختصار وهدوء أخبرني ماذا حدث حتى أتركك تنام و أستطيع انا الأخر ان أنام .

-وچد ليست على ما يُرام و حياء تلومك انت .

-اعتدل فى جلستهُ وشبكَ أصابعه بحيرة قائلًا: كُنت أعلم.. أشعر بذلك.. إنها ليست على ما يُرام أبدًا.. انصت لما سأقوله جيدًا.

-انتظر سأصلي العشاء و الشفع و الوتر و نتحدث حتى لا أتثاقل و أنام و انت تحكي لي .

فأومأ له عز بينما صلى الاخر الفروض والسُنن المؤكدة ثم تلى آية الكرسي و استقام ليأخذ سجادة الصلاة ويطويها ويضعها على حرف الكُرسي الخشبي.. ثم أطفئ الانوار وهو يستغفر و اشعل الضوء الصغير و استلقى على الفراش الأخر مشيرًا له ان يبدأ.

فبدأ عز يحكي له ما حدث و ما قالتهُ وچد ثم أضاف فى أخر حديثه وهو مُشبك الاصابع خلف رأسه فى وضع المُستلقي :

-لم افهم معنى أخر جُملة قالتها و كأنها تعني شيئًا أخر.. لكنني لا أعرف ما هو .

-قال جاسر بصوتًا ناعس و هو يتثاءب و يتكئ على جانبه الايمن: لم أفهم شيئًا أنا الأخر أيضًا.. هؤلاء النساء حساسات جدًا..غرييات جدًا..يحبون جعل الأمور معقدة وغامضة..ويحبون إبتداع الألغاز و المتاهات لإرهاقنا..لماذا نجحت أجاثا كريستي فى كتابة الروايات البوليسية برأيك ؟..

أتدري انني دومًا ما كُنت أستشير حياء فى بعض القضايا التي عملتُ عليها.. وكانت تُبهرني فى تركيزها على تفاصيل لم أنتبه لها.. أضاف وهو بين يدي النوم: المجنونة المولعة بالتفاصيل تكادُ تُفقدني صوابي أحيانًا.. ضحك وتمتم بحشرجة: بل أفقدتني إياه بالفعل..عن طيب خاطر .

بينما كان عز يراقبه وهو يضحك بخفوات و يسحب غطاءه ليتدثر فى شهر يوليو الصيفي.. لكنها عادته لا يستطيع النوم إلا وهو مُغطى و آمن .

اشرقت الشمسُ على القاصي والداني تُنير السماء و الأرض فتندلع الطاقة فى أجساد الناس و يجري كلًا منهم على قوت يومه .

استيقظوا و قد اغتسلوا من إرهاق أمس.. بدلوا ثيابهم ونزلوا سريعًا.. استقل عز مقعد القيادة و جاسر بجانبه على المقعد المجاور .

-راقب جاسر الطريق الذي يتخذه رفيقه فعرف أنهم لن يمروا على المشفى و سأل: من أين سنبدأ ؟

-أولًا سنذهب إلى المركز لنرى أخر ما وصلت إليه التحقيقات من كل شئ وبالأخص التشريح الجنائي.. ثم ستأخذ سيارتك تلك لتذهب بها و تُقابل ذلك النادل الذي رأيته مع هاني.. بالطبع بعده يأتي دور هاني ستجلبهُ لي و أنت قادم.. أما أنا فسوف استدعي والدة دارين لأحقق معها و أتمنى أن تقودنا لخيط هام.. ماذا فعلت انت بالهاتف ؟

-لقد بعثته لصديق خبير فى البرمجيات وإختراق الأجهزة و استخراج تاريخ الهاتف منذ ولادته.. فلا تقلق .

-ابتسم له بشفتيه الجانبية: لن أقلق.. أعرف أن عملك ليس عليه غُبار .

و فى أقل من خمس دقائق كانت السيارة تُصف فى موقف السيارات للمركز.. فذهب جاسر لجلب القهوة وبعض المخبوزات الصغيرة من المقهى المجاور..

بينما دخل عز يتحدث هُنا وهناك مع العاملين معه فى التحقيق و ما وصلوا إليه و جاء تقرير المعمل الجنائي و الذي كان ينُص على أن هُناك نسبة من مُخدر الهيروين داخل الأنسجة فى جسد الضحية.. و الجروح البليغة التي فى جسدها مجهولة المصدر فى الأداة المُستخدمة و يُرجح المعمل الجنائي أن الاداة المستخدمة فى الطعن و الجروح.. هي أداة صُنعت يدويًا .. تلك المُلاحظة استرعت انتباهه .

حتى رأى علاء قادمًا وهو يخبره أن هُنالك رجلًا مهم ينتظره فى مكتبه .

سرع عز خُطاه بثقة و فتح علاء باب المكتب له ليدخل ويجد رجل فى العُقد الخامس يرتدي حلة رسمية ويبدو عليه الثراء وبالطبع دون أن يسأل..عرف أنه والد الضحية (راجي الشاهندي).. من ذا الذي لا يعرفه ؟..غول فى الإستثمارات و العقارات البنائية و أحد أهم صُناع السيارات و أجزائها فى الوطن العربي..إنه معروف أيضًا بدعمه للقنوات الفضائية و لذلك يظهره الإعلام دائمًا فى مظهر حبيب الملايين المُشارك فى الاعمال الخيرية و بناء البلد.. و يتغاضون على أي فضائح أو مساوئ له..يتذكر أنه رأه قبل شهرين فى التلفاز وهو يتحدث بمثالية كبيرة

الأمر مُختلف فى حقيقته الأن.. و ملامحه و ما تحملهُ من غضب مكبوت يظهر فى الإبتسامة المشدودة حتى اجتمعت الأخاديد على جانبي وجهه وفى العين التي تضيقُ بي ذرعًا.. بالطبع عزت الذي يقف أمامي الأن ليس هو الذي رأيته فى التلفاز أو على اليافطات الإعلانية يبتسم ويلوح ووجهه يبدو أصغر سنًا.. يبدو من مظهره الأن و كأنه لم يذق طعم رائحة الراحة .

تحدث عز و هو يشير له بالجلوس:

-أهلًا بك سيد راجي تفضل..

قاطعه بحدة مُتهمة دون أن يجلس:

-أنا لم آتي هنا لأجل الترحيب..أين تلك الحقيرة ؟!

-من تقصد ؟

-القاتلة التي اختفت من المشفى العام.

-جلس وهو يشبك أصابعه على المكتب قائلًا بجمود: لقد هربت أو أُختطفت و لازلنا نبحث عنها..بالإضافة أنها ليست القاتلة.. إنها مُتهمة فحسب .

-ارتفع صوته يحترق كعود ثقاب: مُتهمة فحسب!..و أين كنت تبحث يا حضرة الرائد المحترم فى فُندق مِيرنيا ؟..استند على المكتب هو الأخر يقترب منه بينما صوته ينخفض بفحيح: هل كنت تبحث عنها أسفل الفراش أو وراء الستائر ؟..لوى شفتيه فى معنى حقير .

نجح فى إثارة فورة الغضب في عز فإستقام يُحذره بعينين مُحتقرة : إياك ثمُ إياك

مُحادثتي بتلك الطريقة الحقيرة يا راجي!..لستُ أنا من يُحدث بتلك الطريقة.. ولا تظن للحظة أنني أهتمُ لسلطتك أو نفوذك.. عندي ما يُحرقها عن بكرة أبيها .

-اتسعت عينين الأخر فى كِبر مشدوه: تُهددني ؟

-أخفض رأسه حتى كان فى مستوى الأخر: لستُ أُهددك بشئ.. ليس لي عندك ما يُدين .

-استقام الأخر و هو يبتسم و يستدير ثم يُلقي بكلمتهُ المدوية وترتفع عقيرته: بلى!..لك عندي ما ينزعك عن منصبك..و..اتسعت ابتسامته يمدُ النطق فى الواو و يبثُ الفزع فى الأحرف: و اا..ينتزعُ وجدانك!

نشب حريق الخوف حول عز.. هل يقصد وچد.. هل عرف مكانها ؟..

صدح صوت جاسر وهو يدخل ويُغلق الباب وراءه:

-سيد راجي..صوتك قد إخترق الأبواب والحوائط.. وكما تعلم..الحوائط لها آذان..وفى قضية تخصك فكلى الآذان صاغية!

-قهقه الآخر بصوتٍ عالي: جاسر...يا مرحبا يا مرحبا..أرى كل الأحبة مجتمعون هنا..أنت أيضًا كنت تبحث معه ليلة آمس فى ذلك الفندق أليس كذلك ؟

-رمق جاسر رفيقه بتوجس.. فإشتم رائحة الخوف.. عرف الفُندق!.. و المشفى على مقربة منه.. فهل عرف مكانهما إذن؟

هناك إحتمالان لمعرفة ذلك الأمر..إما أنه تتبع حجز بإسم عز فى كل الفنادق الموجودة أو هناك من كان يراقبهما وفى الحالتين فإنهما مهددتان الأن .

تراجع جاسر للوراء عازمًا على الخروج .

اقترب منه راجي وهو يصوب مسدس مزود بكاتم صوت على رأسه: تؤ..تؤ..لا تتحرك.. دفعه بجانب عز: بجانب أخيك.. ثم أكمل بإبتسامة يشوبها الشيب:

-ارفعا يديكما و إياكم و الحركة!

لم يفعلا بينما حدثه جاسر بهدوء مُحايد: راجي لا تتهور.. نحنُ لسنا أعدائك.. ونحاول جاهدين العثور على القاتل .

-بل العكس..ولا تختبر صبري يا جاسر والا فجرتُ رأسك الأن..اثبت مكانك وارفع يديك .

فعل جاسر ما قاله.

-تحدث راجي: قبل أن أدخل إلى هنا بدقائق قد آتاني هاتف يُبلغني أنكما كنتما فى هذا الفندق ليلة آمس وبالطبع تلك الحقيرة التي مثلت أنها فى غيبوبة.. أخفيتها عن الأنظار فى مشفى أو شقة قريبة من الفندق الذي كنت به..لذلك آمرتهما بالبحث فى تلك الدائرة السكنية من مشافٍ و شقق و غيره و خلال دقائق سيجدوها.. ليجلبوها لي و أقتلها كما قتلت ابنتي.. القذرة الحقيرة..كيف تجرؤ؟!..رفس طاولة أمامهُ بغضب .

-رد عز: لاتنعتها بذلك.. فأنت تفتري عليها..ليست هي القاتلة...هي متورط...

-ضحكة صغيرة مستنكرة خرجت منه ثم تحجر صوته بقلبًا من حجر: ش..شش..لا تخدعني..لقد عينتُ محققًا خاص وأكد لي أنها أخر من شوهدت مع ابنتي..بل و الآدهى أن هُناك شاهدة أكدت أن حبيبة القلب كانت تتشاجر مع ابنتي قبل دخولهم للشاطئ يا حضرة الرائد!!

أجفل عز غير مصدق لما يقوله .

-بينما إبتسم الاخر ثم أكمل: هل صدمتك فيها؟...أم أنك مندهش أنني أعرف عن علاقتك بها ؟...ماذا دهاك ؟..أنا أول من عرف ببذور ذلك الحب اليافع؟!....التنازل عن المحضر..مراقبتك لها..المشاجرة مع أحمد بسبب منعها من دخول الاختبارات..كل تلك العلامات تُشير للحقارة التي بينكما!

-صرخ فيه عز ينهره لكن رنين الهاتف قاطعهم..

هنا تشتت راجي فما كان من جاسر إلا أن أمسك بمطفآة السجائر و قذفها فى وجهه..صرخ الاخر يُمسك بأنفه التي سالت منها الدماء ثم ضرب طلقة جاءت فى كتف جاسر بشكل سطحي..فإنقض كليهما عليه..كبله عز و أمسك جاسر بالهاتف و رد :

-سمع صوتًا يلهث بكلمات متقطعة: سيدي لقد..وجدناهم..لكن هُناك مُسلحين..قتلوا أحد رجالنا.. و يهاجموننا..لسنا قادرين على جلبهم.. هل نقتلهم و نفر ؟!..

-صرخ جاسر بأنفاسٍ متلاحقة و كتف ينزف: إياك و إيذاءهم.. لن أرحمك أقسم لن أرحمك!

تعالت أصوات اطلاق النار .. وانقطع الخط- - - - - - - -

نظر له عز عينين جاحطتان.. ثم قبض على رقبة راجي حتى كاد يخنقه فدفعه جاسر وهو يصرخ فيه ليفيق.. دخل إثر صراخه علاء ومعه عسكري أمسكوا بعزت الذي ازرق وجهه وجحظت عيناه .

للحظة لم يستوعب عز لكن جاسر قد أمسك به يدفعه دفعًا ليخرج ثم فى ثواني كانوا فى السيارة الذي ارتفع صوت مُحركها و تحركت فى ثوانٍ مصدرة ذلك الصوت المفاجئ.

وصلوا للمشفى والتي كانت فى حالة يُرثى لها من الفوضى و الفزع.. الكهرباء منقطعة عن المشفى بأكملها بينما هُناك حارس أمن أصيب برصاصة خطيرة.. لم يتوقفوا للحظة وهم يهرعون السلالم و قلوبهم تصم أذانهم بينما السلالم تكادُ لا تنتهى و الممرات كالمتاهات لا تؤدي للغرفة حتى وصلوا أخيرًا.. وجدوا إحدى الحارسين مطعون بينما يحاول اسعافه بعض الممرضين.

وما إن فتح عز باب الغرفة حتى دوى منظر الدماء التي تملئ المكان و القتلى!

طالعتهُما أربعة أجساد ;الحارسين.. الأول لديه رصاصتين و احدة فى الرأس بينما الأخر لديه فى الرأس و القلب.. شخصًا أخرغير معروف على الأرض يحتضر و يزحف.. جثة قد فارقت الحياة و لا وجود لهما!

دخل جاسر يُفتش المرحاض فوجد بابه مُحطم.. المرآة مكسورة و فوضى من الاشياء مُبعثرة و بعض الدماء على حافة الحوض كإصطدام رأسًا به.. أتى فى عقله مشهد لحياء وهي تحاول الإحتماء بالباب فيحطمه أحدهم ويدخل يمسكها من رأسها فتحاول مقاومته فيصدم رأسها بحافة الحوض فتقع على الارض.. صر على أسنانه لكن لماذا لم يتركها مكانها هُنا.. فليست هي المطلوبة.. إلا إذا عرفت بهويته و رأت وجهه!

أو الأسوء وهو أنه أرادها مع وچد و لكن لماذاا ؟!

أمسك عز بالمُحتضر يسأله: لحساب من تعمل ؟.. و من الذي أصابك ؟

-جحظت عين الأخر و هو يتهجى الحروف فتتمزق الكلمات: أعم.ل..مع..عِزز..عِززت الشمند..

شهق بشدة و عينيه تصرخان برعب بينما تحركا بالفعل من المحجرين..

-هتف به عز: قُل أشهدُ أن لا إله إلا الله و أشهدُ أن محمدًا رسول الله..لم ينظر له ولم يسمعه لكن عز لم ييأس إذ هتف كيانه كُله.. و هو ينظر في عينيه و يُمسك برأسه: ردد معي..لا..فقال بلسانٍ ثقيل مشلول: لا..

-إله

-إله

-إلاا

-نازع وهو ينطقها: إلاااااا

-الله

-الله..الله..الهاااااااا وقُبضت روحه و ارتج جسده ارتجاجتين ليسكن و نور الحياة يخبو حتى انطفئ..

حوقل عز وهو يضعه على الأرض و يغلق جفنيه..

-استقام ليجد جاسر قادم نحوه: لقد خطفوهم يا عز.. إنهم الان تحت رحمة قتلة!

-من هُم ؟..ولماذا اختطفوهم ؟

-شعر و كأن العالم يجثُم فوق صدره فجلس على طرف الفراش : لا أعلم.. لقد سمعتُ الموكل بخطفهم من راجي وهو يقول أن هُناك مسلحين يهاجمونهم.. لكنه لا يعرف.. ولا نحن!

-أشار علي من لفظ أنفاسه من ثواني: هذا هو من حدثك.. يبدو أنه قاوم فقتلوه..لكن من يسعى لوجد أكثر من عزت لينتقم منها؟!

-قال جاسر وهو يمسك برأسه ليُركز ثم هتف فجأة: القاتل!..القاتل الحقيقي هو من يُريد قتل وجد.. هو من حاول قتلها فى البداية وذلك ;لأنها تعرفه.. او تمتلك دليل ضده .

-وقف عز يدور فى مكانه: انت مُحق..مُحق.

فكر جاسر فى السبب الذي جعل حياء تدخل المرحاض..

دعنا نفكر بعقلانية.. إن المرحاض يخلو من النوافذ.. و من الادوات الحادة التي يُمكن ان تجعلها تدافع عن نفسها لولا أن حياء لن تُدافع أبدا لو وجدت أن العدد أكثر مما يمكن مقاومته.. إذًا لماذا دخلت المرحاض وعرضت نفسها للخطر بحيث انه من المُمكن أن أحدهم كان يُهددها بسلاح..

ما الذي كسبته من تلك الحركة ؟..الوقت ؟..ولماذا يشعر و كأنها حياء من فعلت وليس وجد .

دخل جاسر المرحاض مرة أخرى وهو يتفحصه بعناية حتى وجد خاتمه.. خاتم حياء الذي أهداهُ لها.. وجده بجانب الحائط.. إن حياء لم ترتديه منذ فترة فكيف رمت به هُنا..

جال بخاطره: لعلها أرادت تأكيد انها من هربت للمرحاض و ليس وجد..ولكن لمااااذا و ما نفعُ ذلك ؟..تنهد و جلس على الأرضية يستند على الحائط فلمح شئ أسفل الرُخام المحيط بالحوض.. اقترب منه و أمسك به.. لقد كان أحمر شفاة دون غطاء!..أحمر شفاة هُنا..

تعجب و بحث عن غطاءه لكنه لم يجده.. تأمله.. ان لونه نبيذي.. سطحه ليس ناعمًا بل كأنهُ مُحتك بشئ صلب.. غير ذلك فهو مفتوح للناهية.. لف الجزء الأسفل منه فوجده ينخفض للداخل.. هذا يعني انه فُتح ثم حرك أحدهم جزءه للنهاية ثم حكهُ بشئ ما.. منديل أو ورقة!

لكن اين؟!..بحث بلهفة حوله.. لكن لا.. ليس هُنالك شئ.. لا خطوط ولا كتابة لأي شئ.

فكر قليلًا أين ستكتُب حياء شئ يستطيع أن يساعدك ؟..شئ بعيد عن عينان المُقتحم..شئ.

اتسعت عينيه للحظة.. و اقترب من الرُخام و نزل أسفله يتفحصهُ حتى لمح على ظهر الرُخام حرفان Ah وخط مُتعرج بجانبهُما بأحمر الشفاة النبيذي.. كأنها لم تُكمل كتابة ما أرادت كتابته.. أمسك بهاتفه و صور الحرفان و الشئ المُتعرج بجانبهُما كثعبان يتلوى بخاصية " الفلاش ".. و الكاميرا العادية.. وحرص على إلتقاطها من عدة زوايا مُختلفة .

خرج وهو ينوي التحرك فى جميع الاتجاهات.. لقد أزف الوقت و يجب أن يجدها قبل أن يحدث لها مكروه.. ترك عز تفحص الجثة التي كانت مطعونة و تبعه.. وجدوا أفراد الشرطة قد وصلوا و بدأوا فى احتواء المكان بأكملهُ ليفحصوا الغرفة و يرفعوا البصمات وما يلزم الفحص الجنائي.. لم يقفوا لثانية بل انطلقوا بالسيارة مُتجهين نحو المجهول .

-تحدث جاسر ويده اليسرى ممسكة بالمقود بينما اليُمنى تخرج الهاتف و تفتحه لتعطيه لعز: إنظر لقد وجدت هذه الأحرف أسفل رخام الحوض بالمرحاض.. لقد كتبتهما حياء لتُساعدني .

-تفحصها عز مُضيقًا عينيه و هو يقوم بخاصية التكبير بأصابعه على الأحرف: إنهما Ah.. لكن ماذا قصدت بهما ؟

-لا أعرف.. إن الحرف A هو بداية الأحرف فى الأبجدية الإنجليزية و اللاتينية و بعض اللغات أيضًا.. لكنها استخدمت حرف h يعني ذلك أنها قصدت الأبجدية الإنجليزية .. لكن لا تأتي على بالي كلمة إنجليزية تبدأ بهذان الحرفان .

-حرف A يُشبه الرقم ٨ و مقلوبه ٧ طرحهما واحد صحيح و مجموعهما ١٥.. لكن هذا ليس له معنى .

-لا أعلم.. لكنني متأكد أنهما على قيد الحياة حتى الأن و لذلك يجب أن نُسرع .

-تقلصت ملامحه بألم يلومُ نفسه و يعتصر قلبهُ الخوف ثم سأل: ما وجهتنا ؟

-مقهى ليلة مقمرة .

-ظننتُ أننا سنذهب لعزت لعله كاذب و يحيكُ علينا خُدعة ما وهو من اختطفهما .

-لا أعتقد.. إنه تحت رحمتنا و محجوز بتهمة إطلاق الرصاص علينا.. فأي نوع من الخدع يكيد وهو فى هذا المأزق.

-تذكر الرصاصة التي كادت تُصيب جاسر: كتفك.

-لا تخف.. إنه خدش بسيط لم تخترق الرصاصة كتفي الحمدلله.. غير ذلك ربطتُ الجرح بقطعة من المِلاءة حتى لا ينزف.

-هل سنذهب لصاحبك لنرى ما توصل إليه فى الهاتف ؟

-لا.. لم يعد هُناك وقت لذلك.. سنستدرج هاني و نهدده بما وجدنا حتى نجبرهُ على قول الحقيقة .

-أومأ عز لا يُطيقُ الصبر ; فالفزع عليها يكادُ يقتله .

خرج هاني من المقهى وهو يبتسم بعد أن أخذ مبلغ لا بأس به من أخيه..بعضًا من خصلات شعره تدلت على ناصيته فحركها بكفه اليُمنى للوراء بغرور.. إنه يعتمد القصة التي تنص على تخفيف الجانبان بشدة و جعل الشعر غزير و طويل فى الوسط حتى يتدلى معظمه على الجبهة معظم الوقت مما يسلبهُ بعضًا من مظهره الرجولي و يجعله يشبه الإناث .

ركب سيارته و شغل أغانيه المفضلة بصوت عالٍ وهو يقود بتهور و دون خوف على حياة من حوله.. لكنه لم يلحظ تلك السيارة التي تتبعه فى الخفى .

وصل لمنزله وصف سيارته و خرج وهو يضغط على الزر فى المفتاح ليسمع التأكيد بأن السيارة كلها مغلقة لكنه وجد شخصًا مُتجهم الوجه وراءه ينتظره..

-يرفع بطاقته الشخصية ويقول: معك الرائد عز الدين..أنت مطلوب للتحقيق معك فى الحال.

-ارتبك هاني من مظهره و أشار له: لماذا ؟.. فى أي شئ الاستدعاء؟

-أمسك به عز من كتفه فى نفاذ صبر ودفعه للأمام فظهر جاسر أمامهما وفتح الباب الخلفى بينما أضاف عز: لا تقلق.. ستعرف .

-ركب هاني بتوجس فأغلق جاسر الباب بقوة صافقًا اياه مما جعل الاخر ينتفض فى مكانهُ.

دار عز حول السيارة و ركب تبعه جاسر.. ادخل المفتاح فى السيارة و ضغط على الزر الذي يُغلق جميع أبواب السيارة فأحدث ذلك الصوت الذي جعل هاني يتأكد أنهم يحتجزونه .

-إلى..أين.نتجه ؟..سأل هاني بتلعثم.

-حدثه عز بذات الملامح المُتجهمة فى المرآة الأمامية دون أن يلتفت: إلى مكان يُمكنُك فيه قول الحقيقة .

-ماذا تقصد ؟!

-ستعرف .

وصلوا إلى المكان المطلوب و الذي كان مهجورًا كليًا (شاطئ ٨٧).. خرج عز أولًا وهو يجلب هاني من ياقته ليدخل بيه الشاطئ و جاسر وراءه بينما يهتف هاني:

-اتركني!..لماذا اتيتم بي إلى هنا . بدأ يحاول الصراخ و ضرب عز لكن الأخر لم يتوانى لحظة فى لكمه و الموج يهدر بجانبهم.. فيسقط على الرمل يتأوه .

-نزل عز لمستواه على الأرض و هو يُعيد مسك ياقته يصرخ فيه: سأقتلك..سأفعلها و أرميك هُنا رمية الكلاب !..أشهر سبابته: أقسم بالله إن لم تنطق بالحرف الواحد كل ما حدث.. لقتلتك حالًا.

-أخفى وجهه بيده المرتعشة كصوته: اس.سمعني أرجوك..أنا لم أقتلها..أقسم لك..لم أفعل.

-هدر جاسر: من قتلها إذن يا شَمّام؟!

-لا أعلم أقسم لكم..لا أعلم..ت.تلك المرة لم أكن معهم.. لقد أتاني قاسم وأخبرني أن أحُضر لهم كمية من مخدرهُم المفضل و بعضُ الخمر لأنهم سيسهرون على أحد الشواطئ كعادتهم..

-سكت لبرهة فلكزه جاسر بحدة: أكمل!

-ودعاني لأذهب معهم لكنني لم أستطع بسبب الطلبات التي كانت عندي.. قالو إنهم سيجربون شاطئ جديد بعيد عن المتطفلين.. و قالو اس.سمه ٨٨ تقريبًا.

-صحح عز بغلظة: ٨٧ .

-أومأ: نعم.. نعم.

-انطق.. ماذا حصل بعدها؟!

-ليلة الجمعة أتى لي ثلاثتهُم دون دارين و على غير العادة قابلوني فى المقهى ليأخذوا مني ما طلبوه.. فسألتهم أين سيسهرون الليلة ؟.. فأخبروني أنهم سيستمتعون الليلة على الشاطئ ثم ذهبوا ليعودوا للمقهى بعد ساعة ونصف تقريبًا.. و اتصلوا بي لأقابلهم مرة أخرى.. عدت لهم بالفعل و أنا مذهول..لأجد أحمد تشاجر مع النادل وتفاقم الأمر حتى أراد ياسر طردهم.. أخذتهم لأبعد طاولة أسألهم ما هُنالك..ففـ..تردد فى أن يُكمل .

-فصرخ به عز: سأنحر رقبتك والله إن لم تُكمل !

-سأل جاسر: هل المُخدر الذي بعتهُ لهم هو الهيروين؟

-تدلت رأسه وهو يبكي: نعم.. لكنهُم إتهموني بقتلها.. قالوا لي إنه فاسد وهو السبب فى قتلها و هددوني إن لم أسوي الأمور لحُجة غيابٍ لهم سيأخذون رقبتي معهم لحبل المشنقة..أرجوكم اتركوني.. فأنا برئ والله..أنا أشتري ذلك المُخدر من شخصًا ما و أتعطاه و ابيعه.. ولم يكن فاسدًا والله!

-اقترب عز منه يصرُ على أسنانه: حتى وإن لم يكن فاسد.. يُمكنه قتلها بجرعة زائدة.. انت لست برئ و أخيك الذي حاول التستُر عليك و عليهم ليس برئ.. سيطولك حبل المشنقة جزاءًا لك.

-بكى وهو يترجاهم ويبيعوهم واحدًا تلو الأخر : لا.. أرجوكم..لا.. لا تشنقوني..أنا لستُ السبب إنه أحمد من قتلها نعم.. لأنها أهانته عندما قطعت ورقة زواجهم فى البار أمام الجميع..أو سمر..هي..هي من قتلتها لأنها عندما رفضت ان تبقى الخادمة الحقيرة..و أصبحت لديها تجارة خاصة..أفسدتها دارين و خربتها على دماغها و دماغ شُركاءها..أو قااسم.. قاسم..ل.. أو الثلاثة معًا قتلوها..لكنني لم أفعل أرجوكم.. تركه عز فى اشمئزاز فجسى أمامهم يترجاهم و ينتحب .

-هتف جاسر فجأة: عز..لقد عرفتُ معنى Ah الذي كتبتهما حياء..كانت تقصدُ أحمد بالإنجليزية و استخدمت حرفُ الA فى صيغتهُ الكُبرى حتى تشير لنا أنه اسم.. الخط المُتعرج بجوار الحرفان كان حرف m لكنها لم تمتلك الوقت لتكتبهُ فكان كالثُعبان الملتوي.

- نعم.. انت مُحق.. كيف لم أفكر فى ذلك..أمسك بهاني مرة أخرى: استمع لي جيدًا.. سأعقدُ معك اتفاقًا.. إذا أوصلتني لمكان أحمد الأن.. لن تُشنق معهم و ستكون ادانتك فى بيع الهيروين فقط.. لن أُدخل ياسر فى الامر و سأحرص على تخفيف العقوبة الموجهة لك .
- تحير الاخر و مسح دموعه بظهر يديه: و إن لم..

لم يكمل جملتهُ حتى أمسك به جاسر من رقبته وبدت عينيه مرعبة فى تلك اللحظة و الرغبة فى القتل تلمعُ فيهما : و إن لم تفعل.. سأقتلُك أنا الأن..صدقني لستُ باقيًا على شئ.. و ليس هُناك أسهل من أن أرميك هُنا..أشار بعينيه على البحر الذي يهدرُ فى غضب و جوع .

- همس الأخر بإختناق: لا سأفعل..سأدلُك على مكانهُ..أرجووك..

ترك جاسر رقبته وهو يسحبه من سترته فيقف الأخر يجر قدميه وراءه نحو السيارة.. ركبوا جميعًا وبدأ هاني يصفُ لهم الطريق .

فى غرفة مُظلمة يتسرب بعض الضوء القمري من فتحات نافذة مُغلقة بقطع خشبية.. هناك صوت لتنفس أحدهم.. يبدو ضعيفًا فى البداية حتى يقوى ويعلو ليصبح لُهاثًا.. تفتح عينيها فجأة فى الظلام و هي تلهث بشدة و يعودُ بها وعيها لتتذكر ما حدث:

بعد أن توضأت و ارتدت رداء الصلاة لتُصلي.. أخبرتها حياء أنها ستنزل لجلب قهوة من الكافتيريا بالأسفل فأومأت و طلبت واحدة هي الأخرى.. و لما كادت تُنهي صلاتها و هي تقول التحيات

سمعت صوتًا من خلفها على زجاج الشرفة تبعه صوت تحطم قوي للزجاج.. جعلها تنتفض من مكانها لترى رجلان ضخمي الجثة.. وجوههم مُلثمة و أيديهم مغطاة بقفازات جلدية.. حاولت الصراخ و اتجهت نحو الباب لتهرب لكن الأقرب منها كان الأسرع فى إمساكها من الوشاح الذي على رأسها ليتمكن منها و يُكمم فمها و يضع قطعة الزجاج الحادة الذي التقطها من الأرض على رقبتها.

- سمعت صوت الحارس بالخارج يسألها: سيدتي هل أنتِ بخير؟..ما هذا الصوت ؟
- ضغط الرجل بقطعة الزجاج على رقبتها لترد عليه كذبًا فقالت بصوت مرتعش: لا..لا شئ .

شعر الحارس بتذبذب صوتها ففتح الباب بسرعة وهو يُشهر سلاحه

- أنزل سلاحك و إلا قتلتها..هتف به الرجل ضاغطًا على رقبتها أكثر حتى تلوث الحد بالدماء بينما يختبأ الرجل الأخر خلف الباب.. تقدم الحارس للداخل أكثر ليفاجئهُ المختبئ و يضرب يديه التي تُمسك بالسلاح وهو يوجه له لكمة و ركلة قوية جعلت الأخر يتألم فيمسك بزجاجة و يكسرها على رأسه فيقع الأخر على الأرض دون حراك..

-سألها: أين صاحبتُك ؟

-م من؟..

-زجرها وهو يضغط أكثر: انطقي..أين وچد ؟!

إنه لا يعلم أنها وچد.. من يظنها إذن؟!..هل يعتقد أنها حياء!

-صرخت برعب: لا أعلم..كنتُ أصلي .

يرخي يديه قليلاً و فجأة يُمسكه الحارس المُلقى على الأرض من قدميه ليشده فيقع ويبدأ الصراع بينهما.. تصرخ هي فى هلع من طلقات النار التي يطلقها الاخر عليهما.. تجري نحو الباب و تفتحه لتجد حياء امامها ومعها الحارس الأخر الذي دفعهما للداخل!

إن الحارس مُتواطئ معهم إذن.. أمسك الخائن بالمسدس و وجهه نحو زميله الذي يمسك برقبة الرجل و طخ..صوت الرصاصة البغيض يدوي مخترقًا رأس الحارس الذي اتسعت عينيه بغدر من خيانة زميله قبل أن يقع جثة هامدة .

وضعت وچد كفها على فمها و تبادلت مع حياء نظرات الهلع.. واستقام الرجل وهو يمسح الدم من على فمه و وجهه الذي ظهر بسبب العراك و تعمد ان يدوس على جثة الحارس و يوجه حديثه للخائن:

-جيد أنك أتيت..نظر لحياء على أنها وچد ثم أردف: و جلبت المطلوب أيضًا .

-إن المطلوب كان معك.. الأخرى التي جلبتُها هي صاحبتُها .

-قال بغضب من خداعها: هكذا إذن!..لماذا لم تخبريني انها أنتِ ؟

-كانت تحاول إيجاد صوتها الذي اختفى من الرعب .

-لكنه لم ينتظر بل هتف فى شريكه مشيرًا على حياء: إقتلها!

-صرخت وچد وهي تقف أمام رفيقتها وتهتف: لا.. لم تفعل شئ..أرجوكم إتركونا لم نفعل شئ والله!

-إخرسي!..ليس لي فى لتَّ وعجَن النَسَوان هذا!..أوا تظنين أنني سأُبقى على حياتك.. إن الباشا هو من يريد قتلك حتى يأخذ حق إبنته .

-اتسعت عينيها و صرخت بهياج و بكلمات مشوهه و الأخر يشدها يكممها ويكبلها بينما يصوب الخائن المسدس نحو حياء المتجمدة فى مكانها لا تنطق .

وقفت حياء كتمثال من الشمع لا تتحرك ولا تعترض أو تصرخ

فلقد حان أجلها.. ستُقتل و ستترك أهلها يفزعون على موتها.. هل أنهت كتابُها بالأعمال الجيدة أكثر من السيئة ؟..هل ستُعفى من النار ؟..إنها ليست متأكدة أبدًا من ذلك الأن فكل الخطايا و الآثام وحتى الذنوبُ

الصغيرة تتوالى على رأسها.. كانت لتكون أصلح من ذلك لو شعرت بذرة واحدة من الرعب الذي تعيشهُ الأن.. فرصتها فى الحياة انتهت و عليها أن تُسلم كتابها.. هل الموت مؤلم ؟..إنهُ مهيب و مؤلم و عظيم لتلك الدرجة التي تشعرُ بها أن الحياة كأنها لم تكن شيئًا وأن ما خفى بعد الموت كان أعظم و أكبر.

انتفضت وچد رعبًا على رفيقتها وتلوت وهي تسمع صوت شد أجزاء المسدس بينما يضع الرجل على فمها قطعة قماش مليئة برائحة تُذهب عقلها.. عصرت عينيها و توقفت الأصوات من حولها إلا من صوت تنفسها و دقات قلبها العالية ثم طخ..وأظلم كل شئ من حولها .

عادت بوعيها إلى الوقت الراهن و هي تبكي بقوة و تنتحب.. رغم الظلام تقف فتتعثر لأنها مقيدة القدمين.. لم تلحظ ذلك إلا الأن.

بدأت تنشج و هي تنادي حياء.. رباه إنها تكادُ تموت رعبًا..لقد فقدت وعيها ولم تستطع أن ترى ماذا حدث.. ألصقت ظهرها بالحائط و وضمت ساقيها و هي تبكي أكثر و تنتفض بينما خبأت وجهها فى نفسها المضمومة.. لم تسمع صوت الباب وهو يُفتح ليصدر صريرهُ و مفاصلهُ تئن.. شعرت بيدين ترفعها لتواجهها.. لم تتبين الملامح فى ذلك الظلام لكنها إستمعت لصوت تعرفه جيدًا يهتف بلهفة بإسمها: وچد!...قصف قلبهُا.

-تحركت أصابعه على وجنتيها يمسح دموعها بينما يهتف بإنفعال: حبيبتي..إشتقتُ لكِ بشدة .

-صُعقت و لا تعرف من أين واتتها القوة لتدفعه بعيدًا عنها وهي تصرخ بملامح مستنكرة: أحمد!

-صُعق هو الأخر: أنتِ تتذكرينني !..لم تفقدي الذاكرة إذن!

-حدثته و كل ذرة بها تحتقرهُ: بلا فقدتُها بعدما أفقت لكنني إستعدتُها تديجيًا بعد ذلك.. تذكرتُ حياتي و تذكرتُك.

-هتف بصوت مُلتاع وهو يقترب مرة أخرى: و أنا يا حبيبتي لم أنساكِ للحظة.. كُنت تسكنين هُنا (أشار على قلبه) حتى و أنا معها لم أستطع أن أنساكِ..دنا منها أكثر وهمس: أنا أُحبك..تذكرين أُحبك خاصتي التي كنتِ تذوبين بها!

-قشعر بدنها اشمئزازًا و هتفت: أيُها الحقير..ابتعد عني لا تدنسني بقذارتك..أنت أحقر و أقذر شخصًا عرفتهُ..ارتفع صوتها وهي تصفعه بالكلمات: لم تكن صادقًا فى حبك للحظة.. كنت مستغلًا.. حقيرًا.. كاذبًا و مخادع...أشارت عليه بسبابتها: أنت أحببت نفسك الدنسة..لم تكن تُحبني بل كنت تُحب ما أُعطيك من إهتمامًا و حب و وقت و مال لكنك لم تكتفي بل أردت أكثر من هذا و لم أكن لأُفرط فى نفسي أبدًا و أدنس اسم أبي لأجلك.. لم أكن خائنة ولا عاهرة مثلها!..

-صارت عينيه تتسع وتُظلم و هو يسمعها مشدوه من جرائتها التي تزداد مع كل حرف تنطق به.

-أكملت: بمجرد أن تلاعبت بك ركضت وراءها كالحيوان بل إن للحيوان مبدأ عنك!..أحمدُ الله ليل نهار انه أنقذني من برثانك النجس!..إتفيه بصقت فى وجهه تثأر لكرامتها التي أراقها يومًا .

-مسح البصقة عن وجهه وقد تغيرت معالم وجهه كأنما تلبسهُ الشيطان: تبصقين علي !..أمسك بذراعها يشدها ناحيته بينما يده الاخرى تلفُ شعرها حول أصابعه ليحكم قبضته على لفائفها و يشدها بقوة فتصرخ متوجعة.. ويهذي هو متأوهًا: آه حبيبتي..كم أردتُ رؤية شعرك الجميل ولمسه يومًا!..ماذا.. يشده بقوة أكثر و يكمل: يؤلمك ؟..تتألمين يا روحي..أه وأنا أيضًا تألمت منكِ أكثر.. ترك شعرها لينظر لها وهي تطالعه ببغض و كُره بينما سبابته تتجول مع عينيه على وجهها: خاطرتُ بكل شئ حتى أُنقذك منهم و أحميكِ وهكذا تردين لي الجميل.

-صرخت وهي تحاول ابعاده بشراسة: ابتعد عني..أنا أكرهك..أشمئزُ منك..و أنت لم تنقذني من شئ لأنني لم أفعل .

-قهقه وهو يضحك بخمول: هل تقتلين القتيل و تمشين فى جنازته؟..أنتِ من قتلتها أم نسيتي؟!

-إحترقت أكثر وهي تهتف بصراخ وقهر و دموع تنزف: لا لم أقتلُها !..لم أفعل..كنتُ أدافع عن نفسي.. لم أفعل شئ.. هي السبب..و أنتم من فعلتم.. أنا لم أفعل.

-ضحك بعبث و قال: ومن سيشهدُ لكِ ببرائتك يا حبيبتي..أنتِ من قتلتها و لن ينفعُكِ الدفاع عن النفس او أي حُجة أخرى..إقترب من وجهها أكثر وهو يهمس: لذلك فلتعرفي أنني مُنقذك الوحيد و حبيب..

-لم يُكمل إذ هتفت و هي تغمشُ و جهه بأظافرها و تبعده عنها بنزق: سيحميني..و يُنقذني.. منك كما كان يفعل دائمًا!

-اتسعت عينيه و جحظت بغضب و صر على أسنانه وهو يصفعها وتعود يده لتُمسك بشعرها: إذن أنتِ على علاقة به يا بنت الكلب!

-صرخت وهي تُخفي و جهها متألمة فما كان منه إلا أن هزها بعنف و هو يسأل: أنتِ كنتِ على علاقة به و أنتِ خطيبتي ؟!..أليس كذلك يا حقيرة.. لم يمرُ على فسخ خطبتنا يومان حتى حصلت المشاجرة التي انتهت برميك فى الحجز ليظهر هو ويدافع عنكِ و يتعارك معي كأنكِ تخصينُه ؟!

كان يتبعُ كل سؤال بهزة عنيفة حتى شعرت بأن كتفها انخلع لكنها صمدت و ضمت شفتيها لتحول إرتجافهما

-و قالت بثبات قوي و ذقنها مرفوع : لم تكن الخيانة يومًا من طبعي.. لستُ بحقارتك..والله إنني رُزقت به من غير حولً مني و لا قوة حتى يحميني من حقارتكم و تجبركم..و لأنه عفيفًا.. لم يحاول الاقتراب مني أو استغلالي ثمنًا لحمايته.

-إنقض عليها يسألها بلهاث وهو على بُعد شعرة منها: هل تحبينه ؟

-التمعت عينيها بوهج و ابتسمت مُرغمة رغم الكدمات و الجروح و الدموع و تعمدت أن تقولها برقة مزقته من حدتها: نعم أُحبهُ!

اعمتهُ شياطينه و هو ينقض عليها يصفعها بيديه الإثنتين على خديها فتشطح رقبتها يمينًا و يسارًا.. تحاول إخفاء و جهها بكفيها فيمسكهم بيده و يلويهم خلف ظهرها حتى تسمع صوت عظامها تنكسر.. تشعر بالألم الحاد فتفتح فمها عن آخرة و تصرخ.. يلكُمها بوحشية فى فكها حتى يخرسُها فتندفع الدماء بغزارة من فمها.. تتوالى الصفعات على وجهها حتى تفقد القدرة على المقاومة فتتهدل شفتيها بسيل من الدماء و عينيها

لا تريان من كثرة الألم و التورم و تسقط ذراعيها بجانبها فيمسك فكها بأصابعه بعنف وهو يقترب بشدة و ينفث كلماتهُ: أنتِ لي أنا..ملكٌ لي..أذهب و أدور كما يحلو لي و أعود لأجدك تنتظريني كالكلبة!

حاولت تحريك شفتيها لترد لكن..لا..انهما لا تستجيبان..ولا حتى لسانها!.. فهبطت الدموع عجزًا و ألمًا بينما هو بصق عليها و تركها ليخرج .

ظلت على تلك الحالة لفترة شعرت بالألم فيها يتضاعف فحاولت ان تستلقي على الأرض قليلًا.. إلا أنها بمجرد أن حركت ذراعها الأيمن حتى صرخت صرخة مكتومة مُتألمة..لقد كُسر!.. فعادت لنفس وضعها وهي تبكي من الألم وتنادي بقلبها العاجز ربها .

دخل الغرفة الأخرى بسرعة وقدميه تدبُ فى الأرض.. أمسك بالمُلقاة على الأرض و هو يصفعها لتفيق فتشهق ساحبة الأنفاس بشدة و هي تفتح عينيها فى خوف .

-أفيقي..هيا افيقي .

-اشارت بيديها وهي تومئ بإستسلام بعد عدة شهقات: أفقت..أفقت .

-أنذرتها ملامحه بخطورة الكلمات: هذه المرة الأولى والأخيرة التي سألقي فيها بسؤالي عليكِ ؟..بماذا أخبرتك وجد عن موت دارين ؟!

ارتجفت وهي لا تعرف ما تقول..هل تدعي المعرفة أم يمكن للمعرفة أن تقتلها هي و وجد.. إن المعرفة خطيرة وحادة كالجهل تمامًا.. وجهان لعُملة واحدة.. فأي الوجهان تختار لترتديه ؟!

صرخ وهو يصفعها بعنف لأنه رأى أنها تُفكر.. كما فى بعض المواضع و الأوطان التفكيرُ مُحرم!

هتفت وقد إختارت وجه الحقيقة: أقسُم لك..أنني لا أعلمُ شيئًا عن موت دارين..لقد فقدت وجد الذاكرة و لم تُخبرني بأي شئ..أقسمُ بالله العظيم أنني لا أعلم .

-حاول أن يستشف الكذب منها..إلا أنها كانت صادقة بالفعل.. فهو يعلم لأخر لحظة قد خطط فيها لإختطاف وجد انها لا تتذكر شيئًا.. و كانت خطتهُ أن يختطفها ليكذب عليها و يُخبرها أنها زوجته و يقنعها أنهم هم من إختطفوها.. لكن خطته باءت بالفشل عندما وجدها مُتذكرة كل شئ .

-سألها و هو يتفرس ملامحها: لماذا هربتِ للمرحاض هُناك و أنتِ تعلمين أنه ليس هُنالك نافذة تفرين منها؟

-ارتجفت أكثر دون الحاجة بالتظاهر: لأنني عندما رأيتكم تتصارعون و هُناك طلقاتً نارية طائشة يُمكن أن تُصيبني هربتُ لأقرب مكان يُمكنني الإحتماء به .

-أمسك بعنقها يسألها بإبتسامة مُتشفية: هل تخافين على حياتك هكذا ؟..

-أومأت وهي تشعر بالإختناق فسألها: بكم تشترينها ؟

-خرجت الحروف مختنقة هي الاخرى: ب.بكل..م.ماا..أملك.

-رفعها أكثر من رقبتها حتى كادت قدماها لا تلمسُ الأرض: حسنًا..سأبيعُ لو كان المالُ وفيرًا وكنتِ مغرورة لتبيعينها بأغلى من مقدارها .

-أومأت وأناملها تتشبث بكفه بتوسل فتركها.. سقطت على الأرض تتنفسُ بحدة ومرت لحظات وهي تعود للحائط تدلك رقبتها من الالم و تتذكر ما حدث:

عندما وجه الرجل لها فوهة المسدس ليقتلها و بعد أن أغلقت عينيها وهي تقول الشهادة.. سمعت صوت الرصاصة و هي تفر من محبسها.. لكنها لم تشعر بالألم فظنت أنها ماتت.. و رُغم عطل الشعور الذي أصابها من الرعب إلا أنها فجأة استعادت شعورها و إحساسها بكل شئ من حولها مرة أخرى..

فتجرأت و فتحت عينيها لتجد الكهرباء قد انقطعت وليس هُناك إلا بعضُ النور المُتسرب للغرفة من الزجاج المُهشم.. وعندما دققت النظر أمامها صُدمت بالرجل الذي وقع على الارض و قد استقرت رصاصة فى دماغه و تركت ثقبًا تخرجُ الدماء منه كالنافورة.. لطخت المسدس ويده .

تراجعت فى رعب وهي تلاحظ ان عدد الرجال فى الغرفة قد تزايد .. هُناك جثتين على الأرض و أربعة أشخاص يتصارعون بينما هُناك طلقات نارية تتقافز حولهم.. سقط بالقرب منها رجلان يتصارعان بشدة و أحدهم قدخلع قناع الأخر فظهرت حقيقته.. لقد كان أحمد!

بان على وجهه الغضب من كشفه و امسك بشئ ما مجهول الهوية من الظلام لكنه حاد و ضرب الرجل على رأسه بقوة حتى هشمها.. هُنا شعرت أنه سيقتلها فجرت نحو المرحاض لأن أحمد كان الاقرب من الباب..

أغلقت الباب و أوصدته وهي ترتجف.. الباب لن يحتمل ضربتين..رُبما..ثلاثة..فماذا سيحميها ؟..بحثت كالمحمومة على اي شئ يُمكن أن يساعدها..

وللأسف لم تجد إلا احمر شفاة و مبرد حديدي صغير أخفتهُ فى ملابسها و إلتمعت الفكرة فى رأسها حول كتابة إسم أحمد.. لعل و عسى تستطيع إرشاد جاسر.. إنها تعلم انه سيُفتش فى كل إنش فى المكان..و بالفعل لم تنتظر لحظة وهي تنزل أسفل الرُخام و تكتب بالإنجليزية لأنها الأيسر فى حالتها و حروفها ليست مُشبكة..

كتبت الحرف الاول و الأخر يدفع الباب و الحرف الثاني و عند الحرف الثالث و جدت الباب ينكسر فرمت ما فى يديها بسرعة وهي تخلع خاتمها الذي ارتدته فى الصباح لترميه بجانب الحائط..تتذكر أنه إندفع يجذبُها من اسفل الحوض فحاولت مقاومته ليصدم رأسها بحافة الحوض وتفقد وعيها شيئًا فشئ .

لم تكن تظن انها ستظل على قيد الحياة.. لقد ظنت انه سيقتلها و انها لن تفيق..تحمدُ الله على ذلك و الأن فلتحاول أن تُفكر فى حيلة تزيد وقتيهما قبل أن يقتلهما أحمد.. عوضًا عن أن جاسر قد عرف..بالطبع قد عرف.. تكادُ تراه يبحث عنها كالمجنون..ستحاول أن تماطل و تتحايل حتى تعطيه مزيدًا من الوقت.. يا الله أرشده.. إجعله يجدني قبل فوات الاوان .

جلس أحمد على طاولة دائرية تحت مصباح خافت ينبعثُ منه ضوء أصفر لا يفيد فى شئ سوى فى زيادة الظلال يجلسُ بجانبه رجلان.. أحدهم أُصيب برصاصة فى كتفه و الأخر أصيب بجرح فى الرأس بينما تتساوى الكدمات على وجهيهما المُغبرة .

-هتف الاول و هو يضع القطنة المليئة بالكحول على الجُرح بعدما أخرج الرصاصة: إمم..ماذا سنفعل الأن يا زعيم ؟

-تحدث و هو ينفث الدخان فى شراهة بشفتيه: بالنسبة..لوچد فسأروضها لتكون طوع أمري..و كلما عاندت سأمنع عنها الطعام و الشراب..لا بأس من تهديدها و تعذيبها إن لزم الامر..و عندها ستستسلم لي و سنسافر معًا خارج البلاد و لن نعود مرة أخرى .

-سأل الأخر بصوتًا أجش: و الاخرى ماذا ستفعل بها ؟

-ضحك ساخرًا و رد بإزدراء: بالطبع لن نأخذها معنا..إلتمعت عينيه بحقارة و خفض صوته نسبيًا ثم أكمل: بعد أن أحصل منها على ما يُرضيني.. سأتركها لكم لتنتهوا منها..و لكن لا تنسوا أن تدفنوها دفنة محترمة..ثم أطلق ضحكة حقيرة تتابعت الضحكات وراءها .

إستندت على حائط الممر المؤدي للصالة التي يجلسون بها و هي تكتم شهقاتها المرتعبة بكفها ثم سمعت صوت كرسي يتحرك فعرفت أن أحدهم يستعد للقيام .. جرت سريعًا بخفة نحو غرفتها و أغلقت الباب بهدوء ثم أمسكت الحبل الذي كان يُكبل يديها و لفته حول معصمها كما كان.. و أخفت المبرد بين طيات كمُ الفستان الذي ترتديه ثم تظاهرت أنها نائمة.. و بالفعل صدق حدسُها فلقد دخل الرجل الاول الغرفة ليُحدق بها.. فأصابتها الرجفة..تلك الرجفة المُرعبة التي تأتيك عندما تشعر بتحديق أحدهم رغم إغلاق عينيك..

كانت ترتجف بشدة من الداخل و تشعر بالدماء المحملة بالأدرينالين تتدفق لرأسها و أصاب قلبُها الرعب فصار يتقافز داخل صدرها حد الألم و عندما شعرت به يقترب منها أكثر.. تحرك بؤبؤ عينيها يمينًا و يسارًا تحت جفنيها فى فزع.. لم تحتمل اكثر..

و فتحت عينيها لتجد وجهه قريبًا للغاية و دون تفكير او تدبير ..عطست بقوة فى وجهه..فتراجع يسبُها و هو يمسح المُخاط من على و جهه فى اشمئزاز بينما هي استساغت الفكرة و صارت تُمثل أنها تعطس و تكحُ كحة شديدة و لأنها مريضة بداء الربو الرئوي فإنقلب عليها الأمر و صارت تكحُ حقيقةً بسبب تهيج الجهاز التنفسي من الكحة المُزيفة..نظرت له فى توسل و هي تُشير لحاجتها للبخاخة التي فى جيب فستانها فإقترب منها و هو يقطع الحبل بالسكين فتتركه هي ببراعة دون ان يشك أنه كان مفكوك من الأساس ثم تمدُ يديها للبخاخة و تستنشق حتى تستكين إنتفاضتها بينما أضاف و هو يخرج: صاحبة مرض أيضًا..يا وجه البومة.

نظرت للأرض بعدما خرج و قد بدأ تنفسُها فى الإنتظام و هي تحمدُ الله على تلك العطسة الحبيبة المفاجأة ثم بدأت تتحسس الأرض فلقد سمعت بشئ يسقطُ منه عندما كان يُخرج السكين..إن الضوء ليس كافيًا بالكاد يجعلها ترى..لمحت شئ على مقربة فزحفت له فى هدوء و دون صوت أمسكت به..رفعته لأعلى تحت ضوء القمر الخافت فوجدته مفتاحًا..جيد و لكن مفتاح أية غرفة فى الخارج..غرفتها مستبعدة لأنها بمزلاج صدأ يُفتح من الخارج فقط و قد فتحته من الداخل باستخدام المبرد الحديدي الصغير عندما خرجت لتتنصنت عليهم .

تراجعت للحائط و هي تُهدأ من روعها و تستحثُ نفسها على التماسك و عدم البكاء و الفزع بخصوص ما سمعته منهم و ما حاول فعله ذلك الرجل..لا وقت لرفاهية الإنهيار..إنها ليست وحدها إن الله معها..يقويها و يساعدها و سينجيها بإذنه .

دفنت رأسها وهي تضمُ ساقيها و بينما اليأس و الفزع ينبُشان قبرها و تذكرت نبي الله يوسف عليه السلام عندما ألقوا به في غيابة الجُب (البئر)..

يا الله كم كان صغيرًا يتيمًا وحيدًا فى الظلام و الصحراء.. عليه السلام كابد كثيرًا كما حالُ الأنبياء و الرُسل..لكنهم نالوا الغالية العالية (الجنة) بجوار..أرحم الراحمين..ألا يُمكنها أن تُكابد قليلًا و تتماسك و

تؤمن أكثر أن الأمر كُله لله و أن صراعها يكون مع نفسها الأمارة بالشك و اليأس و النقم.. ستنجح..و إنها تُجاهد الخوف و الرعب فى نفسها و لن تستسلم لأن تكون مؤمنة أنهم يُمكن أن يضروها بشئ لم يكتبُه الله لها..إنه تشعر بالله معها الأن.. و تشعر أن أجلها و إن يكُن قريبًا فهو بيد الله و ليس بأيديهم..ستُحارب لتخرج و تكفر عن ذنوبها..و ستحاول أن تكون أصلح لو كُتب لها النجاة..و لأجل ذلك لن تُمكن شياطين الإنس الموجودون بالخارج منها.

إن شياطينُ الإنس يحبون أن يظهروا كالملائكة دائمًا و يكونون الأفضل فى رسم ذلك بالمناسبة كإبليس حتى غَوَى..

و ما إن يأتي الطوفان و تنهمر الأمطار و يكادُ البرق يخطفُ أبصارهم يتشبثون بسفينة نوح التي هَزِئُوا بها..

و يصرخون فى موسى أن اسأل ربك .. و يقتلون ناقة صالح طمعًا فى المزيد كثمود.. و ينظرون وراءهم كإمرأة لوط الغابرة.. و يكذبون شُعيب كالمطففين.. و يحرقون إبراهيم لأنه حطم أصنام آباءهم و أجدادهم الأولين .. و يمكرون ليوسف حتى يتبعُ هواهم كالنسوة اللواتي قطعن أيديهن..

و يحاربون محمد ﷺ لأنه أسلم لرب العالمين ككفار الجاهلية .

فى الغرفة المجاورة:

كانت تتأوه وجد بين الحين و الاخر من الألم الجسدي و النفسي.. وهي تشعر بالخوف من أن تكون هي من قتلتها بالفعل.. والله إنها كانت تُدافع عن نفسها..والله لم تقصد قتل أحد..

ظلت تحاول أن تسترجع ما حدث و الألم يتضاعف فى رأسها و جسدها.. بينما يهمس وسواس فى أذُنها أنها من قتلتها..و تستحق كل شئ..تستحق ذلك الألم و تستحق كل ما حدث لها..زاد الأمر عليها وهي تجلدُ ذاتها أكثر حتى نادت الله

و هي تتعذب من ذلك الصراع بداخلها ومن شعورها أنها قاتلة!.. و سألته عز وجل أن يُظهر الحق لها و للجميع...إنها صارت لا تعلمُ الحق من الباطل..فلقد إمتزجت الحقائق بالكذب و تشوشت الرؤية..

و الذكريات مثقوبة و غائمة كالأحلام و الصورة ناقصة ..همست: أتعذبُ يا الله ساعدني..ساعدني و أخرجني مما أنا فيه..و حينها..تذكرت دُعاء يونس فى بطن الحوت و ظلت ترددده بتهدج: لا إله إلا أنت سُبحانك إني كنتُ من الظالمين .

وصلوا لعنوان الشقة و كانت الساعة تقترب من مُنتصف الليل عندما صف عز السيارة بعيدًا عن الشارع الذي تقع فيه حتى لا يراهما أحد .

أخرج عز الأصفاد من صندوق السيارة و كبل هاني بها و أغلق عليه أقفال السيارة..صعدوا السلالم بهدوء و طرق جاسر باب الشقة رقم ٧..لكن لم يرد أحدًا..زاد من حدة طرقه حتى إنفتح باب الشقة المُقابلة و ظهرت إمرأة أربعينيه تسأل ما بالهم يطرقون هكذا فى الليل..

سألوها عن ساكن تلك الشقة..فأخبرتهم أنه باعها من أسبوع لها..لأنها ارادتها لإبنها المُقبل على الزواج..سألوها هل تعرف أين ذهب أو عنوان سكنه الجديد..فأخبرتهم أنه ربما سافر..لأنه كان يُجهز لذلك منذُ فترة .

تجهمت و جوههم و إعتذروا عن الإزعاج..ثم عادوا إلى السيارة بأيديهم خالية الوفاض .

ركب جاسر فى المقعد الخلفي و عز فى مقعد القيادة..أمسك جاسر بهاني و فك القيد عنه ليمسكه وهو يتوعد :

-أين ذلك القذر..لم يكن هُناك..أنت تعلم مكانه و تكذب !

-أجاب بإرتجاف وهو يحاول التبرير : أقسم لك أنني لا أعلم..لقد أتيتُ بكم إلى الشقة التي يعيش فيها و لا..

-هتف عز بغضب مكتوم و هو يضرب المقود: باعها!..لقد باع الشقة..ضغط أكثر على أسنانه و هو يكمل: منذُ أسبوع باعها..كيف لا تعرف و أنت صديقه .

-أق.قسم لك أنني لا أعلم..لقد حاولت الإتصال به كثيرًا إلا أن الرقم لم يعد بالخدمة..و

-رفع جاسر قبضته وهو ينوي تحطيم وجهه بسبب الإحتراق المفزع الذي يشعر به..لكنه توقف عندما سمع صوت هاتف هاني المكتوم و هو يرن بإلحاح..فمد يده فى جيبه ليجلبه لأنه قد أخذه منه قبل صعوده للشقة.. يظهر له رقم غير مُسجل على شاشة الهاتف .

-فيخرج مسدسه و يوجه نحو رأس هاني فى تحذير صامت ثم يجيب المكالمة مستخدمًا خاصية مكبر الصوت:

أشار جاسر له أن يبدأ الحديث فقال: السلام عليكم..م.من معي؟

-إنه أنا أحمد.. يا نَصَّاب..أين أنت ؟

-تأهب كلاً منهما فى جلسته وهم يرمقون هاني يحثونه على الحديث و معرفة مكانه بينما إبتهج الاخر لأنه سبيل خلاصه:..أحمدد..أين أنت أيها الحقير ..إشتقتُ لسهراتنا .

-أجاب و هو يضحك فى استمتاع : ااه سهراتنا..أنا أيضًا إشتقت إليها و لذلك حدثتك لأنني أريد منك بعض الطلبات السريعة الليلة .

-رد فى لهفة: طبعًا يا حبيب أخوك..أنت تأمر و أنا أُنفذ..خمس دقائق و اكون عندك..اين انت ؟..فى شقتك ؟

-لا..أنا فى مكانًا أخر لم يسبق لك أن جئته .

-إبعث لي بمكانه على الهاتف و سأ..

-لا..لا يمكن أن تأتي لي عن طريق ال ((GPSخريطة الهاتف..إنه مكان غير مأهول بالسكان تقريبًا و لم يتم تعميره بعد.

-قال بقلق و عينيه تهتزان: إذن صفه لي..

-تردد الاخر لأنه أراد أن يقابله بعيدًا عن ذلك البيت فقال: لا..لن تستطيع أن تأتي..يمكن أن نتقابل لأخذ منك الطلبات و نتحاسب .

-نظر لهما هاني يسأل موافقتهم..فأومئوا.. سأله كم يريد من الخمر و المُخدرات و اتفق معه بعد نصف ساعة سيقابله فى شارع مُظلم..إعتادوا أن يتقابلوا فيه .

و بالفعل بعد نصف ساعة كان الجميع مُتأهب فى مكانه..و قد جلب عز معه عربتان كلً منهما تحمل خمسة رجال مُسلحة و قوية..أتى أحمد و اقترب منه هاني ثم عند نقطة مُحدد إنقضوا عليه..أمسك به رجلان من ذراعيه بينما سأله عز : أين وچد ؟!

-تظاهر بالذهول: أ.أين..

-لكمه عز بقوه جعلت رأسه تلتف مئة و ثامنون درجة و كرر بصوتًا جامد: أين هي؟!

-بدا أن الاخر يصرُ على الصمت..فأخرج عز مسدسه وصوبه نحو رأسه و هو يصرخ كالمجنون: أين هي أيُها الحقير ؟!

-تردد عن قراره بعض الشئ إلا أنه قال بإبتسامة ساخرة: لا أعلم عما تتحدث عنه .

-سحب جاسر المسدس من عز قبل أن يقتله بالفعل و صوبه نحو قدم أحمد: ها..ثم أطلق رصاصة خدشت ساقه دون أن تخترقها فصرخ رعبًا..بينما حرك جاسر تصويبه نحو فخذه مُباشرة بملامح كالصخر..وهو يضع اصبعه على الزناد و يميل برأسه ميلة خفيفة يسأله ما رأيه .

استسلم أخيرًا وهو يخبرهم المكان بالتحديد بينما أخذته قوات الأمن لتحتجزه..ركب كلاهُما و ورائهم عربة من القوات .

فى تلك الاثناء :

حاول أحد الرجال أن يدخلوا غرفة وجد ليضعوا لها بعض الطعام كما أمر احمد.. فتفاجئوا بأن الباب مُغلق.. و المفتاح ضائع بحثوا عنه فى الشقة بأكملها عدا غرفة حياء فلم يجدوه.. قرر الثاني أن يدخل ليبحث عنه عندها وعندما دخل و جدها فى أقصى الغرفة تضمُ ساقيها و تُخبئ وجهها.. إبتسم على خوفها و إقترب يبتغي تعذيبها بسادية.. هذا حالُ المرضى من البشر ينجذبون لأذية و ترويع الضعفاء حولهم.

شعرت بأحدهم يشدُ رأسها بقوة كادت تخلع رقبتها ثم تلى ذلك صعقة ماء بارد تضربُ و جهها و جسدها.. فتحت عينيها تشهق بشدة لتجد وجه رجل يمتلك ندبة فوق حاجبه الأيسر ينظر لها فى استمتاع..صفعها و هو يهتف: أيقظتك من نومك يا ست الحسن.

-قالت بألم من صفعته و هي تحاول التملص: إبتعد .

-دفعها فى الحائط و هو يتركها: لا بأس.كما تريدين..هل رأيتِ مفتاحًا هُنا ؟

-إبتعدت خطوتين وهي تنظرُ فى الأرض: لا..لم أرى شيئًا.

-أمسك بمعصمها يعتصره و يهدر بغضب من تجاهلها النظر له: لا تتجاهليني..إنظري لي و انا أحدثك..

لم يُكمل عندما شعر بشئ صلب فى كُم قميصها.. لوي ذراها و قطع جزءًا منه ليجد المفتاح الذي بحث عنه لمدة ساعة أو أكثر.. الحقيرة كانت تُخبئه!

لطم وجهها بشدة جعلتها تطيحُ على الأرض.. ثم شد خمارها ليُمزقه و يمسك بشعرها يرفعها.. كانت الأسرع عندما ضربته بمقدمة رأسها فى أنفه بقوة و هي تقفز.. جعلت رأسه تشطح للوراء بشدة و يخرج سيلُ الدماء من أنفه.. صرخ يسبُها و يحاول أن يوقف النزيف بينما إنتابه دوار لحظي.. حاولت فتح الباب و الهروب.. تقدم نحوها بغضب و حاول إمساكها.. نجح و قربها له فتلوت تصرخ بينما تتعالى ضحكاته.. ثم فى لحظة يديها و هي تغرز المبرد الحديدي فى إحدى عينيه بعمق فتفقعها .. تنفجر الدماء حتى تأتي عليها.. يتركها و هو يصرخ بصوتًا عالي.. بينما هي تخرج بسرعة من الغرفة فتصطدم بالأخر .. يحاول أن يُمسكها فيمزق قطعة من ذيل الفستان لكنها تُفلت نحو الصالة و تأخذ المسدس من على الطاولة الدائرية ثم توجه نحوه .

-هتف و هو يرفع مسدسًا اخر نحوها: لن تستطيعي استخدامه..إتركيه .

-لمعت عينيها فى دفاع و حشي حتى لو ستقتله: بلى أعرف.. و دون ان يُدرك الامر صوبت نحو ساقه فأصابتها..أطلق عليها هو الأخر رصاصة أصابتها ليرتج جسدها.. استقرت فى صدرها.. و سقطت كما تسقطُ أوراق الخريف بعد أن كانت فى عنفوان شبابها .

مرت سبعُ دقائق قبل ان يندفع جاسر و عز يقتحمان الشقة البالية فيسقط الباب و يتناثر التراب من حوله.. يرى أثار قدمين ملوثة بدماء فينقبض قلبه..يقترب أكثر ليجدها غارقة فى دماءها..يصرخ حتى عنان السماء يناديها بإنكار ..يحتضنها بين ذراعيه فيجد عينيها متسعتان..بينما يتوقف قلبه..يحملها و هو يصرخ بهذيان..نزل بها الطابقين..ليجد سيارة اسعاف فى إنتظاره.. يأخذونها منه و يضعونها على النقالة..يركب معهم و يعرف أن النبضُ ضئيل و أن التنفس يكادُ ينقطع.

يهرول عز نحو الداخل ليجد الغرف فارغة..ثم يصل لأخر غرفة يجدها مُغلقة يدفع الباب بقوة مرة و اثنتين و ثلاثة و عند الرابعة يسقط بالداخل..يجدها متكومة على نفسها فى ركنًا فيقترب و هو يرفع رأسها

و ما إن يرفع وجهها و يرى ما أصابها حتى تترقرق عينيه..بينما عينيها لا تظهران من الكدمات الزرقاء المتورمة..الصفعات على خدها تظهر..إصبعًا..إصبعًا..و فكها مجروحًا بشدة بشئ حاد..صورتها جعلتُه يستعيد صورة أمه و هي فى نفس الصورة الوحشية من العنف و لكم كان هذا موجع له..يتفقد نبضها فيجده ضعيفًا..ينشبُ حريق الفزع حولهما..فيحاول إفاقتها فلا تُبدي استجابة..حينها لم يتردد ثانية فى أن يحملها و ينزل ليتوجه بها إلى المشفى ذاتها.

تدخل حياء العمليات الجراحية و تدخل وجد العناية المُركزة و ينتظر كلًا منهما أن يحيا مرة أخرى..فرصة أخرى يا الله..و حياتان على المحك فبرحمتك نستغيث!

مرت أربع ساعات و قلوبهم وجلة مُنتظرة.. يجلس جاسر على المقعد الحديدي البارد وبين الحين و الأخر يمسح دموعه التي إنحدرت بينما عينيه مُعلقة على باب العمليات.. يدعو الله أن يُنجيها ..يُريد أن يعوضها..لم يتسنى له الوقت لذلك..أراد أن يخبرها أنها كل ما أراد من الدنيا..و انه لن يحتمل فقدانها أبدًا..لذلك فلتعود له حالًا ليتعارك معها إثر ما فعلته..و سيسامحها لو عادت..والله سيسامحها .

فى ممرًا أخر:

يقف عز يُطالعها من زجاج العناية المُركزة بعينين يظللهُما إرهاق الإنتظار.. يترجاها بقلبُه ان تُبادر بشئ يُطمئنه..فإنه يتعذب لومًا و ألمًا و فزعًا من فقدانها..يجلس على المقعد المجاور حينًا ليردد ما حفظه من القرآن و يعود ليقف أمامها مرة أخرى..و عندما جلس تلك المرة يسندُ رأسه للوراء على الحائط فاضت عينيه كبركانًا ثائر و انتحب بخشونة موجعة كالفقد فجأة..بينما يترجى الله أن ينجيها و ألا يجعلها تتركه كما تركه والده.. و كما تركته والدته.. و جدته !..لم يتبقى له عزيزًا ولا غالي فى الدنيا غيرها..سيموت تلك المرة لو فقدها..لن يحتمل..لقد كانت هي الوحيدة التي لامست قلبه بعد أن عمه الصدأ و الحزن الأسود الذي ما عاد يعرفُ نفسه إلا عندما يراه فى انعكاس عينيه فى المرأة..لقد شعر بمشاعر لم يشعر بها من قبل.. خوفه.. عطفه.. حمايته.. إيثاره لها على نفسه.. حُبها و قُربها الدافئ بعد أن جمدته الوحدة و أثقلت كاهله.. و مشاعر جمة أرقى من أن تعبر عنها الكلمات .

همس بقلبًا منفطر: أه يا الله وحدك تعلم مرارة الفقد التي لازمتني منذُ صغري..لن أقوى على فقدان الجزء الأجمل من قلبي تلك المرة .

فى غرفة العمليات:

-وقف الجراح يُغلق الجُرح بعد أن استخرج الرصاصة فأتى زميلًا له يقول: عُذرًا على تأخيري..الأمر كان طارئً..أين وصلتم ؟

-تحدث من وراء الكمامة بإجهاد فخرج صوته غير واضح بعض الشئ: لقد أخرجنا الرصاصة بصعوبة و كدنا نفقدها و لكن الحمدلله لم تمس الرصاصة قلبها..سبحان الله كانت على بعد انشين من الموت الأكيد.

-هل تخطت مرحلة الخطر إذن ؟

-لا يعلم ذلك الأمر إلا الله..لو كُتب لها عمرًا جديد فيجب أن تفيق فى خلال التسع ساعات المقبلة .

هُناك ترقد على الفراش و قد يأست من الحياة لكن الحياة لم تيأس منها.. بدا السكون و السلام على ملامح وجهها رغم ما ألم به من جروح و كدمات.. و عكس ما كان ظاهرًا من حولها واقعًا.. كان ما خفى بداخلها لهو حقيقي ملموس و حسي بدرجة لم تحيا بها فى الواقع .. فكأنما الحقيقة لم تولد إلا بداخلها .

فى عالم ضبابي لا يمشي فيه البشر على أقدامهم و لا توجد أرض ثابتة.. تختلفُ فيه الثوابت بما تحمله من مادة و معنى و تنقلب وقتما تشاء.. يُمكن للأعمى فيه أن يرى و يمكن للخيال أن يكون هو الحقيقة الوحيدة به .

تقف وچد بقدميها ذات السبع سنوات تتحس الرمال بإبتسامة.. السماء الجميلة مُنيرة.. مُزينة بالسحاب الأبيض المُخملي بينما يعكس البحر لونها الهادئ و يلمع تحت ضوء حبيبته و أمواجه تفترش الرمال.. تتقلص ملامحها عندما تجد فردة حزائها فى الماء فجأة.. تنظر لكفها فترى الفردة الأخرى.. تمشي نحو البحر فى تؤدة تراقبه.. فتجده هادئ و وديع كما هو..تتجرأ و تهرول للداخل أكثر و ما إن يلامسها الماء و يغمرها..يتحرك الزمن بشدة للأمام حتى يتحول كل شئ..

غربت الشمس و تلا شى السحاب..السماء غاضبة.. تبرق و ترعد كأنما تستنكر ما فعله إبن آدم بالأرض.. النجوم انطفأت و القمر إبتلعته الظُلمة..البحر إزداد و علت أمواجه بشدة كأنه أراد أن يُغرق الأرض ليُطهرها..تشدها الأمواج للداخل حتى إختفت الأرض من تحتها ..تقاوم.. و تقاوم حتى تنقطع أنفاسها و تشعر بأيادي تسحبها للأعماق.. لكنها لا تعي أهو البحر ما يُغرقها أم الفراغ المُظلم.

أجدُني أنا بنفس عُمرها أُمسك بذراعها لأفرده و أضع ذراعي فوقه ثم أشدُ على أناملها أشجعها.. و يا للعجب تراني و أراها دون أعيُنا.. أرى روحها و أدرك مكانها بكل حواسي و هي الأخرى مثلي.. تسمعني دون أن أتحدث و تفهم ما تصرخ به روحي لها.. أسبح و أحارب و تحاكيني كأننا مرأةً و انعكاسًا لبعضنا البعض.. وما إن نصل لبر الأمان.. تُمطر السماء مطرًا يُلامس قلوبنا المُنهكة.. أنظر لها فأجدها عادت كما كانت شابة.. تنظر لي فتجدني أصبحت شابة يافعة قريبة من عُمرها.. و حتى ترونني بقلوبكم..

فإن لي إبتسامة بدفء الشروق مع زوجين من العينان الضاحكة.. أقف قبالتُها و أمسك بيديها اتأملُها فى دهشة و ذهول و فضول و لازال الماء يبلل أقدامنا..

-تسألني: من أنتِ ؟

-فاحتضنها و أربت على كتفها و رُغم أنها لا تعرفُني إلا أنها احتضنتني و بكت حتى تعالى نشيجها.. و كان الأغرب أنني بكيت أنا الاخرى و صارت كلًا منا تواسي الأخرى دون حديث حتى هدأنا و إبتعدنا نمسح انوفنا و خدينا ن فرأينا السماء هدأت و قد شقت الشمس طريقها المعهود لتُشرق.. هدأ البحر بعد أن طلت حبيبته و إختفى لونه القاتم يتلون بلونها الذي أنار السماء رويدًا رويدًا .

جلسنا نفرد ساقينا و الموج فى مهده يُبللنا و سمعتُها تقول بإبتسامة و عينيها لامعتان من أثر البُكاء: أنا أحبُ الشروق.. أتفائلُ به و أنتظره بعد كل ليلة.. ليلُها طال.. شكلت كفيها كصحنًا صغير و إغترفت من البحر بعضًا..ثم غسلت به و جهها من أثر الدموع و إبتسمت بحيوية أكثر لتُكمل: أحبُ الشروق مع البحر على وجه الخصوص..إنهما سمفونية فريدة جميلة مُبهجة .

-هل تُحبين الغروب بقدر الشروق ؟

-أجابت تستنكر سؤالي برأسها نافية قبل أن تؤكد بلسانها: لا..لا أحبهُ أبدًا..إنني أكرهه بشدة..رأت فى عيناي السؤال فأجابته: إنني أكرهه لأنه يُمثل النهاية.. الإنطفاء.. الظُلمة.., و أينما تحلُ الظُلمة يأتي العرايا ليتستروا بردائها فيُبعث أصل الفُحش و الفساد و تتغذى أنفسنا فتصبحُ وحشًا لا رادع له ليُدنس كل شيئًا جميلًا نقيًا على الأرض..خفُت صوتها وهي تحتضن ساقيها بإنكماش.

-هل الغروب هو ما تخافينه؟

-نظرت لي قليلًا و هي تزيد من احتضان نفسها : أخافُ نفسي..أخافُ أن أظلمني فأقف أمام الله و أقول يا ليتني ظللتُ ترابًا..و لم أُخلق من طين..الحياة أصبحت قاسية.. مؤذية.. كتلة من الفتن و الإختبارات و أصبحت الدُنيا تلد من رحمها أناسًا أكثر شرورًا و كفرًا من الشيطان نفسه!..و انا اتأثر بهم.. أتدرين ما

يُخيفني..أن أفعل مثلهم.. تغويني الدنيا فأنسى..أو.. أنظر لنفسي بكبر أنني صالحة و ملاك بالنسبة لهم فأتكبر

لأقع فى نفس خطأ إبليس لأنه ظن أنه أعلى من أن يسجد لآدم و لم ينتبه أن كل ما كان له و منه.. هو بفضل الله وحده..أنا أعرف أنني لستُ شيئًا..أعلم أننى لستُ بشئ يُذكر لكي أتكبر..لكنني خائفة أن أنسى..الحياةُ تُرغمنا على أن ننسى.. و أنا خائفة من أن أصاب بالعمى و أنسى فضل الله و أنغمس فى الدنيا و أنسب الفضل لنفسي..فأتغير مع الوقت و أكون مثلهم..إرتعشت يديها وهي تعبر لي بهما .

-ابتسمت لها بتفهم لعلني أمنحها بعض الطمأنينة ثم قلت بعد بُرهة: أنا أحب الغروب و الشروق معًا.. و كلاهما بنفس الدرجة.. لا انحاز لأحد عن الأخر لأنني أعلم المعنى....رُغم أن الشروق عكس الغروب..إلا أنهما نفسُ الشئ بإختلاف سير الزمن.. لو سجلتي الشروق بكاميرا و عكستي شريط الفيديو لوجدته أصبح غروبًا.. إن الشئ و نقيضه يُكملان بعضهما البعض ليصنعان واحد صحيح لكن الزمن هو ما يُعطى المعنى المختلف لكلاً منهما..النهار و الليل.. النور و الظُلمة.. البداية و النهاية.. الخلق و القيامة..إن كلاً منهما يُكمل الأخر و يعطي المعنى له..الروح و الجسد..لا يبقى أحدهم حيًا دون الأخر...

كل شئ موجود ناقص و يحتاج للبحث عن ما يُكمله إلا الله..هو الواحد الواجد..الفردُ الصمد..إن الله واحد كامل لا يحتاج لي أو لكِ أو للجن أو للملائكة أو لحملة العرش أو لأي شئ..إن الله يُحبنا دون حاجة و دون أي شئ نقدمه له فى المقابل..و لأنه يُحبنا يجعلنا نحيا الدنيا لنستحق الجنة..حتى ندرك أخطائنا ونعلم حقيقة الشيطان و الثواب و العقاب جيدًا..كُلنا من آدم و حواء ..و أبناء آدم و حواء كانوا سيأكلون من الشجرة المُحرمة لو دخلوا الجنة قبل أن يستحقوها لأننا حينها لن نكون مدركين لشر الشيطان و كفره و سعيه لأن نكون مثله..ملعونين فى السماوات و الأرض..

هبطنا على الأرض لنُدرك ذلك و نظل فى حرب مستمرة مع الشيطان و مع أنفسنا الآمارة بالسوء و حتى و إن سقطنا مرارًا فنِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب..لا بأس إن كُنتِ تخافين المعصية و الخطأ..لكن لا تجعلي الخوف يُكبلك و يجعلك أسيرة الحُزن و البؤس و الوحدة..ذلك الحُزن سيقتل كل شئ جميل بداخلك سيُغيرك حتى لن تعودي أنتِ..أعلم كم الناس الذين أذوكِ..أعلم أن الدُنيا صارت مليئة بالفتن و المحن ناهيك عن البشر الذين

أصبحوا الشرور و الأذى و الجهل نفسه لكن كيف تظنين الدنيا كانت مع المسلمين فى أول الرسالة..بالطبع كانت صعبة و قاسية أيضًا..منذ أن بدأ الخلق و النور و الظلام بداخل الإنسان فى صراع دائم..قرأتُ نصًا لدكتور مُنذر القباني من قبل..و كان يقول:

" هل أدركت الملائكة بفطرتها السليمة مدى قدرة هذا المخلوق على إحداث الشرور.

عندما سألت ربها: أتجعل فيها من يفسد فيها.. ويسفك الدماء؟ أم أنها شبهته بمخلوق آخر كان يفسد في الأرض؟.. لا أظن أن هناك مخلوق آخر اقدر على إحداث الفساد من الإنسان.. نعم.. هذا المخلوق المستعد لأن يقضي على اي شيء قد يعترض طريقه.. ويمنعه من السير على الدرب المظلم الذي اختاره لنفسه!!

كأن العِلم الذي تميز به الإنسان له جانبان.. جانب مضيء.. وجانب مظلم.. يستطيع من خلاله أن يرفع من قدره.. ويحط من من قدر الآخرين.. و كأنه في صراع أبدي بين الروح الطاهرة التي نُفخت فيه.. والوحل الذي خلق منه..لكن أيُهما يطغى على الأخر..لعل هذا السؤال يُمثل كُنه رحلة الإنسان على الأرض..فهل يشعُ منه نور لكي يُضيئ لنفسه و للآخرين.. أم أن الظلام الدامس الذي فيه.. كثقب أسود يبتلعه.. و يبتلع كل من حوله معه؟! "

-وقفت مشدوها ثم كأنها إنتبهت لشئ ما فسألتني وهي تتراجع للوراء: من أنتِ ؟

-وقفتُ و أنا أُنبهها: لا تخرجي من الماء!

-فهتفت وهي تتراجع حتى خرجت بالفعل: من أنتِ؟!..بينما هتفتُ أنا: نور..أنا نور!

-لكنها لم تعد تراني فور أن خرجت من الماء فنظرت فى إندهاش للبُقعة التي كنتُ أقف بها ثم إختفت هي الأخرى من أمامي .

أقبلت المُمرضة التي تُدعى نعمة على عز وهي تخبره بعطف: لقد أفاقت يا سيدي..زوجتك أفاقت .

لقد ظنت انها زوجته لأنه الوحيد الذي كان موجود طيلة الوقت و لأنه يسألها عليها كلما مرت من أمامه.

تهللت أساريره و انتفض واقفًا وهو يدخل لها بعد أن أعطى ممرضة العناية ورقة مالية لم ينظر لها..كان هُناك طبيب يفحصها فسأله عز بتردد: هل هي بخير ؟

-تعجب الطبيب قليلا لكنه رجح ما فعلته الممرضة فتغاضى عن الأمر: زال البأس..و الحمد لله..لقد أفاقت..لديها كسر فى الذراع الأيمن و شرخ فى الأيسر..بعض الكدمات و الجروح كما ترى لذلك تحتاج لراحة التامة حتى تستعيد كامل عفيتها .

-..بإذن الله...تمتم بعدم تركيز.

-لا تبقى كثيرًا من فضلك..معك ثلاثة دقائق على الأكثر و تخرج .

أومأ عز.. فذهب الأخر و هو يؤكد على الممرضة أن تخرجه فور إنتهاء الثلاثة دقائق..جلس عز أمامها يتأملها وهي تحرك جفنيها ببطء و شفتيها تتحركان كل حينًا دون ان تتحدث من الألم.. وقبل إنتهاء الدقائق..أقبلت عليه الممرضة لتقول:

-سيد عز هُناك أشخاص بالخارج يقولون انهم أهل المدام..و يريدون رؤيتها..فضلًا اخرج لهم و أفهمهم أنها لازالت فى مرحلة حساسة و تحتاج للراحة حتى تستعيد عافيتها .

خرج بسرعة..ليجد والدها سليم ينظر له فى حدة و زوجته منى تسأل بخوف عن إبنتها.

ماذا أتى بهم الأن؟!

خرجت حياء من العمليات و إنتقلت لغرفة العناية أيضًا بينما لهث جاسر وراء الطبيب يسأله عن حالتها..فأخبره بنجاح استخراج الرصاصة..و بقلبها الذي نجى..سأله: متى ستفيق ؟

-فأجاب: يجب أن تفيق بعد تسع ساعات من الأن إن شاء الله..فلتدعو لها و استبشر خيرًا .

فى طريقه للعناية وجد عز يقف مع شخصين و يتحدث معهم..و ما إن لمحه الأخر حتى إتجه نحوه يسأله عن حياء..فأخبره بحالتها و أخبره عز ماهية الشخصين الواقفين هُناك..ربت على ظهره يواسيه فى محنته الجديدة..و دخل العناية المُركزة ليجلس ذات الثلاثة دقائق حتى نادته الممرضة ليخرج..لثم جبهتها و كفها..ثم خرج ليصلي ما فاته من الصلاة و هو جالس دون وعي ينتظر خروجها ثم إتجه لمكانًا ما ينوي شيئًا بينه و بين الله .

عرفهم عز بنفسه..و بإيجاز أوضح لهم ما حدث..حتى تكون الرؤية لديهم واضحة.. أصر والديها على رؤية إبنتهم....دخلوا و رأوا ما أصابها..الأم هرولت على ابنتها وهي تربت على جبهتها و تبكي لاعنة الذي كان السبب..بينما أمسك الأب بيدي إبنته و ملامحه تتغضن ثم رمق عز بنظرات إزدادت قتامة .

عرف عز مغزى تلك النظرات.. إن ينظر له بإتهام..فلابد أن خميس قد إفترى عليه كذبًا متبعًا مثل " ضربني و بكى و سبقني و إشتكى "..صحيح إن الذين إختشوا قد ماتوا!..و بعد فترة إعترض الطبيب على البقاء أكثر .. فقرر سليم أن يأخذ زوجته ليرحلوا..أصرت على المكوث لكنه أكد رفض المشفى و و عدها أن يجلبها غدًا باكرًا..فتنصاع لأمره على المضض وهي متعبة بسبب ضغطها الذي إرتفع..و قبل خروجهم و عز يوصلهم لبوابة الخروج .

-اقترب سليم منه يقول فى جمود: إنتظرني.. سأعود لك..فلنا حديث طويل .

-اضطرب عز لكنه لم يُبين شئ بل أجاب بصدق و ثقة و هو يُخفض صوته حتى لا تسمعه السيدة: سأنتظرك سيدي.. لا تخف على وچد.. سأحرسُها بنفسي.

-أومأ سليم دون أن يُضيف كلمة أخرى .. و ساعد زوجته فى الجلوس على المقعد و دار ليركب فى مقعد القيادة ثم تحرك بالسيارة امام ناظري عز .

بعد ثلاث ساعات حضر سليم.. و بالفعل وجد عز يميلُ للأمام فى جلسته أمام باب العناية بالخارج و يُمسك كوب تنبعث منه الأبخرة.. و ما إن رأه عز حتى وقف و ذهب إليه فى إحترام..جلسوا على المقعد الحديدي البارد و قد بدأ سليم الحديث بوقاره:

-أخبرني بالحقيقة.

-سأل بحرص: حول أي شئ؟

-إنزعج من البداية المراوغة فحك ذقنه الملئ بالشُعيرات الفضية ثم مال للأمام قليلًا و قال بحدة مُكبلة: حولك.. و حول إبنتي.. حول ما قلت لأخي!

-صدق حدسه إذن خميس هو من أخبرهم.. قال وهو يواجه عينين سليم النافذتين: سأحكي لك الحقيقة كُلها..ومعي كل ما سيُثبت حقيقتي.

-أومأ وعينيه تُحذرانه من الكذب أو المراوغة .

حكى له عز كل الحقيقة من البداية لكنه أخفى حكاية خميس.. طبعًا لن يُسئ لأخيه حتى ولو بالحقيقة.. ذلك لن يُفيده فى شئ.. بل على العكس فسيجعل كلامه محض إفتراءات و كذب.. سليم يثق فى أخيه و لن يُصدق الغريب الذي يحاول تبرئة نفسه من الأساس.

-أنهى حديثه قائلًا: أقسم لك أن تلك هي الحقيقة.

-ظل صامتًا لبرهة فى ذهول لأن إبنته تعرضت لكل ذلك و لم يعرف بشئ عن الأمر ثم سأل: ماذا تُريد من إبنتي ؟

-لستُ أريدُ منها شئ.. لقد ظهرت الحقيقة.. أحمد هو القاتل..و الحمدلله أنها نجت.. سأنتظر حتى تستعيد عافيتها و سأسلها بضع أسئلة مهمة فى التحقيق حول إن كانت موجودة أو رأت شئ ما .

-هل اعترف أحمد ؟

-لا.. لم يعترف بقتلها بعد لكن الأمر مُنتهي.. لقد إختطف وجد حتى يقتل الشاهدة الوحيدة.. و هناك شاهد عليه أنه أخر من كان مع الضحية غير أنه من أعطاها الهيروين .

-لماذا خبأت إبنتي و كنت تسعى لحمايتها قبل أن تعرف حقيقة براءتها؟

-لقد خبأتُها لكنني أخبرتُ المُقدم عبد العزيز الشامي بكل شئ حتى يكون على إطلاع كامل بما أقوم به.. و قد وافق على الأمر للخطورة التي كانت عليها.. سعيتُ لحمايتها لأنني كنتُ مؤمنًا ببراءتها .

ظل سليم ينظر له لبضع ثواني ينتظر منه ان يُكمل..إلا أن عز صمت و إحتجز قلبه الذي أراد أن يصرخ "بل فعلت ذلك لأنني أحبُها".

-ضيق سليم عينيه فى حدة و سأل فى خشونة: لماذا ضربت أخي ؟

-ارتبك لثانية فأكثر لكنه استجمع نفسه: لم أكن أعرف أنه عمها..لقد ظننتُ أنه ممن يُريدون أذيتها.. لأنه تهجم على الحراس و أثار شغبًا دون سبب.. لكنني أعتذر لك يا سيد سليم.. و إعتذرتُ له مؤخرًا..و قد تقبل إعتذاري بصدر رحب .

-حقًا؟!..تعجب سليم فخميس لم يُخبره بذلك.. بل على العكس لقد ذم فى عز وقال عن طريق المواربة أنه شخصًا دنيئ ذو نية سيئة لكنه لم يُفسر .

-رأى عز الذهول على وجه سليم فتأكد أن الأخر أخبره عكس ما يقول الأن لكن لا بأس.. قال وهو يخرج هاتفه: يُمكنني الإتصال به الان فورًا أمامك لنسأله .

-إفعل.

-فتح الهاتف و جلب رقم خميس الذي بعثه له إحدى الظباط العاملين معه ثم إتصل.. إنبعثت الرنات الشعبية المستفزة من الهاتف لأنه فتح مكبر الصوت دون أن يطلب منه سليم.. و إذا بالأخر يرد بنبرة غير مرتبة فى النطق:

-السلام عليكم

-رد عز بخشونة أكبر: عليكم السلام يا خميس.. أنا الرائد عز الدين.. هل تذكرني ؟

-إرتجف صوت الأخر كمن إفتعل مصيبة و قد فعل: أهلًا و سهلًا يا باشا.. طبعًا أذكرك..و من الحِمار الذي ينساك..

-أنت تسكن فى شارع (...) ببحري فى الأسكندرية أليس كذلك ؟

-بان عليه الفزع فهتف: نعم..خير ؟..هل هُناك مشكلة حدثت؟

-مشكلة صغيرة فحسب..لقد إعتذرت عن التعدي الذي أصابك مني و لقد رأيت أنك تقبلت إعتذاري يا خميس.. فما الذي جد حتى تُحدث السيد سليم فى الأمر و تزعجه .

-لا..لم أشتكي والله يا باشا..ينشقُ لساني نصفين لو فعلت..أنا أيضًا لم أكن أقصد مضايقتك أو ما..

-قاطعه عز يتحدث بحيادية: السيد سليم أمامي الأن و قد شعرتُ منه أنه تضايق و..

-لا لا يا باشا..لا تأخذ كلام سليم على محمل الجد..لعله أساء الفهم كعادته..أنت سيد العاقلين..تعلم أنني يستحيل أن أعيب فيك .

-طبعًا..أجاب و هو ينظر لسليم يسأله بعينيه وحدها: إكتفيت أم نُكمل ؟..فوجد منه إشارة بالإكتفاء.. أنهى المُكالمة مع خميس ثم سأله: هل تثق فيما قلته لك الان ؟

-أومأ سليم بتوجس و أخبره أنه سيلازم إبنته و لن يتركها أبدًا و فور إنتهاء التحقيقات سيأخذها ليسافروا و لن يعودوا مرة أخرى .

-تشنج حلق عز بعد أن جف و ضرب قلبهُ بعنف من مجرد كلمات توصف ابتعادها عنه فما بالُك بالفعل..لكنه ابتسم بمودة حتى تلين ملامح سليم و أومأ قائلًا: لن تستطيع الخروج من البلاد قبل أن تنغلق القضية و يصدر الحكم وذلك سيأخذُ وقتًا بعض الشئ .

-وقف سليم بصلابة و قال: سأنتظر حتى يصدُر.. و سأتفق مع المُدير حتى يجد لنا غرفة جيدة هُنا فى المشفى لنبقى أنا و والدتها بجوارها حتى تتحسن.. إن والدتها فى حالة سيئة منذُ أمس و لم تنم و تريد أن تكون جوارها و أنا كذالك حتى أحميها .

-أومأ عز فى هدوء: و أنا هُنا لأحميها و أحميكم .. على راحتك سيد سليم .

عاد جاسر ليجد سليم و عز يتحدثان.. أقبل عليهم و حياهم.. فردوا التحية.. ذهب سليم لمدير المشفى.. بينما جلس عز جوار رفيقه يُخبره ما حدث .

-لماذا لم تصرح له بحبك لإبنته.. و ابتغاء زواجها .

-ليس الأن أبدًا.. إن الشكوك تساوره حولي.. لن أؤكدها له .

-نعم.. أنت على حق.. يبدو من نظراته أنه يتهمك بما حدث لإبنته .

-أومأ: بالطبع.. غير ذلك الحقير الذي إفترى علي.. دعك مني.. كيف حال زوجتك

-وجه نظر لباب العناية و قال: ستكون بخير.. بإذن الله.. إنني أرجوا من الله خيرًا بها.

-ربت على كتفه: بإذن الله .

مرت الساعات كحبات العُقد تُفرط و هو ينتظر لكن حريق الفزع لم ينشُب.. إن على قلبه بردًا و سلامًا و إيمانًا يجعلونه هادئ و راضي بما كتبه الله مهما كان..

دخل لها فى منتصف الساعة التاسعة.. و جلس جوارها ثم بدأ يتلو سورة البقرة التي عكف على حفظها مؤخرًا..و هو ينظر للأرض منتظرًا أن تفيق فى أية لحظة.. انهى الجزء الاول و لم تفيق..

دخل فى الجزء الثاني وهو يثبت نفسه على الإختبار و الصبر .. حتى إذا جاءت آية الكرسي على لسانه.. فإذا به عينيه تترقرق لأنه تذكر صوتها وهي تتلوها بعد كل صلاة لقد تعلم الأمر منها.. كان صوتها رقيقًا خاشعًا.. إشتاق له بشدة.. لم يتوقف بل أنهى السورة كاملة و هو ينظر لها..

لكنها لم تفق!

أمال رأسه على حافة الفراش حتي استند بجبهته التي غزاها العرق و بدأ يعاتبها بنبرة مستنكرة حادة و هو يحتضن كفها البارد: حياء كفي عن إخافتي بتلك الدرجة.. إنني أعلم تلك الحركات.. أنتِ لازلتي كما أنتِ تحبين إفتعال المقالب و إثارة خوفي و فزعي عليكِ.

رفع رأسه لوجهها فكان كما هو لكنه قال بنبرة غزاها الكسور و ابتسامة مبتورة الأطراف: ارى ابتسامتك التي تُخفينها عندما يفتضحُ أمرك.. هيا رجاءًا أفيقي و كفى عن ذلك.

بدا الصمتُ يحمل ضوضاءًا مرعبة حولهما.. فإذا به صوت تصفير جهاز ضربات القلب يعلو حتى يصمُ الأذان.. يدخل على إثره الطبيب ليرى أن مُعدل ضربات القلب يعلو!

إقتربت الممرضة وهي تحاول إفاقتها بينما يوصل الطبيب بعض الأسلاك بها.. و كما بدأ كل شئ.. توقف كل شئ!

توقف الصوت ينُم على استعادة تنظيم ضربات القلب و تحرك جفنيها فى رجفة بسيطة لاحظها الطبيب حتى فتحت عينيها بوهن.. بدأت تجد صعوبة فى التنفس فوضعوا لها قناع الأكسجين وهي تسحبُ منه فى نهم حتى استكانت إنتفاضاتها الضعيفة.. إقترب منها و هو يربت على جبهتها فى فرحة ساحقة و عينيه تخلت عن محبسها.. لا بأس فليبكي.. فليرى كل الناس بكاءه.. لا بأس فإنها أفاقت.. زوجته حبيبته نجت و لله الحمد .

مرت ستة أيام.. حدث بها الكثير .. استعادت وچد و حياء عافيتهما.. وفى النهار السابع إنتقلت حياء لغرفة عادية مريحة.. زارها أهلها و إطمئنوا عليها.. أدفئ قلبها كم القلق و الحب الذي رأته منهم و ترقرقت عينيها عندما تخيلت حالهم لو انها ماتت.. إن لها عائلة جميلة بحق رغم الخلافات و المشكلات التي قد تحدث إلا أنها متماسكة مُحبة بها البركة و العشرة التي لا تهون .. وسط الضحكات و المزاح

و رُغم الضوضاء حولهم.. انتبه لها جاسر و عينيها التي تدمع فتوجس و نظر لها يحثها على رفع نظرها له و قد فعلت لتبتسم له ابتسامة رقيقة.. حانية.. لم يكن يعلم أن العينان من المُمكن أن تحتضن و تحتوي خوفه و قلقه لتلك الدرجة .

وبعد أن ذهب الجميع و أقسمت والدتها على أن تذهب للبيت لتجلب لها الطعام (البيتي) حتى يقويها كبديل عن طعام المشفى الذي لا يُسمن و لا يُغني من جوع كما وصفته.

-جلس جاسر بجانبها على كرسي وهو يمسك بكفها يطالعها بتساؤل دون حديث حكت أنفها وهي تتهرب من نظراته و قالت لتُغير مجرى الحديث الذي يريده وهي تشير لنافذة : إنظر .. إن الجو اليوم بديعًا .

-لم يلتفت و هو يشد على كفها و يُطالعها بجدية فضحكت و هي تعتدل فى جلستها أكثر: حسنًا..حسنًا..كُف عن إمساكِ هكذا لن أهرب.

-رمقها بعطف و إقترب منها أكثر : لقد تعافيتي و لله الحمد.. آن الأوان أن تحكي لي ما حدث.. و الذي تهربتي من إخباري به طوال الستة أيام الماضية و أنا صبرتُ عليكِ .

-تشبثت بيده و عينيه و قالت: لم أكن أخبئ عليك شئ أو أتهرب منك .. لقد كان الأمر مروع بحيث إحتجت فترة أستعيد فيها نفسي و القدرة عن الحديث عنه .

-دق قلبُه بعنف يواكب ما ظهر فى عينيها.. حكت له كل شئ فغلى الدم فى عروقه.. جلس بجانبها على الفراش لما وجدها ترتجف و احتضنها يحتويها و يُطمئنها و عندما إنتهت قال بإنفعال: ذلك الحقير الذي حاول لمسك كان يستحق أن تُفقع عينيه الإثنتين..لثم جبهتها و أكمل يسكُب حبه فى عينيها: إنني فخورًا بكِ ياحبيبتي.. لقد تصرفتِ بقوة و ذكاء.. لامها : لكن لماذا لم تُصيبي الرجل الثاني فى قلبه بدلًا من ساقه.. لم يكن ليصيبك حينها.

-رفعت عينيها له و قالت بصدق مُرتجف: لم أستطع..لم أستطع أن أقتله..صوبت نحو قلبه لكنني غيرتُ وجهتي فى اللحظة الأخيرة و أطلقت على ساقه لأوقفه..بدأت تبكي فجأة..ما جعله يزيد من احتضانها و يسألها ماذا دهاها الأن فردت: لقد كُنت مرتعبة و فزعة بشدة..كاد قلبي يتوقف مما حدث..و لقد كان الموت قريبًا جدًا مني..تحاملتُ على نفسي و لم أبكي..الأن أبكي بعد أن مر كل شئ و نجوت..أبكي حمدًا و إمتنان لأنني و وجد نجونا.

-ربت على رأسها و هو يهدهدها: لا بأس..إبكي لتستريحين..أنتِ بخير..لا تخافي .

-ابتعدت قليلًا و كأنها تذكرت شيئًا ثم قالت: جاسر لقد شممتُ رائحة بشعة هُناك..لقد كانت الرائحة نفسها التي شممتُها عندما ذهبنا للمشرحة يومًا للدراسة .

-لعلكِ كنتِ تتوهمين من الخوف.

-عادت لمكانها مجددًا وهي تتمتم: لا أعلم رُبما..هل أمسكتم بهم جميعًا ؟

-نعم.. أمسكنا بهم أمس و اليوم سننهي الأمر أنا و عز و ستنغلق تلك القضية أخيرًا .

فى الغرفة المجاورة:

جلست وچد تستعد للخروج من المشفى.. تنتظر والديها.. دخل كلاهما بعد دقائق احتضنتهم و تبادلوا السؤال عن حالها.. ثم أمسكت بحقيبتها الصغيرة لتخرج لكن فاجأها دخول عز ليحييهم و يطلب منهم أن ينفرد بها قليلًا لأجل بعض الأسئلة المهمة فى التحقيق.. أومأ و خرجوا بينما أرادت هي الهروب معهم .

لكنها على المضض ذهبت لتجلس على الأريكة الصغيرة بالغرفة و ظلت تنظر للسجادة و هي تحتضن قماش فستانها بأناملها تارة و تفلته تارة مُنتظرة ما سيقوله .

-جلس على المقعد المجاور للأريكة و حافظ على المسافة بينهما.. تنحنح ثم تحدث: هل أطلب كثيرًا لو رفعتِ لي نظرك و أنا أحدثُك ؟

-إرتبكت و حاولت رفع نظرها له حتى يتحدث .

-قال و أمواج صوته تعلو فتضربُ قلبها: هل تذكرين أول مرة إلتقينا بها ؟

-لم ترد لكنها لم تُبعد عينيها فشجعه ذلك على الإكمال: أنا أتذكر ذلك جيدًا..عندما اصطدمت بكِ و أنتِ تخرجين من..

-لا..صدرت منها لا هادئة و عينيها باد عليهم تلون الذكرى فأخفضتهما..أكملت مقصدها وهي تبتلع ريقها: تلك لم تكن المرة الأولى التي إلتقيتك بها..رفعت عينيها له و بدا أن البحرين يلتقيان و البرزخ بينهما يتأكل و يذوب..

-أول مرة رأيتك بها عندما كنتُ محتجزة فى الغرفة مع أحمد.. و أنا أصرخ به .. رأيتُك تنظر له من فتحة الباب تنوي الدخول.. تشجعتُ و حاولت أن أخذ حقي منه لكنه صفعني تلك الصفعة التي أسقطتني أرضًا.. إدعيتُ أنني فقدت الوعي.. لم أرد أن أُهان أكثر.. لكنني شعرتُ بك تدخل و تمسكه لتلكمه حتى بثق الدماء.. كنتُ ممتنة لك لأنك دافعت عني.. خرجت

و بعد فترة جاء لي الضابط يُخبرني أنهم تنازلوا عن المحضر و أخلوا سبيلي.. سألته هل كنت أنت السبب دون أن أعرف اسمك.. أومأ دون تفاصيل.. و عندما خرجت اصطدمتُ بك.. و هربتُ من أمامك لأنني

شعرتُ بالخوف..طبعًا فى كل مرة كُنت أراك فيها قريبًا مني فى أي مكان كُنت أرتجف رعبًا منك.. و ساورتني الشكوك حولك فيما إن كنت تتربص بي أو تنوي إيذائي.. لكنني بمرور الوقت إعتدت على وجودك قريب دون أن أبحث عنك و تولد بداخلي شعور بالحماية.. جعلني أطمئن لأنني كنتُ أشعر بالخوف دومًا.. حتى إختفيت فجأة .

أخفضت عينيها بعد أن إنتهت.. تحاول أن تخفي ترقرق الدموع فيهما .

-تغير صوته ولم يعد يُخفي الدفئ فيه: أنا أسف.. لم يكن علي تركك أبدًا .. لم يكن علي تركهم يؤذون أغلى ما عندي.

-لم تسمع أخر ما قاله فى غمرة إنفعالها و أجهشت فى البكاء تخفي وجهها بيديها وهي تلومه: لم تكن هُناك حينها.. لم تنقذني منهم.. إنتظرتك و لم تأتي..أنت لا تعلم ماذا فعلوا بي !

-إقترب وهو يحاول أن يُهدئها بمنادتها : وچد..

-رفعت نظرها و هي تحاول استيعاب العاطفة التي نطق بها اسمها فقال: اهدئي..أنا أسف على كل ما فات.. هل يمكنك أن تغفري لي..أعدك لن أتركك مرة أخرى أبدًا..لن تضيعي مني و لن يمسكِ سوء طالما أنا حيًا أُرزق.

-لا تفهم ما يقوله.. كأنه يتحدث لغة أخرى تعني شيئًا أخر غير الذي فهمته.. يا الله هل يعني ما يقوله حقًا؟!..إنها مذهولة.. لم تفكر للحظة أنه..أنه يُشعر بشئ نحوها!

لقد كذبت عندما قالت لأحمد أنها تُحبه فقط لتنتقم.. لقد فقدت الثقة فى نفسها تمامًا منذُ زمن.. أحمد قتل شعورها بنفسها بخيانته لها.. ظنت أنها لم تكن كافية أو جميلة ليُحبها أحد..

حتى هي لا تحب نفسها بل إنها دومًا ما كانت ترى العيوب ما إن تنظر لنفسها.. فكيف يشعر نحوها بشئ أو يُحبها ؟!..تعالى صوت الإنكار بداخلها..من قال أنه يحبك.. لم يقل ذلك.. لعله يجبر بخاطرك.. عله يتعامل بلطف إشفاقًا على حالتك.

-أخرجه سؤاله من خواطرها المتخبطة وقد هاله عصف المشاعر الذي أصاب ملامحها: أريدك أن تحكي لي ما حدث و لماذا ذهبتِ مع دارين إلى ذلك الشاطئ ؟

-ظلت صامتة لبرهة حتى خرج صوتها مُرتعش خافق: هل تثق بي ؟

-قال بجدية حانية: أكثر مما أثقُ بنفسي يا وچد .

-ضربت جملته أعماقها بقوة ارتجفت لها و همست بذهول باكِ: لما ؟

-أخافته نظرتها و كأنه تقول له أنه مُخطئ فأجاب: إن لم يكن أنتِ من أثقُ به فمن إذن ؟

-كررت سؤالها بعينيها و قد توقفت الدموع مترقبة : لما ؟

هل تطلبُ منه البوح.. هل تُطالب عينيه بالحقيقة.. إن عينيه صريحتان تبوحان منذُ الدقة الأولى.. فماذا دهاها تحاول إنكار ما تراه بقسوة لا يحتملها قلبه.. لماذا يرى بعينيها الخوف بدلًا من اللهفة لإعترافه.. ألم تشعر به ؟!

ألم ترى كل أفعاله التي تُقسم بحبُها ؟!

رمى بنظره بعيدًا عنها بقسوة يحاول استعادة إتزانه مُتخذًا بعض الهواء لرئتيه حتى لا يتهور و يعترف..لا يُريد ذلك الخوف و الإنكار بعينيها.. يُريدها أن تختاره كما إختارها.. يُريد منها أن تعرفه كما عرفها.. إنه يعرف عنها الكثير و الكثير و هذا ما يجعل حُبه عن علم و ليس عن جهل.. لم يُحبها فى يومًا و ليلة.. كذالك لن يجعلها تحبه غصبًا فى الحال..

لا بأس فإن الصبر على الحبيب كأكل الزبيب.. ابتسم على تعديله للمثل الأصلي " ضرب الحبيب زي أكل الزبيب " الحق أن تعديله أوقع ذا رنة محببة على مسامعه .

-نادته بخوف: عز ؟

-رمقها باستنكار طفيف حتى تراجعت تعتذر عن منادته دون ألقاب: أقصد سيد عز..أنا أسفة لم أقصد..أن

-قاطعها بجدية: لا عليكِ يا وچد..هل يمكنك الإجابة على سؤالي الأن ؟

-هل ستصدقني؟

-تأهب فى جلسته: لا تخافي.. و قولي الحقيقة..و تأكدي أنها مهما كانت فلن أتخلى عنكِ.

-استجمعت شتات نفسها ثم بدأت تحكي له و صوتها يعودُ بالزمن .

يوم الخميس الموافق ٨/ ٧

أخر يوم بالإختبارات النهائية..

عادت وچد من الجامعة و هي مُنهكة ; فنامت حتى السادسة مساءًا.. أيقظتها حياء بعد عناء و هي تلحُ عليها لتتجهز.. فإن أصدقائها قد رتبوا لنُزهة رائعة حتى يرفهوا عن أنفسهم عناء الإختبارات..

لكن وچد رفضت مُعللة الأمر أنها مرهقة و الصداع يكادُ يفتك برأسها.. لكن السبب كان شيئًا أخر ;إنهم أكبر منها بعام كحياء.. أصدقاء فرقة واحدة.. إن وجودها لن يكون مهمًا أو مؤثرًا.. ستجلس لتتراشق الكلمات من حولها فى حماس بينما هي تغوصُ فى مقعدها تتمنى ألا يلحظ وجودها أحد.. أو ستحاول فهم الموضوع الذي يتحدثون عنه فيخبرونها أن لها قصة طويلة أو أمر يصعب شرحه.. شئ من ذلك القبيل..

بيتُ القصيد أنها ستكون وحيدة معهم.. غير أنها تكره الإزدحام و الصخب و صوت الفتيات وهم يتحدوثون فى سرعة تفوق سرعة الضوء ..لذلك رفضت الذهاب .. صنعت قهوتها المُفضلة و قررت أن تقرأ تلك الرواية التي إشترتها من على أحد الأرصفة.. طبعًا أخذت عشرة دقائق لتجدها لأنها خبأتها من حياء و نسيت مكانها.. خبأتها منها لأنها تحرق الأحداث لها إن قرأتها قبلها .

كانت رواية ذات غلاف مُميز و عنوان غريب لم تفهمه.. جذبها كلاهما منذُ الوهلة الاولى..لا تذكر الإسم لغرابته .. لكنها تتذكر الغلاف.. لقد كان لإمرأة تضع أحمر شفاه نبيذي تبدو شاحبة كالموتى.. يلتفُ حول رقبتها شعرُها الأحمر و لا تظهر عينيها و نصف وجهها العلوي.. تغوص فى مياه راقدة رمادية و يعلو رأسها بدرًا صغير و رسمة اليدين المشهورة لميكل أنجلو .. تحمست لها و قبل أن تقرأ كلمة واحدة .

سمعت طرق الباب لتجد دارين تبدو فى حالة إعياء شديدة أو هكذا أقنعتها.. دخلت و دموع التماسيح تُزين وجهها و جلست على أقرب كرسي تطلب بعض الماء.. جلبته وچد لها على الفور و سألتها ما هُنالك.. اجهشت الأخرى فى بكاء مُلطخ بسواد الكحل يشوبه الزيف.. لكن الحزينة لم تلاحظ ذلك بالطبع.. إن

الطيبون لا يلاحظون شئ رُغم ذكائهم فى الحقيقة حتى تطولهم النيران.. بكل سذاجة يبررون حتى تُحرق قلوبهم.. ثم يجري كلًا منهم بالرماد يبكي ليلاه .

أقنعتها دارين أنها تمرُ بحالة حزن شديدة و قد سئمت الحياة التي ظلمتها!.. تقنعها أنها لم تُرد أن تكون بهذا السوء.. و أنها تريد منها أن تسامحها!..لقد وضعتها فى حالة تشوش و تخبط كبيرة.. إنه لشئ مهيب و مُربك أن ترى أحدًا ذات جبروت و قسوة يبكي أمامك يُريد غفرانك.. و الحق كل الحق أن وجد واستها و قالت أنها ستحاول مسامحتها.. فإبهجت الأخرى لتطلب منها أن يذهبوا لمقهى جميل قريب حتى يبدأوا صفحة جديدة.. و بعد إلحاح و ضغط عاطفي عليها وافقت .

ركبوا سيارة دارين و مر ربعُ ساعة و لم يصلوا.. سألتها وجد هل المقهى بعيد فأجابت بجمود به نبرة ودودة لكنها مُرعبة-إنها ذات النبرة التي يتحدث بها الطفل الملعون فى أحد قصص ستيفن كينج-:
لا يحبيبتي.. إنني فقط أخذت طريقًا أطول حتى نستمتع بالتجول بالسيارة معًا .

-أومأت لها بابتسامة دب فيها القلق.. و فتحت حقيبتها لتخرج الهاتف.. لكنها لم تجده !..إنها متأكدة أنها وضعته فى الحقيبة..أين هو إذن؟.. قلبت محتويات الحقيبة فى حجرها تبحث بجنون حتى شعرت بالذعر فجأة عندما توقفت السيارة.. نظرت حولهم فلم تجد أثر لبشر و لا حياة.. حتى الضوء الذي يأتي من مصباح الشارع الهرم كان شحيحًا يجعل العين بالكاد تُميز ما حولها .

-سألت و هي تبتلع ريقها تحاول أن تُقنع نفسها أنها لم تكن بهذا القدر من الغباء و السذاجة: ما هذا المكان يا دارين ؟..لماذا جلبتيني إلى هُنا ؟

-ابتسمت بإتساع دون أن تُظهر أسنانها التي إحتكت فى قسوة متشفية بذلك الرعب الذي يلمع في عيني وجد و أمرتها وهي تخرج من السيارة و ترزع بابها بنزق: تعالي!

-خرجت وچد من السيارة وهي تلحقُ بها.. بينما هرولت الأخرى لداخل الظلام من البوابة التي تعلوها لوحة كبيرة صدئة مكتوبًا عليها "شاطئ ٧ ٨.. محظور مُغلق ".. جرت ورائها تحاول أن لا تبقى وحدها بينما يتضاءل النور حتى يكادُ يخبو ظلها المُهرول.. تقف فجأة من التعب وتميل فى وضع الركوع و هي تتنفس بإجهاد.. تنتبه أذنها للصوت الغاضب العارم جوارها.. إنه موج البحر !

ترتجف وهي تنادي دارين لكنها لا ترى أحدًا.. و لا تميز معالم.. إنها بالكاد ترى كفُ يديها تحت ضوء القمر الشاحب.. تنظر للوراء تفكر فى العودة لكن ماذا إن ضلت طريقها!..هوت بنفسها على الأرض بينما تلقفتها الرمال فى مواساة..

أخفت وجهها بيديها و هي تُغمض عينيها تحاول مقاومة نوبة الهلع التي تكادُ تصيبها.. إنها تشعر بنفس الشعور الذي تشعر به فى كوابيسها.. عيون كبيرة بشعة المنظر تُحدق إليها من كل حدبًا و صوب.. صوت دقات قلبها المهترئ يحارب صوت همسات لعينة حادة.. تحتد حتى تصبح صرخات متوجعة.. تمسك أذنيها بيديها ظنًا منها أن الأصوات تنبعثُ من الخارج لكنها تجدها أقوى لأنها من داخلها!

إن صوت

الوهم

الذكرى

الخطيئة

اليأس

الكُفر

لهو صوتًا يأتي من الداخل و على كيانُك كله أن يتحد فى صرخة تحمل

طهارة الروح

إيمان القلب

عقابُ القدر

رجاحة العقل

لتنطلق حتى عنان السماء تطلبُ العون!

وقبل أن يتوقف قلبُها من الرعب.. سمعت صوت شيئًا ما و دوى الضوء الباهت فى كل مكان من حولها.. فتحت عينيها فى تمهل و هي تبحث عن دارين حتى وجدت ظلها المُتمايل بجوار ما يبدو عليه أنه مفتاح الإضاءة .

-صرخت وهي تقترب منها: دارين !..لمااذا نحنُ هنا ؟..أرجوكِ أعديني للبيت.. أنا أخافُ البحر و الظلام.م..تئتئت فى أخر كلمة لا تصدق ما تراه عن قرب فتسألها فى هلع: دارين!..ما هذا الذي ترتدينه؟!!..ولماذا أتيتي بي هُنا ؟

-ضحكت الأخرى فى استمتاع و قالت و هي تدور فى مكانها: إنه رداءُ الحفل!..ألا يُعجبك؟!

-لا..إنه عاري لا يصلحُ إرتداءه !..و عن أي حفل تتحدثين؟!

-مطت شفتيها فى إزدراء ثم مشت للأمام قليلًا تستعرضه فيرنُ خلخالها و الأساور التي بيديها: إنه رداء خاص لحفلات الشواء ذات تصميم بدوي بديع كما ترين..جلست على الرمال ثم أكملت وهي ترجع خصلة شعرها للوراء: تتسألين عن الحفل..إنه حفل للأصدقاء المُقربين فقط.. سنستمتع معًا .

-لا.. أرجوكِ يا دارين.. أنا لا أريد.. أعيديني لغرفتي.. أرجوكِ..ترجتها بيأس.

-و قفت وهي تنفضُ الرمال: حسنًا سأرجعك و لكن..ابتسمت بقسوة: لنستمتع بعض الوقت .

-صرخت بها و قد فقدت السيطرة بهيستريا بينما صوتها ينتحب: لا ااا أرجووووووكِ يا دارين..لا تُجبريني على البقاااااء..أعديني أرجوكِ..أرجوكِ..أتوسل إليكِ..أشهرت دارين يدها فى إشارة لها ..قبضت وجد على يدها تُقبلها فى خوف و ذل . ونظرت لها تنتظر جوابها .

-إلا أن دارين ابتسمت أكثر و قد تلونت عينيها بسادية متلذذة ثم فى لحظة صفعتها على وجهها لترتد الأخرى على الأرض وهي تهتف بها و تضحك بفجور: ههه أُعيدك!..هل أنتِ مجنونة؟!..لقد تعبتُ فى تمثيلي عليكِ حتى أحضركِ إلى هُنا..ثم بهذه البساطة أتركك!

أتى صوت أقدام من خلفهم فإلتفتت دارين لترى أحمد و قاسم و سمر قادمون فى إتجاههم يحملون صندوق مخصص لحفظ الحرارة يضعون فيه الخمر و الطعام و كل شئ يحتاجونه.. إقتربت منهم تحييهم بينما وجد لازالت على وضعها لم تتحرك .

-هتف أحمد بذهول: وچد!..ماذا أتى بها هُنا؟!

-اتجهت دارين إليها بفخر و رفعتها عن الرمال من ذراعها لتقول: أتت بأقدامها طواعية معي .

-هذا يستحيل..هتف بها أحمد بغضب بينما كان الضيق على وجه سمر و قاسم يطفو .

-أمسكت بفكها بقسوة وهي تهزها: أخبريه يا حبيبتي.. أنكِ أتيتي طواعية بقدميكي الجميلتين!

-ترك أحمد الأشياء التي بيده و اقترب منها ينهرها: دارين..إتركيها..لماذا أتيتي بها هُنا..هذا ليس مكانها..سأعيدها الأن .

-دفعته بقوة ليتراجع للوراء بينما صرخت به: تُعيدها!..لا دخل لك بها يا أحمد..إنني جلبتها حتى أرفه عن نفسي قليلًا .

-اقتربت سمر تحاول أن تقنعها: دارين..ماذا تفعلين..ألم تنتقمي منها قبلًا..لمااذا أتيتي بها هنا ؟

-أمسكت بشعر وچد بقوة تشده يمينًا و يسار وهي تقول: جلبتُها لأستمتع قليلًا..ماذا دهاكم لا تفهمون؟!!

-حاول الجميع أن يجعلها تتراجع عما تفعله إلا أنها هددتهم وهي تمسك رأس وچد: ابتعدووا..سأقتلها أقسم!

-تراجع الجميع خطوتين للوراء.. إنهم يعرفون دارين و يعرفون أنها بحركة واحدة يُمكن أن تقتلها.. فهي مريضة نفسيًا بمرض السادية و عصيانها سينتج عنه الكثير من الخسائر .

-جيد..جيد..أنتم مطيعون جدًا و لذلك لن أقتلها..سأستمتع قليلًا فحسب..لكن لو تدخل أحدكم سأقتلها أولًا..ثم أقتله..تهادت الكلمات و هي تخرج فابتسمت فى شطط .

خلعت حجاب وچد ثم أمسكت ببضع شعرات فى مفترق الرأس بأظافرها الطويل ثم شدتها من جذورها بقوة.. جعلتها تبكي و تصرخ بتوسل يُقطع نياط القلب.. كررت الأمر ثماني مرات.. و كل مرة تضحك بمتعة أكبر .

-حتى صرخ بها أحمد لكنه لم يقوى على الإقتراب: دارين أرجوكِ.. يكفي!

-دفعتها للأرض و هي تقترب منه و تدفعه فى صدره تضحك ضحكة ماجنة: ماذا..يا سيد الرجال؟!..هل خرج لك صوتًا أخيرًا..إنه قوي بحق شعرت بركباتاي ترتجف من الخووف .

-أمسك بمعصمها لأول مرة بعصبية: يكفي يا دارين.. يكفي أرجوكِ.

-هتفت به بشهقة: فلتذهب يا روح أمك..إذ لم تحتمل رؤية حبيبة القلب و أنا أعذبها!

-تمتم ببرود وهو يتركها ليهرع إلى الخارج: مريضة!..بينما لحق به سمر و قاسم خوفًا من أن يُبلغ الشرطة أو أي أحد .

صرخت هي: سأريك من هي المريضة يا روح أمك..سأعلمك الأدب كما الماضي يا نجس..ماذا أقول..ذيل الكلب لا ينعدل أبدًا!

أمسكت بوچد التي كانت تبكي فى استسلام و ألم وهي تتمنى أن تفيق من هذا الكابوس المرعب.. ثم جرتها نحو الماء حتى صار عند خصرهم.. وما إن استوعبت وچد حتى إندلعت نيران المقاومة و الفزع فيها وهي تحاول التحرر من دارين.. لكن الأخرى لم تمهلها الفرصة بل أمسكت برأسها تُغرقه فى الماء بقوة..
صرخت وچد بعنف كاد أن يهتز له المكان.. و كأن صوتها كان قويًا حتى يأتي على إثره الشياطين فتنفجر المصابيح واحد تلو الأخر.. لكن بقى واحدًا عليل يرتعش فى عجز على ما يحدث أمامه بينما ترون البحر يزأر و يفيض.. تسود الرمال من سواد الخطايا و الآثام و تلتمع بعضُ الحمرة فوقها كأنها جمرًا يتلظى.

أجلسُ على الفراش و أُمسك بدفتري العتيق ذا الأحاديث الخاصة.. ألتفتُ إلى النافذة عندما أسمع صوت الأمطار الشديد يتساقط إن الشتاء حل سريعًا هذا العام.. لازلنا فى التاسع من أكتوبر.. أرتجفُ من الداخل بعض الشئ عندما أسمع رعدة قوية بالخارج فأرشفُ بعض الكاكاو الدافئ من الكوب بيدي و اتدثر أكثر و أنا أنادي الدفء لأناملي الباردة.. ثم أضع الكوب بجانبي على الطاولة الصغيرة و أنتبه و أركز حواسي كُلها نحو ما سأفعله و أكتب .

البحر

أريد إغراق نفسي به حتى يهدئ بالي وأشعر بالسكون ..اغسل قلبي من كل تلك الذكريات المؤلمة والخذلان والألم..

أغوصُ فى الفراغ عسى يتوقف التفكير ويسكن العقل..أتلهف لسماع نبضات قلبي تحت الماء تتسارع عساني أصدق أنني لازلت أنتمي لأولئك الأحياء..

أريد أن تتخللني الماء الباردة عساني أشعر بدفء جسدي وبرغبته في الحياة..أختنق من الماء وأصارع لأحيا عسى يهون كل ما أواجه الآن إن واجهت الموت!

تنهدت بعدما انتهيت .. نصًا أخر مؤثر دون أن أبدأ فى كتابة روايتي الأولى .. إنني أُجيد التقمص و الأفكار تتزاحمُ فى عقلي.. لدي حبكات قوية لكنني أفتقر للثقة و الشغف و الدافع الذي يجعلني أبدأ بالفعل .

شعرتُ بالبرد أكثر فأطفأت النور وتدثرت جيدًا.. ثم أتت بعقلي خواطر الليل .و أكثر ما يثيرُ عقلي هو ذلك الأمر الغامض -الإسقاط النجمي - الذي بدأت البحث فيه مؤخرًا .لأنني و بلا فخر أُعاني أحد أنواعه :

يُشار إليه بتجربة الخروج من الجسد.. وهو مصطلح أكثر حيادية لوصف الإحساس بالشعور كما لو أن الوعي أو الذات تكون في مكان آخر من مكان الجسم الفعلي.

إن آخرون يصفونه بأنه إنفصال الروح عن الجسد إلا أنني أشعر ببعض التهويل فى تلك النقطة.. العلماء و الأدباء و الفلاسفة على مر التاريخ لم يستطيعوا الإقتراب من الروح أو حتى فهم الغموض الذي يُحيطها.. لذلك كل النظريات عنها تفتقر إلى الإثبات العلمي و الدلائل .

لقد اختبرتُ بعض الظواهر التي لا استطيع ان اجزم لأي نوعًا من أنواع الاسقاط النجمي تنتمي

النوع الأول هو. الحلمُ الواعي.. لقد إختبرتُه لكن دون عمد..فى أيامًا خاصة ومعدودة حدث لي .. أحلم و يكون عقلي واعيًا أنه حلم .. فى الغالب لا أكون فيها مرئية للأشخاص من حولي و أكون فى هيئة أثيرية كالأشباح.. أتابع ما يحدث فى صمت و أحاول التفسير و التحليل حول ابتداع عقلي الباطن للحلم نفسه .. لكنها لا تُفسر ولا تشبه أضغاث الأحلام فأنا أجيد التفرقة بينهما .. هي حقيقية للغاية وفى الغالب تكون كحياة كاملة لأحدهم لكن مع الأسف أغلبها يتلاشى فور استيقاظي و لا أستطيع تذكرها كأحداث متسلسلة مهما حاولت..فقط لقطات مشوهة أو ظلامًا دامس.

فى أحيانًا أخرى أشعر بنفسي محبوسة داخل أحد الأشخاص بالحُلم.. واعية بالحلم لكنني لا أستطيع التحكم فى هذا الشخص إلا عند الطوارئ ; يعني ذلك أن يتحول الحُلم إلى كابوسًا حي.. يجبرك على الشعور به كما لو أنه واقعي بدرجة مؤذية .. حيث تشعر بالأمر حقيقةً و يبدأ وعيكَ يخبو.. فور شعوري بهذا

أحارب بشراسة لأتحكم فى الجسد الذي سجنت به حتى أستطيع التمكن من تغيير مسارالحلم و أقلب موازينه و ما إن تختل واقعيته حتى يخسر هدفه و قصته و أتحرر حينها و أصحو .

الثاني هو التخاطر و ليس كما هو شائع بين الناس أن التخاطر هو جلب الحبيب .. إن الأمر أبعد من أن يكون بذلك الشكل المُبتذل .. شريحة من الدجالين النصابين الجهلة يستخدمون مصطلح التخاطر بطريقة خاطئة للغاية مُدعين العلم.. إن التخاطر و هو الانتقال عن بعد للخواطر و الوجدانيات .. وغيرها من الخبرات الشعورية المعقدة من عقل إلى عقل .. وتعني التواصل العقلي عن بعد.. إنه لغة اتصال واضح من عقل إلى آخر.. كما أنه يعد حاسة سادسة تمثل قدرة لالتقاط أفكار الآخرين غير المنطوقة وأحاسيسهم.. إنني أؤمن به لكن فى نطاق محدود وليس كما يصوره بعض الناس كقوة خارقة .

الثالث هو الرؤية عن بعد-الجلاء البصري يمكن تسميتها كذلك بالاستشعار عن بعد.. وهي القدرة على وصف حادث ما يقع في مكان بعيد لا يُرى بالعين المجردة.

الرابع هو الخروج من الجسد هي ظاهرة يدرك فيها الشخص العالم من مكان خارج جسمه المادي وهو فى الصورة الأثيرية.. هالة الطاقة التي تُحيطه.. لم يُجزم أحد بأنها الروح لعدم إدراك كُنهها لكن البعض يرجحون أنها هي و الصورة الأثيرية و الطاقة شيئًا واحد .

لقد حاولت تجربة الخروج عن الجسد كثيرًا لكنها فشلت فشلًا ذريعًا.. إن أغلبية الذين نجحوا.. حصل معهم الأمر مصادفة و دون عمد وذلك ينفي إمكانية حدوث ذلك بالمحاولة..لذلك فلأنفض تلك الخواطر عن رأسي حتى أنام..يجب علي ذلك فأمامي أمورًا..مهمة..جدًا..غدًا..

ظلام فارغ و أسقط من علو شاهق حتى أرتد فى ماء بارد كالجليد.. أرتجف و أشعر بالصقيع يجمدُني عندما تغمرُ الماء كياني ثم أشعر بأحدهم يُمسك بي ليغوص فى الماء المالح .. تنقطعُ أنفاسي و أنا أصارع بذلك الجسد الذي لا يستجيب!..ليس جسدي.. إنني لستُ أنا!..اللعنة أكادُ أموت معه..

أحاول أن أتواصل مع عقل ذلك الجسد فأجده فى حالة منفصلة من عرض ذكريات مؤلمة له.. أتألم أيضًا كأنها ذكرياتي و أحاول الهروب للقلب فأجده يتباطئ فى استسلام.. أشعر بإرتجاج الروح.. فأتألم بشدة و أعلم أن الأمر يؤول إلى منطقة خطرة.. أُجاهد حتى أستطيع أن أتحكم فى بعض أجزاء الجسد و أدفع المُمسك بي بكل قوتي و أغوص لأخرج الرأس من الماء و فيشهق الجسد عاليًا..

أنظر للجسد فأجده لشابة.. إن وعيها ضعيف.. يكادُ يسقط جسدها مني فى أي لحظة إنني أحاول دعمه بأكثر ما أستطيع حتى أخرج من الماء لكنني كنتُ أفقد تواصلي كلما خرجت.. سقطنا على الشط و إنفصلنا.. حاولت السكون حتى أستطيع شحذ طاقتي.. فوجدت إمرأة تخرج من الماء تنظر نحونا و الغضب يتطاير من عينيها.. يبدو أنها هي من كانت تحاول إغراقها

سكنت قليلًا حتى أدركت كونه حلمًا .. لكنه كان واقعيًا تلك المرة أكثر من الواقع نفسه.. إنني كدت أن أفقدني و أنا محبوسة بداخل تلك الفتاة!..فماذا يحدث ؟..أركز فى التفاصيل من حولي فأجدها حادة حقيقية و حسية و أقسم أنه يستحيل أن يكون حُلمًا..يرتعد كياني لفكرة الإسقاط النجمي ؟!..هل يُمكن أن يكون هذا هو الإسقاط النجمي؟!

هل نجحتُ به؟..كيف حدث لي؟..و كيف سأعود؟..و أنا لا أعرف كيف جئت ؟..و من اؤلئك الأشخاص ؟..إنني لا أعرفهم !

سمعتُ المرأة تصرخ بها و هي تُمسكها من شعرها: كدتُ أغرق يا حقيرة كيف تجرؤين على دفعي هكذا !

ضحكتُ فى بله غير مصدقة ما تقول: إنها تلوم الحزينة (هكذا اطلقت عليه إلا ان اعرف اسمها) على دفاعها عن نفسها لتحيا.. من تلك الساحرة الشمطاء؟!

بدأت الشمطاء فى صفع الحزينة و ضربها بقسوة آلامتني دون أن أكون متصلة بها.. كيف تتعامل بتلك الوحشية.. حقًا إن الإنسان عندما يتوحش يكون أسوء من الشيطان .

فجأة تغير ريح المكان.. شعرتُ بالإختناق و الظلام ينبعث من الشمطاء حتى يكاد يبتلعنا جميعًا بينما هي تضحك فى استمتاع.. أنا أعرف تلك الأصوات.. و العلامات من حولي.. أعرف الثقل القوي فوق قلبي و إختلالي فى هذا العالم متى يحدث..يحدث عندما يأتي دخيلًا.. الدخيل ليس إنسان.. و لا فكرة و لا إسقاط من العقل الباطن.. إن الدخيل لهو شر و سوء و وسوسة .. اعتدتُ دومًا بأن أهرب من مواجهة تلك الكيانات حتى أستطيع الإستيقاظ.. وهذا ما فعلته.. تركت الفتاة خلفي لأُقنع نفسي أنها مُجرد شخصية فى حلم.. و أن هُناك ما هو أسوء ينتظرني لو بقيت.. يجب أن أجد المخرج من هذا الكابوس قبل أن أصدق بحقيقته و أُسجن داخل واقعه للأبد!

لم أجري.. بل تخليتُ عن انجذابي للأرض حتى إرتفعت و طرت أحاول إيجاد تيار هواء يدفعني بعيدًا عن هُنا.. لقد تعلمتُ بعض الأشياء القليلة فى هذا العالم و هي أن أقوى سلاح به هو التُخيل الحقيقي مع بعض العلم حول كل شئ فى العالم الواقعي .

لم أكد ابتعد حتى شعرتُ أنني اسحب بشدة و فى أقل من ثانية عُدت فى سجن جسدها مرة أخرى.. أقاسمها الألم و هي ليست هُنا.. إن وعيها مختبأ لا يُريد أن يخرج..الدخيل يقترب و لم يعد هُناك بديلًا.. عرفت أن تحكمي فى جسدها يزداد كلما كنتُ داخل الماء أكثر لذلك دخلتُ مسافة امان و حاولت تلبس جسدها و أنا أبحث عن وعيها المُختبأ.. عساه ينجدني و يُخبرني حقيقة هذا العالم .. ارتعبت و أنا أجد الكيان يقترب بينما الظلام يبتلع المكان حولنا..

إلتفتُ لأرى الشمطاء تقترب تنوي شرًا.. إنها لا تراه و لا تشعرُ به.. إذن هل ما أعيشه هو اسقاط نجمي ؟..لو كان حلمًا لرأته مثلي و هربت.. فأشخاص الحُلم الواعي يرون ما أراه فى العادة.. إرتجفتُ للفكرة و عرفتُ أن تلك المرة المخاطرة بحياتي.. يجب أن أتعامل بحذر و أن أُغلق العينان و أتحاشى التواصل المُباشر معه تحسبًا إذا استفاقت فجأة عندما يواجهنا ذلك الكيان .

شعرتُ بالشمطاء تُمسكني لأمسك ذراعها و الويه ثم أنقض عليه بأسناني أعضها .. فتصرخ و تنسال الدماء.. أشعر بطعم الدم فى فمي فأبثقه و أرفع كفي المُلطخ لأعلى تحت ضوء القمر.. فأرى الدماء واضحة!..ليس حُلمًا!..إنني أستخدم رؤية الدماء حتى يفسد الحُلم و أستيقظ!..لكنني لم أفعل..قربتُ كفي لأنفي أشتمه.. فتأتيني رائحة الدماء!

دليلًا أخر على أنه ليس حُلمًا..إرتعبت بينما ظلت تصرخ الشمطاء بألم كبير و كأنها لم تتعرض للعض فى حياتها.. الحق أنها تستحق .

شعرتُ بسخونة الجو و عرفت أن الكيان خلفي.. أغمضتُ العينان و الحواس حتى لا تموت صاحبة الجسد إذا استفاقت فجأة.. و فتحت عيني الثالثة دون تواصل مباشر إنها شعورية تشعر بما حولها.. آلة التواصل الحذرة هُنا.. أجدتُ استعمالها فى الحلم الواعي عند شعوري بالخطر.. شعرتُ بأنني أطفو و عرفت أن الشمطاء كذلك.. إنها تصرخ مُرتعبة لا تعرف ما يحدث لم أسمعها بل التقطت عيني الثالثة ذبذبات صرخاتها .. بينما أنا أرتجف بعمق من كل كياني.. أشعر بالثقل و الاختلال ثم تصلُني ذبذبات خشنة مرعبة فى عقلي دون صوت:

من أنتِ ؟

لم أرد.. لن أتواصل معه بأي شكل من الأشكال حتى لا يخترق وعي.. إنني لا أعلم ما حقيقته.. جن.. شيطان.. مارد.. أو كيانًا أخر لم أقرأ عنه و لم يُكتشف بعد.. لقد قرأتُ أنهم بارعون فى الوسوسة و إختراق العقول و إختلاق الأوهام.. لن أخاطر أبدًا .

لم أبدي استجابة فيبدو أنه ظنني أحتضر .. الحق أنني أشعر بأن جسدها سيفعل قريبًا.. إن الجسد لا يحتمل ذلك الإختلال الذي يصيبه.. وعيًا غير وعيه يُغلق الحواس و يحاول جاهدًا التماسك.. لكن إلى متى سأحتمل فأنا أُستنزف أيَضًا من ذلك الوضع.

شعرتُ بذبذبات المُحيط من حولي تتغير.. إنني فى وسط مُختلف.. لكنني لم أحاول تشغيل أيً من الحواس.. إن الأمر لازال خطرًا.. سأحاول الصمود أكثر لبعض الوقت حتى تختفي ذبذبات الكيان .

لكنني فقدت السيطرة .. فتم الفصل عنها فجاة كما حدث الإتصال فى البداية فجأة حاولت التواصل مرة أخرى لكن يبدو أن عقلها عاد يعمل بشكل كامل.. وجدت نفسي فى الهيئة الأثيرية كما كنت و رأيت جسدها على الشط و لم تصحو بعد.. جيد.. بحثت عن الكيان فوجدته على بعد فوق الأمواج يمسك بالشمطاء و يُثير رعبها.. إذن فهو ليس قويًا كفاية ليراني أو يشعر بوجودي.. يجب أن أبتعد أكثر حرصًا.. لكنني لم أفعل بل فضلت الإختباء و قد استحوذ علي الفضول لأعرف ماذا سيفعل بها و ما هو مراده ؟

و كما توقعت.. إنه كيانًا ملعون شعرتُ بذلك بعيني الثالثة.. و بكل تهور قررت الإقتراب أكثر لأشهد الامر

و على عكس ما توقعت رأيتُ الأتي:

تجسد الكيان ماديًا فى الوسط المرئي للعين المُجردة بعد أن إنقسم لإثنين كيانًا بشع يبدو مرعب.. و بشر فى هيئة ذكر لكنه يبدو جميل المظهر .. مثالي.. بدا أن الكيان يُمثل عليها مسرحية ما!..إن الذكر يُقنعها بأنه فى صفها و يحميها بل و يحارب البشع الذي يحاول آذيتها!

ذُهلت مما أراه.. لقد ظننته سيتعامل بعنف لكن يبدو و كأنه يُريد شيئًا أثمن من قتلها.. فما هو؟!

إختفى النصفُ البشع بعد أن مثل أنه قُتل على يد الوسيم.. بينما نظر لها كالفارس المغوار..هذا الكائن إنه لعينًا ماكر يُمثل حركات البشر و تعبيرهم بقوة تكادُ تقنعني !..سألته الشمطاء وهي تكادُ تموت رعبًا من يكون..رأيته بأم عيني يخطو على الماء نحوها ثم يقول: إنني مُخلصك .

إنتفضت و ركلت وهي لازالت مُعلقة فى الهواء.. تصرخ و تمسك بأذنيها: ك.كابوس..إنه كابوس.

إقترب منها و هو يحدثها بهدوء يُجبر الكلمات على أن تخترق عقلها ثم أزال كفيها من على أذنيها : لا..ليس كابوس..إنظري هل ترينني كابوس؟

فتحت عينيها و هي تتأمله لفترة ثم تقول بإفتتان مسحور: بل ملاكً جميل .

اقترب من أذنها و نفث كلماته كاللهيب: أتريدين أن تكوني ملاكً خالدة مثلي!

سألته و عينيها تلمعان بهلاكٌ مُبين: هل أنت خالد؟

ابتسم لها: طبعًا.

ترددت لكن سواد قلبُها طغى و سألته: كيف أكون خالدة مثلك ؟

مال على أذنها اليُسرى و قال بنفس النبرة ذات اللهيب: إكفري!

إنتفضت تنظر له فى فزع فكرر كلماته بينما ناي صوته ينسالُ إليها: إكفري بكل شئ كنتِ تؤمنين به قبل أن تُقابليني..آمني بي فقط وحدي مُخلصك .

سمعت الكلمة الأخيرة تتردد من حولي فإنتابني الرُعب و تجمدتُ مكاني..نظر فى الإتجاه الذي كنتُ أختبأ به بعينيه الممزوجة بكل الألوان التي رأيتُها فى حياتي و التي لم أرها.. فإختللت!

لقد شعر بذبذبات رُعبي!..رأيتُ عينيه تصطدمان بي..رأني!..فإنتفضت أحاول الهرب بسرعة بينما أحاول التواصل مع جسدي لأعود أو أستيقظ..لكن لا جدوى إن إتصالي ضعيف به!..ظهر لي نصفه الأخر ليُمسك بي بينما أغلقتُ كل حواسي و أبقيتُ عيني الثالثة نصف مفتوحة..رسم دائرة على الرمال و تمتم بكلماتٍ لم أسمعها و لم أحاول.. ثم زمجر و أخرج خوار شعرتُ بذبذباته.. بثق على الدائرة فإسودت الرمالُ داخلها !

ثم ألقاني بها فشعرتُ أن إتصالي بجسدي لم يعد ضعيفًا بل أصبح منعدمًا و أصبحتُ مكبلة على حالتي ثابتة أسيرة فى مكاني!

عاد نصفه ليلتصق به

ثم إقترب مني على هيئته الوسيمة و كانت الشمطاء معه..ٍسألني من أكون فلم أجب.. فبدا أنه يُهددني بقتلي..لكنني ظللتُ صامتة و لم أعبأ...أخفاني عنها ثم جسد لها وهمًا أنه يُعذبني أمامها..شعرتُ بالذنب..إنه

يحاول إقناعها بقدراته حتى تكفر مستخدمًا تجسيدي!..قررتُ أن أظهر لها و أقول أنه شيطانًا ملعون يُريد إغواءها!..و ليحدث ما يحدث..تجهزت و قررتُ فتح حواسي مرة واحدة..لكنني تراجعت و و عي يصرخ بي أن لا أفعل..لو فتحتُ حواسي فسأفقد كل حصني ودروعي و سأعرض نفسي للهلاك المُحتم..ٍسيخترقني مثلها!

غير ذلك إن فتحتُ كل حواسي هُنا و اتصالي بجسدي منعدم بذلك الشكل..فلا شك أنني سأموت!

لن أستطيع التضحية بي من أجلها..لن أستطيع !..فلتختار ..إن كلًا منا سيحاسب على كل اختياراته التي أودت به للنهاية..و على نفس خُطى الإختيارات الصغيرة فى حيواتنا.. نصل إلى نهاية الطريق و تفتح البوابات لنختار الإختيار الأعظم!

ارتج الوسط من حولي..لقد اختارت!..و كفرت!..ما هو آتً سيكون بشع..لن تحتمل عيني الثالثة ذبذباته أو الشعور به..سأُقتل بحالتي الضعيفة التي أنا بها من هول ما سيفعله بها!..جاءت لي طريقة للخلاص..
فقررتُ تجربتها رُغم خطورتها.. و كانت كالأتي.. إنه يرسم دائرة حولهما لتبدأ الطقوس.. ستنغلق عليهم فور بدء خضوعها.. لن يطول الأمر فقط بضعُ ثواني.. أكثر شئ دقيقة..إنني أشعر بإتساع حدود هذا العالم يعني أن هناك مكانًا أخر غير ذلك و بشر آخرون.. سأفتح كل حواسي و عيني الثالثة مرة واحدة لأخرج خارج الدائرة و أدخل جسد الحزينة التي لم تفيق بعد..
ثم أحاول لَحم و عيينا حتى أقنع وعيها بالإفاقة و الهروب بأقصى سرعة من هذا المكان.. و قد كان..
إنتظرت بدأ الطقوس و نفذتُ خطتي..و نجحت!..استجاب و عيها يهرب بالجسد الذي يحمل كلانا بينما أنا أحاول بكل القدرات التي إكتسبتها فى هذا العالم لنبتعد و أمحو أثر هروبنا قدر المُستطاع .

ابتعدنا قدرًا لا بأس به لنجد سيارة بها امرأة تقودها.. تعرض علينا أن توصلنا..وافقت الحزينة و هي بنصف وعي..بينما ارتحتُ و انفصلتُ عنا للضرر الذي ألم بي و بها لكنني ظللتُ جوارها حتى أعرف كيف سأعود لجسدي .

فى طريقنا حاولت الإتصال بالمرأة التي تقود لكنني لم أفلح..يبدو أن اتصالي غير مسموح غير بتلك الحزينة..اتطلعتُ على ذكرياتها عندما شاركتُها الوعي نفسه و قد عرفتُ حكايتها..إن لقب الحزينة يليقُ بها تمامًا.

حكت وچد لعز ما حدث معها و قد أخبرته أنها لا تتذكر أي شئ عندما كادت تموت و دارين تُغرقها ثم استفاقت لتجد نفسها فى سيارة إمرأة تقودها.. سألتها ماذا حدث لها..فأخبرتها أنها وجدتها تترنح كالثملة و هي تترجاها أن تذهب بها إلى المدينة الجامعية ثم ذهبت فى ثُبات عميق .

بدا على عز الحيرة أكثر من أي وقتًا مضى.. فخافت وچد و فسرت حيرته بطريقة خاطئة.. وقالت و هي تُخرج مُصحفها من حقيبتها و تضع يديها عليه ثم تقسم له و عينيها تنزفان كما هُما من بداية الحديث: أُقسم بالله العلي العظيم أنني لم أكذب فى كلمة واحدة مما قلتُه لك.. أقسمُ بالله أنها فعلت هذا بي..و لا أعلم ماذا فعلت أيَضًا عندما فقدتُ وعي أو كيف ماتت..لكنني لم أقتُلها و الله لم أفعل..

أجهشت فى بكاءًا مرير قصف قلبه وهي تميلُ للأمام و تخبئ وجهها..فقال بعتابًا حنون لكنه حازم وهو يجثو أمامها على ركبتيه يحاول جاهدًا أن يُهدئها دون أن يلمسها: وچد!..اسمعيني أرجوكِ..إهدئي و أنصتي لي..

توقفت تنظر له فى ترقب فقال و عينيه تُقسمان: أنا أصدقك.. لن أتخلى عنكِ مهما حدث.. سيكون كل شئ على ما يُرام.. ثقي بي.. هل يُمكنك؟

حاولت الابتسام تطمئن الخوف بعينيه عليها فظهرت ابتسامة حزينة جميلة خاصة تقول له دون حديث: نعم.. أثق بك..وأطمئن..لك.وحدك .

أومأ لها و خرج يهرب بسرعة من أمامها فقلبه الذي ينبضُ لأجلها لم يعد يحتمل و ثانية أخرى و كان سيبوح لها بحبه و هذا ليس الوقت المناسب أبدًا!

الساعة السادسة مساءًا فى غرفة التحقيق:

يجلس كلًا من أحمد.. قاسم.. سمر أمام عز و جاسر بينما يتم تسجيل التحقيق الدائر معهم.. اعترف الثلاثة بكل شئ حكته وچد لكنهم أنكروا قتل دارين بل و قالو أنهم عندما عادوا.. وجدوا دارين فى تلك الحالة البشعة و قد فارقت الحياة..

- جلس جاسر أمامهم و قال يرمي ورقته المُشتعلة الأخيرة: لقد اعترف عليك شُركائك يا أحمد.. أمسكنا بالرجلين الذين ساعدوك فى إختطاف وچد.. ما كان يحدث فى الشقة المهجورة منذ سنة قد أُكتشف!
- قال عز يُمثل الذهول بإزدراء متقزز: سرقة جُثث..و تجارة أعضاء بشرية يا أحمد!
- رفع رأسه لهما و قد شحب وجهه و لم ينطق..لقد اعترفوا على أنفسهم و عليه و لن يُفيد الإنكار .
- ارتجفت أناملُ سمر وهي ترجع شعرها للوراء ثم حسمت أمرها:

أريد أن أعترف..اعترافًا مهم انا و قاسم.. ثم نظرت لقاسم نظرة ذات معنى و أكملت: لم نجد جثة دارين سويًا..بل إن أحدنا وجدها أولًا..نظرت لأحمد فوجدته قد أدرك ما ستفعله..فسبها و كاد أن يهجم عليها لكن عز أمسك به و ولكمه بغلٍ دفين و أجلسه مرة أخرى هو و جاسر بينما وقفت سمر تتظاهر بالخوف و تُبدي التردد فيما كانت ستقوله .

- حثها عز على الإكمال فقالت: أحمد أول من وجدها على تلك الحالة و أخبرنا أنه ليس هو من قتلها.. و انا وقاسم صدقناه.. لكن بعد الذي سمعته منكم تأكدت أنه هو من قتلها!

نظروا لقاسم الذي وافقها الرأي و رأسه محني للأرض.

صرخ أحمد بهياج الشاه الذي سيُذبح: يا حقيرة..لقد وجدتها قبلكم بدقائق معدودة و إتصلتُ بكم فور أن وجدتها مقتولة..لم يتسنى لي الوقت لأفعل بها ذلك..أمسك به عسكريين ليأخذاه إلى الحجز بينما صرخ: إنها..هي من حاولت قتل وچد عندما كانت فى المشفى!

- نظر لها عز بدهشة..نعم لقد شك فى ذلك فإن المواصفات كانت تنطبقُ عليها..فبررت: كاذب.. كاذب..إنه يفتري علي لأنني اعترفت عليه بينما نظرت لقاسم وهي تحتضن كفه و قالت: أليس كذلك يا حبيبي.. ألم أكن معك حينها ؟

نظر لها قاسم نظرة مُبهمة ثم قال وهو يبعدها عنه و يبتسم: حينها!..إذن تعرفين الوقت التي تمت محاولة قتلها!..كيف تعرفينه ؟..إلا إذا كنتِ أنتِ بالفعل .

جحظت عينيها غير مُصدقة أنه يبيعُها و يتخلى عنها و أمسكت به تصرخ و تترجاه ألا يفعل ذلك لكنه و لأول مرة يصفعها لترتطم بالحائط وراءها و هو يقول لعز : سيدي إنني برئ منهما..لم أكن اعلم بما يخططان له.

تعالى صراخ سمر و أحمد يحاولان الإيقاع به معهم بينما يجرونهم الضباط إلى الخارج ليحبسوهم .

أشار جاسر للعسكري الواقف أن يأخذ قاسم معهم بينما صرخ الأخر و هو يحاول النجاة بنفسه لكن هيهات أن يحدث ذلك..فلقد اعترف العسكري طه أن قاسم هو من اتفق معه ليضرب وجد.على رأسها بأداة حادة ومن ثم يتعلل بالذهاب لدورة المياة و يترك عم صبحي أمام الباب.

بعد مرور اسبوع:

تم استدعاء وچد لتشهد بما حدث و يُسجل الأمر فى سجلات التحقيق و النيابة العامة.. بينما كان عز حاضرًا معها يحميها بنفسه وقد وعد والدها بأنه سيرجعها للبيت بنفسه ما إن ينتهوا من كل الإجراءات.. و بعد أن إنتهى كل شئ و خرجوا.. تقدم عز ليفتح لها باب السيارة الخلفي و يركب فى الأمام.. ابتسمت و شكرته.. بينما هو بتردد أومأ..

يُريد مصارحتها لكنها المرة الأولى التي يفعل.. لذلك كان متوترًا..الكلمات عشوائية تتزاحم بعقله.. لا يعلم من أين و كيف يبدأ بالحديث.. إنه يُحبها لكن لا يعلم حقيقة مشاعرها نحوه.. عانى التخبط و التردد حتى وصلوا إلى البيت بينما كانت هي تجلسُ فى الوراء تتابع الطريق فى صمت و هدوء .

ناداها فنظرت له ليخبرها أنهم وصلوا.. أومأت تفتحُ بابها و تفر هاربة منه دون كلمة شكر واحدة!

تعجب منها.. و تسائل هل تخافُ منه أم ماذا.. هل تمقتُ وجودها معه لتهرب هكذا؟!

لكنه حسم أمره و أدار المقود و إنطلق.. نفض تلك الأفكار عنه.. سيتصل بوالدها ليُأتي غدًا و يتقدم لها رسميًا ..أمسك بالهاتف و إتصل لكنه وجد الهاتف مغلقًا..فقرر الإتصال لاحقًا.

عاد لشقته القديمة التي كان يعيش بها مع جدته.. يتنهد بتعب و يتأمل الشقة التي سيُجري بها الكثير من التعديلات هو و وچد ليكون بيتهم الدافئ.. تحرك بحماس و خيال طفل فرح على رُغم أنها شقة جدته لكنها ذات تصميم واسع.. وقف يتخيل ألوان الدهان المناسبة.. و تصميمات الأثاث الذي يُريد تنفيذها.. ثم دخل غرفة جدته الحبيبة رحمها الله و قد مر وقتًا طويل قبل أن يدخلها لأنه كان يشعر بالحزن عندما يجد الفراش فارغًا..

سيكون رائعًا أن تكون تلك الغرفة غرفة النوم.. ذهب للمطبخ ليجده فى فوضى عارمة.. لقد مر شهر على أخر مرة نظفه بها.. ضحك بحب و هو يتخيل وچده هُنا معه.. تقف أمام الحوض و تغسل الأطباق بينما تتذمر من عمل البيت الذي لا ينتهى.. لا بأس إن وقف يُساعدها حينًا.. و حينًا أخرى يتنصلُ من الأمر

معللًا ذلك أنه متعب من العمل.. سيشاركها فى كل شئ كما ستشاركه.. ستكون صديقته و حبيبته و أم أولاده .

يعلم أنهم سيواجهون الصعوبات فى التأقلم سويًا فى البداية.. يعلم أن الشجار سيحدث بينهم لامحالة كحال أي زوجين واقعيين لكنه لن يترك العفن و خيطُ العنكبوت يتسرب بينهم.. دومًا سيدعوا الله أن يصلح بينهم و يزيد المودة و الرحمة و الحب .

لو تخاصما سيحاول إرضائها لو كان عصبيًا من ضغوط الحياة أو مُخطئ فى حقها.. و سينتظر أن تفعل عندما تُخطئ هي الأخرى.. سيعلمها طباعه و يتعلم طباعها.. سيفهم لغتها و تفهم لغته مع الوقت .

رن هاتفه فى إلحاح فأفاق من شروده.. أمسك بالهاتف فوجده جاسر هادم اللذات و مفرق الجماعات.. أجابه وهو يضحك على اللقب الذي أطلقه عليه .

- عز..أين أنت؟!
- تحرك للصالة و جلس على الأريكة يُجيبه: فى البيت..أين سأكون برأيك.
- أين ستكون !..هل تعلم أين وچد الأن؟
- تأهب عز فى جلسته و قال بقلق: فى بيتها لقد أوصلتها بنفسي .
- متى أوصلتها ؟
- منذ ساعة تقريبًا..لماذا تسأل ؟
- ألم تخبرك ؟
- تخبرني بماذا..فسر حديثك يا جاسر .
- إنهم مسافرون الليلة و هم الأن فى طريقهم للمطار!
- استقام و هو يهتف بذهول: ماذا؟!..كيف ؟..لم تخبرني بذلك..لماذا تحاول الهرب مني..لماذا ؟!
- غبي!..إنها لا تحاول الهرب منك.. إنها سئمت العيش هُنا و قررت الذهاب مع والديها..و أنت يا أفندي.. لماذا لم تصارحها بحبك.. لماذا لم تتقدم لها حتى الان؟!..
- هتف بإنفعال: والله إتصلتُ بوالدها لأحدد معه معاد غدًا و أتقدم لها..والله كنتُ سأصارحها .

- فلتلحق بها إذن قبل فوات الاوان.. إن طائرتها الساعة الثانية عشر بعد مُنتصف الليل و الأن الساعة العاشرة.. إلحق بهم قبل أن يشحنوا الحقائب و يصعدوا لصالات الإنتظار.

وافقه و هو يُغلق الهاتف و يأخذ مفاتيح السيارة و أشياءه و يخرج فى عجلة .

دخلت وچد مع والديها للمطار .. و ياللعجب كان مكتظًا بالناس إلى حد ما.. رُغم تأخر الساعة.. لكنه موسم الرحلات و الزيارت.. بداية العطلة من الدراسة .

جلس والديها ليستريحون و ينتظروها بينما

ذهبت نحو طابور شحن الحقائب.. تشعر بأنها مترددة.. لا تعرف..إنها تُريد الرحيل لكنها ستشتاقُ للأسكندرية بكل ما فيها.. ستشتاق لجوها الجميل و لشوراعها المُبللة بالمطر.. ستشتاق لكل تفصيلة و ذكرى جيدة.. لكنها يجب أن ترحل عن كل ما حدث..لم يعد يربطها شئ هُنا.. حتى دراستها ستُكملها بالخارج جوار والديها الحبيبين .

لا شئ يجعلها تبقى.. ستُحدث حياء من حينًا لأخر لتطمئن عليها.. لذلك لا بأس..حدثت نفسها و هي تحاول التماسك بينما غزى البأس ملامحها و دمعت عينيها..إنها تكذب..ستشتاق لأحد أخر غير حياء لكنها لا تقوى على الإعتراف بذلك.

لقد انتظرت أن يُبادر بشئ.. أن ينفي شكوكها حول كون معاملته لها مجرد شفقة.. انتظرت طوال الأسبوع و انتظرت طوال اليوم التي خرجت به معه.. انتظرت طوال الطريق و هي تراقبه لكنه لم يُبدي شئ.. لذلك شعرت أنه خذلها!

خذلها مثلهم.. لعله عاملها بلطف حتى ينتهي من تلك القضية.. أو لعله يُعامل كل النساء بتلك الطريقة.. ألامها ذلك الخاطر أكثر من أي شئ.. أن يكون ذات طبع ميال لملاطفة النساء و معاملتهم بحميمية.. كم تكره هذا النوع من أشباه الرجال.

و خلال شرودها وجدت رجل يتقدم ليأخذ دورها فى الشحن.. نظرت بغضب و كادت توجه له كلمات حادة لكنها وجدت زوجته تنظر لها شذرًا و هي تلوكُ شئ ما و تضع عشرون طبقة من مستحضرات التجميل على وجهها بينما تستعرض حاجبيه بقلمان من الفلومستر الأسود لتُكمل الرعب بشفتان يكسوهم اللون الأحمر المُفزع كمن أكلت ذراع زوجها.. تُخرج ثلث شعرها المصبوغ بالأكسجين من حجابها المُفترض أنه على الطريقة الخليجية بينما ترتدي عباءة سوداء أضيق من مضيق إسطنبول مزركشة بالخرز و

البهرجة كعروسة المولد.. زمت وچد شفتيها ثم ضحكت و فضلت الصمت.. لا بأس.. يكفي أن تلك المُرعبة زوجته.. إن ذلك عقاب كبير بحق.. أن يصحو المرء كل يوم فيجد هذا المنظر أمامه .

على الجانب الأخر يحاول عز الإتصال بها أو بوالدها لكنهم لا يردون.. الحق أن الشبكة داخل المطار لا تعمل و تكون فى أسوء حالاتها لذلك لا تصل لهم إتصالات عز الذي يقود بسرعة فى خوف.. ينهب المسافات و يدعوا الله أن يصل قبل أن ترحل .

شحنت وچد الحقائب كُلها و عادت لوالديها لتجدهم يجلسون على المقاعد ينتظرونها.. نظرت فى ساعتها فوجدتها الحادية عشر .. جلست بجانبهم و أخبرتهم أنها تُريد الإنتظار حتى يحين موعد الصعود للطائرة وحينها يقدمون الجوازات و التذاكر و يدخلون فأومئوا.. بينما هي جلست تراقب الناس فى هدوء.. هُناك ترى أبً مُسافر و أولاده و زوجته يودعونه بحزن..

الزوجة تبكي فى حزنًا عاجز وهي تعلم أن لا شئ بيدها.. لم يجد زوجها عملًا جيدًا يناسب شهادته و خبرته لم يجد عملًا ذا راتب جيد يجعلهم مستورين الحال..لذلك يسافر كمُغترب ليستطيع تكوين بعض المال يسندُ عائلته به.. مصاريف دراستهم و إحتياجاتهم التي تتزايد كلما كبروا بينما يقبع المرض فى الزاوية ينتظر الإنقضاض على أي أحد يقع تحت خط الفقر أو العجز عن دفع مصاريف المشافِ الشاقة .

ترى الطفل ذا الثلاثة أعوام أمامها يتشبث ببنطال والده بينما يبتسم بحب.. لا يُدرك أنه ذاهبًا عنهم.. مال الأب على جميع أفراد عائلته.. الولد الأكبر ذو الثلاثة عشر عامًا و هو يوصيه أنه رجل البيت حتى يعود لذلك فليسمع كلام والدته و يساعدها و لا يُشقيها..

بينما يومأ الفتى و هو يحتضن أمه يواسيها.. يلثم جبهة زوجته و يرفع توأمان غير متشابهان.. فتاة و فتى يبدو عليهم أنهم فى السادسة من العمر.. تفاجئ كلًا منهما من تلك الحركة لأنهما كانا يتشاجاران فى صخب غير مُدركين للحظة الفراق.. قبلهم و هو يدغدهم فى رقبتهم ثم تحول وجهه فى حزم يؤكد عليهم سماع

الكلام من والدتهم و أخوهم الكبير بينما يؤكد على حفظ القرأن و الصلاة فى معادها مع أخوهم و إلا لن يشتري لهم الهدايا التي يحبونها .

دمعت وجد عندما سمعت ما قاله تأثرًا لكنها تابعت الأمر.. أنزل الأب التوأمان و أمسك بالصغير الذي يتشبثُ.. قبله بحب و هو يشتمُ رائحته التي سيشتاق لها بشدة و أوصاه ببعض الوصاية بدا أن الصغير فهمها.. أشار الأب نحو خده.. يطلبُ قبلة الصغير.. ففعلها و هو يضحك و يحتضنه فى براءة ثم أعطاه واحدة أخرى فى الجانب الأخر بكل كرم .

أعطى الاب ابنه لزوجته و اتجه نحو ممر الجوزات يُخفى دموعه عنهم.. إنه رمز القوة و الآمان أمامهم..لن يصح أن يروا دموعه..مسحت وجد عينيها التي فاضت كبركانًا ثائر.. و لم تعرف كيف أجهشت بالبكاء أمام والديها دون سبب بينما احتضنتها والدتها تُربت عليها فى خوف و هي تتشبث بها لا تستطيع التوقف .

وصل إلى المطار و هو يهرول.. الساعة الثانية عشر إلا رُبع!..هل رحلت؟!..كالمجنون يبحث و يسأل الناس عن شكلها بينما لا يردون عليه أساسًا بل ينظرون له كأنما ينظرون معتوه.. يسأل عن الطائرة ليعرف أنها لم تقلع بعد.. يحاول الدخول من ممر الجوزات يُريد أن يلحق بها قبل أن تقلع!..لكنه يجد صعوبة فى العبور دون تذكرة.. يتوسل العامل معللًا أنه يُريد شيئًا ما من أحد المسافرين قد تركه معه..

لكن الرجل يرفض.. يخرج هويته بأمل أن تُشكل فارقًا.. فيومئ الرجل معتذرًا بينما هو يدخل و يبحث فى وجوه النساء عنها.. لكنه لا يجدها.. يسأل عن بوابة إقلاع الطائرة المُتجهة للسعودية.. فيدله أحدهم أنها البوابة الخامسة.. يصل هُناك ليجدها تقف امام المتحقق من التذاكر و تعطيه تذكرتها.. يناديها فتلتفت بدهشة و هي تمسح دموعها.. هل كانت تبكي مثله؟

- هتف بها بغضب: إلى أين أنتِ ذاهبة ؟!
- قالت و هي تمسح الدموع التي ثارت مجددًا: راحلة مع والداي و أشارت لوالديها وراءها.. فأقبل سليم و منى بينما تجمع الناس حولهم فى فضول كحال أي مصري أصيل .
- و تتركيني؟!
- أربكها سؤاله و شل لسانها حقًا..بينما هالها عينيه التي تلومها بغضب و حب فى نفس ذات الوقت.
- رد سليم بغضب: تتركك؟!..و هل هُناك شئ بينكما لتتركك؟!..بمااذا تهذي؟؟
- نعم سيكون هُناك شئ بيننا.. سيد سليم.. إنني أطلب يد إبنتك وجد الأن..على مرء و مسمع كل هؤلاء الناس!

شهقة صدرت منها بينما وضعت كفها على شفتيها من الذهول و الحرج.. و صدرت زغروطة قوية من إمرأة أربعينية حفظها الله لمصر.. و تتابعت الزغاريط و التهانئ من الناس على منى و سليم و وجد وهم واقفون لا يعرفون ما يحدث.. بينما ظهرت حياء من العدم تقبل وجد و تهنئها و جاسر يحتضن عز و يغني له بصوت عال و قد إنضم له الناس من حوله قائلين وهم يصفقون: (بسم الله الرحمن الرحيم وهنبدأ الليلة.. آه.. آه..

دة عريسنا الزين كحيل العين..وعروسته حلوة وجميلة

حنقول يا ليل.. ونقول ياعين..

حصوة في عينك ياللى

ياللى ما تصلى.. ماتصلى على النبى

صلي.. صلي.. ع النبي صلي..هه

واللي ما يصلي أبوه أرملي.. صلي)

الناس لازالون يغنون و يصققون وراء الجاسر الذي زفهم بالمعنى الحرفي للكلمة فى مشهد لن ينساه أي أحد.. بينما أخرج عز عُلبة مخملية زرقاء بها خاتم ذهبي جميل ذا نقش لوردة متفتحة.. بدا الخاتم ذات طراز عتيق ساحر غير مألوف أبدًا ثم سأل سليم هل يوافق.. فأشار نحوها لترد.. نظرت له بدهشة ضاحكة على ما حولها .

ثم مالت للأمام تسأله: هل أنا أحلُم ؟

لا يا وچد..أنتِ لا تحلمين..هل تقبلين أن تكوني زوجتي فى الدنيا و الآخرة؟

نظرت لوالدها ووالدتها تسألهم فأومئوا لترد برقة: نعم أقبل.

زغردت حياء و هي تقبلها من خدها بينما يُعطي عز الخاتم لمنى لتُلبسه لوچد.. إرتدته فكان على مقاسها كأنه صُنع خصيصًا لها بينما تأمله فى يديها و مال بقلبه يهمس: وچد.. أنا أُحبك .

استيقظتُ مُرتدة عن الفراش فوقعتُ على الأرض و أنا أتنفسُ بحدة.. بينما أرمقُ الفراش برعب .. ما هذا؟!..لقد كُنت بعالمًا أخر غير عالمي.. لقد رأيتُ جريمة قتل و حياة لأحدهم.. حياة كاملة!

وقفتُ أحاول استعادة اتزاني بينما أكادُ أبكي.. وقعتُ على الأرض فجأة و ارتطمتُ بها.. حتى دخلت أمي الغرفة إثر الصوت و سألتني وهي تهرول نحوي ماذا حدث .. ساعدتني على الإستلقاء على الفراش و هي تسألني بخوف ماذا بي .

- فبلعتُ ريقي ثم سألتها: كم بقيتُ نائمة يا أمي ؟..حوالي سبعُ ساعات يا نور ..لماذا؟

اندهشت من الرقم الصغير.. لقد شعرتُ أنني نمتُ سنوات فماذا حدث لي ؟..و هل كان هذا حُلمًا ؟..أم أنني نجحتُ فى الإسقاط النجمي؟!

مر على الأمر أسبوعًا بدأتُ أستعيد عافيتي به لأنني كنتُ متعبة ألزم السرير طوال الثلاثة أيام الأولى.. و أتى الطبيب ليعرف ماذا أصابني لكنه لم يجد علة بي.. فقط بعض الإرهاق و التعب الشديد!

لم أصارح أحد بما حدث.. و فضلتُ أن يكون سرًا بينما ظللت أبحث فى الأسبوع التالي على الأمر لكنني لم أجد شيئًا يُجزم بالحقيقة .

الخميس الموافق ٨/ ٧/ ٢٠٢١

الساعة الأن الثانية عشر بعد منتصف الليل

أجلسُ على فراشي و أمسك مجلدي العتيق و أكتب:

أنا نور نبيل المطيري .. طالبة فى كلية الطب البيطري الفرقة الثالثة

لقد مر عامين على ذلك الحدث الغريب بحياتي.. حاولتُ كثيرًا أن أحاول تجربته مرة أخرى لكنني لم أُفلح.. و كذالك لم تعد تراودني الأحلام الواعية بكل أنواعها.. أردتُ أن أقول أنني أتذكركِ يا وچد كما أطلقتُ عليكِ.. صحيح نسيتُ أن أقول أنني كتبتُ كل ما حدث فى روايتي الأولى و اليوم أنهيها.. أردتُ فقط أن أكتب كل شئ حتى لا أنسى و أردتُ أن أكتبني معكم فى الرواية حتى لا ينساني الناس بعد أن أموت .

دمعت عيناي و أنا أكتبُ السطر الأخير فى روايتي فوجدت أختي الكبيرة تدخل و هي تضحك بمرح : ماذا بكِ يا حزينة تركتكِ بخير و ذهبتُ لأشرب ؟

ليس هُناك شئ .. فقط أنهيتُ روايتي الأولى .

احتضنتني بحب تُهنئني بطريقتها الكوميدية المعهودة و قالت: أخيرًا..لقد صدعتِ رؤوسنا بتلك الرواية!

ضحكتُ و قلت أنفشُ رئتاي كالطاووس عندما ينفشُ ريشه: تستحق..سترين كيف ستنتهاتف علي الأضواء فور أن أنشرها .

- لا يغرنكِ الزهو بنفسك فتقعين على جذور رقبتك.. كل شئ بآوانه فقد إصبري فأنتي لازلتي فى مهد الكتابة .
- عندكِ حق...أغلقت هي النور فجأة لننام .

-فهتفتُ بها: سأكتب أخر كلمتين و ننام.. ففتحته مرة أخرى.. أمسكت بالمجلد لأخط بقلمي أخر كلمتين لكنني وجدتُ خصلة شعرًا سوداء أعرفها جيدًا عن ظهر قلب و أعرف أين أمسكتُ بها!

هتفت أختي فى تَذمر فأومأتُ لها و أنا أخط أخر كلمتين (تمت بحمدالله) ثم أقول لها بملامح مُبهمة : أغلقيه الأن يا منة..!

رواية

أسيراجان

أسيراجان هو اسم جعله حظه العاثر
أن يقع في رواية غامضة متشابكة ، لو
كنت من محبي البوليسية أو الرومانسية
أو الرعب فأنت أيضًا أوقعك حظك اليوم
داخل شباكِ وأسلاكِ الشائكة
من حروف و كلمات و رموز وجريمة القتل
لشابة على شاطئ تُفتح
أبواب الجحيم فيه بعد منتصف الليل.
تنفس وتنفسي الصعداء فسوف نخوض
في رواية تخطف الأنفاس.
وإن لأنفاسكم أن تحكم!

أسيراجان

منة الله أبو زهرة

SalmaSalch